الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ

٢٢

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

بسم الله الرحمن الرحیم

الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم

کاتب:

سید جعفرمرتضی حسینی عاملی

نشرت فی الطباعهٔ:

سحرگاهان

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم المجلد۲۲

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع ۲ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

[تتمه القسم التاسع]

الباب الثانی فتح مکه

اشاره

الفصل الأول: هکذا تحرک من مرّ الظهران

الفصل الثانی: دخول مکه

الفصل الثالث: القتال فی مکه

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و جوار أم هانی

الفصل الخامس: ما جری لأبی قحافه

الفصل السادس: طواف النبی صلّی اللّه علیه و آله و تحطیم الأصنام

الفصل السابع: النبی صلّی اللّه علیه و آله فی داخل الکعبه

الفصل الثامن: الخطبه الأولی فی مکه

الفصل التاسع: مفتاح الکعبه .. و البیعه فی مکه

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات

الفصل الأول: هكذا تحرک من مرّ الظهران

اشاره

الإعلان بالأمان:

قال أبو سفيان و حكيم بن حزام: يا رسول اللّه، ادع الناس بالأمان، أرأيت إن اعتزلت قريش و كفت أيديها آمنون هم؟

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (نعم).

قال العباس: قلت: يا رسول اللّه!! قد عرفت أبا سفيان و حبه الشرف و الفخر، فاجعل له شيئا.

و عن أبى سلمه و يحيى بن عبد الرحمن: أن أبا بكر قال: يا رسول اللّه إن أبا سفيان رجل يحب السماع، يعنى الشرف انتهى.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن).

فقال: و ما تسع دارى؟

زاد ابن عقبه: (و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن)- و دار أبى سفيان بأعلى مكه، و دار حكيم بأسفلها- (و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن).

فقال أبو سفيان: و ما يسع المسجد؟

قال (صلى اللّه عليه و آله): (و من أغلق بابه فهو آمن).

فقال أبو سفيان: هذه واسعه (١).

و قال الحلبى الشافعى: (عقد (صلّى اللّه عليه و آله) فى المسجد لأبى رويحه- الذى آخى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بينه و بين بلال- لواء، و أمره أن ينادى: و من دخل تحت لواء أبى رويحه فهو آمن. أى و إنما قال ذلك لما قاله له أبو سفيان: و ما تسع دارى؟ و ما يسع المسجد)؟ (٢).

و فى نص آخر: أن العباس أخذ أبا سفيان فأباته عنده، فلما أصبح و سمع الأذان سأل العباس عنه، فأخبره، ثم أمره العباس بأن يتوضأ و يصلى ... و علمه الوضوء .. ففعل.

فلما صلى غدا به إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: يا رسول اللّه، إنى أحب أن تأذن لى إلى قومك، فأنذرهم، و أدعوهم إلى اللّه و رسوله، فأذن له.

فقال العباس: كيف أقول لهم؟! بيّن لى من ذلك أمرا يطمئنون إليه!!

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (تقول لهم: من قال: لا إله إلا اللّه وحده لا

١- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ٢١٨ عن ابن عقبه، و قال فى هامشه: أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ٩ و انظر المجمع ۶/ ١٧٢ و أخرج صدره مسلم فى الجهاد باب (٣١ و ٨۴ و ٨۶) و أبو داود فى الخراج باب (٢۵) و أحمد ٢/ ٢٩٢ و ۵٣٨ و البيهقى ۶/ ٢٣۴ و ٩/ ١١٧ و ١١٨ و ١٧١ و الطبرانى فى الكبير ٨/ ٩ و ابن أبى شيبه ١۴/ ۴٧۵ و عبد الرزاق (٩٧٣٩) و الطبرانى فى الصغير ٢/ ٧٢ و الدار قطنى ٣/ ۶٠ و الطحاوى فى المعانى ٣/ ٣٢١ و البيهقى فى الدلائل ۵/ ٣٢ و ٣٧ و ۵۶ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٠ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٠.

شريك له، و شهد أن محمدا رسول اللّه، و كف يده فهو آمن، و من جلس عند الكعبه و وضع سلاحه فهو آمن).

فقال العباس: يا رسول اللّه إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فلو خصصته بمعروف.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن).

قال أبو سفيان: دارى؟

قال: دارك.

ثم قال: (و من أغلق بابه فهو آمن) (١).

و نص آخر يقول:

و جاء حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأسلما و بايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بين يديه إلى قريش، يدعوانهم إلى الإسلام.

و قال: من دخل دار أبى سفيان- و هو بأعلى مكه- فهو آمن، و من دخل دار حكيم- و هو بأسفل مكه- فهو آمن، و من أغلق بابه و كف يده فهو آمن (٢).

و نقول:

إن فى هذه النصوص العديد من الإشارات و الدلالات، نذكر منها ما يلى:

١- البحار ج ٢١ ص ١٢٩ عن إعلام الورى.

٢- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥۶ و البحار ج ٢١ ص ١٠۴ و تاريخ الخميس ح ٢ ص ٨١.

هل هذا تشريف لأبی سفيان؟!:

قد كان مما أعطاه رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) لأبی سفيان: أن جعل الأمان لمن دخل داره، لأن أبا سفيان يحب التفخيم و الذكر، كما قاله العباس رحمه اللّه.

و لكن رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله)، و إن كان قد أنعم لأبی سفيان بهذا الأمر و أعطاه إياه بيد، و لكنه عاد فأخذه منه باليد الأخرى، بأسلوب رصين يجعل الناس يدركون للتوّ: أنه مجرد إجراء شكلی ليس له مضمون تشريف و لا تكريم، لأنه:

۱- أعطى مثل ذلك لحكيم بن حزام أيضا.

۲- ساوی بين دخول دار أبی سفيان، و بين اللجوء إلی رايه الأمان، التی جعلها مع أبی رويحه.

۳- ساوی أيضا بينه و بين أيه دار فی مكه يدخلها صاحبها، و يغلق بابها على نفسه.

۴- ساوی بين ذلك و بين أن يضع الإنسان سلاحه، و يكف يده، ليكون ذلك إشاره إلی مجرد اتخاذ وضع غير قتالی.

و بذلك يتضح: أن أبا سفيان ليس فقط لم يحصل على ما أراد من الذكر و الفخر، و إنما أخذ منه ما كان قد استلبه بغير حق .. لأن المساواه بين دخول داره و بين دخول دار أی إنسان فی مكه، ثم بين ذلك و بين أن يكف الإنسان يده و يضع سلاحه فيها حط من المقام الذی جعله أبو سفيان لنفسه، و جعله كأی إنسان آخر من أهل مكه ..

و ذلك بعد أن جعله أيضا مثل حكيم بن حزام .. الأمر الذی لا يرضاه

أبو سفيان، و لا يقرّ به له.

و لا بـد من أن يرضـى ذلك ابن حزام، و ربما تـذهب به الأوهام إلى أبعـد من ذلك، إذا كان يـذكى لديه الطموح لمنافسه أبى سفيان، أو لعدم الإقرار له بالتفرد فى الزعامه على الأقل .. و من شأن هذا أن يزعج أبا سفيان، و يؤرقه فى مضجعه أيضا.

إستجداء بعد الإستغناء:

لقد كان أبو سـفيان طيله حوالى عشـرين سـنه يسـعى لإطفاء نور اللّه، مدّعيا لنفسه مواقع الشرف و الكرامه، متخذا من هذا الفعل المخزى و المشين سبيلا للمجد و الذكر و الفخر، و شيوع الذكر.

و لكنه بين ليله و ضـحاها أصـبح يسـتجدى شـيئا من الـذكر، و ما يوجب له الفخر من نفس هـذا العدو الذى لم يزل يحاربه إلى تلك اللحظه، و لو قدر على شى ء من ذلك لما تردد فيه ..

فما هذه الدنيا التى تذل حتى أشد الناس حبا لها، و لا تعطيهم شيئا إلا أن يدفعوا ثمنه أعز شى ء لديهم، و أغلاه عليهم؟!

حفظ حرم اللّه تبارک و تعالى:

و لسـنا بحاجه إلى التأكيـد على أن إعلان الأمان لأهل مكه، و كـذلك سائر المواقف و السـياسات النبويه فى مسـيره (صـلى اللّه عليه و آله) إلى مكه، تظهر بمـا لاـ مجال معه لأى شـبهه و ريب: أن المطلوب هو: أن لا تراق أيه قطره دم فى حرم اللّه تبارك و تعالى ..

و لا بد من أن يقارن الكثيرون من أهل مكه و غيرهم بين هذه السياسه

مع صناديد قريش و كل رجالها، و بين ما فعله أهل مكه أنفسهم بالخزاعيين الأبرياء من الصبيان، و النساء، و الرجال الضعفاء. فى حين أن قريشا لو تمكنت من الحرب لأبادت هذا الجيش القادم بأكمله فى نفس بيت اللّه و حرمه ..

وضوء و صلاه أبى سفيان:

و قد أظهر النص المتقدم عن البحار عن إعلام الورى: أن أبا سفيان قد توضأ و صلى مع المسلمين.

و نقول:

إن ذلك لا مجال لقبوله، إن كان أبو سفيان على شركه إلى تلك اللحظه، كما ذكرته بعض الروايات، فإنه إنما أسلم بعد ما بات عند العباس ..

و إن أخذنا بروايه البحار و إعلام الورى، و قلنا: بأنه قد أسلم ليلا، ثم سلمه النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى العباس ليبيت عنده، فلما أصبح رأى أذان المسلمين و صلاتهم، فصلى معهم .. فلا غبار على الروايه التى نتحدث عنها من هذه الجهه ..

إلا أن يقال: إنه قد بات ليله أخرى غير الليله التى أخذ فيها، و كان قد أسلم نهارا، و هو إنما توضأ و صلى فى صبيحه الليله الثانيه، فلا يبقى إشكال فى قولهم: إنه توضأ و صلى، حتى على القول الأول.

الدعاه الجدد إلى الإسلام:

و فى النصوص المتقدمه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) بعث بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام يدعوان الناس فى مكه إلى الإسلام، بل فيها: أن

أبا سفيان نفسه قد تبرع بذلك، لكنه كان على جهل تام بما يريد قوله، فطلب أن يعلموه ما يقول للناس فى ذلك، فعلمه النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يطلب من الناس النطق بالشهادتين.

و نقول:

إن هؤلاء و هم رؤوس الشرك يمكن أن يساهموا فى إطفاء نار الحرب، و حمل الناس على ترك القتال .. لأن ذلك يحفظ أرواح الناس، خصوصا إذا كانوا من أهلهم، و عشيرتهم، أو من أحبائهم و أصدقائهم، أو من حلفائهم.

و يمكن أن يقدموا على ذلك من منطق الحفاظ على حرمه البيت و الحرم، و لأجل حفظ ماء وجههم أمام الآخرين .. لا لأجل أن للحرم قداسه حقيقه فى نفوسهم.

و لكننا لا يمكن أن نصدق: أن رؤوس الشرك يطلبون أن يكونوا دعاه للناس للدخول فى هذا الدين، إلا على أساس أنه نفاق و استغلال، لا سيما و أنهم كانوا لا يزالون يحاربون هذا الدين للحظات خلت. بل إن أبا سفيان قد ما طل و سوّف و لم يزل يقول لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): إن فى النفس شيئا من الشهاده له بالرساله. فكيف يعقل أن يتحول فى تلك اللحظه نفسها إلى داعيه صادق لهذا الدين؟! و لو قيل: لعل اللّه هو الذى تصرف فى قلبه!!

قلنا: لماذا تأخر هذا التصرف إلى الآن؟!

أبو سفيان يرصد كتائب الفتح:

و لما صلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالناس الغداه، قال للعباس:

(خذه إلی رأس العقبه، فأقعده هناک لیراه الناس جنود اللّه و یراها).

فقال أبو سفیان: ما أعظم ملک ابن أخیک.

قال العباس: یا أبا سفیان هی نبوه.

قال: نعم (۱).

و زعموا أیضا: أنه لما توجهوا ذاهبین قال العباس: یا رسول اللّه، إنی لا آمن أبا سفیان أن یرجع عن إسلامه، فاردده حتی یفقه، و یری جنود اللّه- تعالی- معک (۲).

و عن أبی سلمه و یحیی بن عبد الرحمن بن حاطب: أن أبا سفیان لما ولی، قال أبو بکر: یا رسول اللّه، لو أمرت بأبی سفیان فحبس علی الطریق؟ (۳).

و نری: أن الصحیح هو ما قاله ابن إسحاق و محمد بن عمر: من أن أبا سفیان لما ذهب لینصرف، قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) للعباس:

(احبسه بمضیق الوادی (حتی تمر علیه جنود اللّه)).

قال ابن عقبه، و محمد بن عمر: فأدرکه العباس فحبسه، فقال أبو سفیان: أغدرا یا بنی هاشم؟

فقال العباس: إن أهل النبوه لا یغدرون. زاد الواقدی قوله: و لکن لی إلیک حاجه.

فقال أبو سفیان: فهلا بدأت بها أولا؟

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹ عن الخرایج و الجرایح، و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۱۱۸.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۸ عن ابن عقبه.
۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۸ عن ابن أبی شیبه.

فقلت: إن لى إليك حاجه، فيكون أفرخ لروعى؟!

قال العباس: لم أكن أراك تذهب هذا المذهب.

و عبأ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) أصحابه الخ .. (١).

و لفظ ابن عقبه: إنا لسنا بغدر، و لكن أصبح حتى تنظر جنود اللّه، و إلى ما أعد اللّه للمشركين.

قال ابن عقبه: فحبسهم بالمضيق دون الأراك إلى مكه حتى أصبحوا (٢).

كتائب الإسلام إلى مكه:

قالوا: و أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مناديا ينادى، لتصبح كل قبيله قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رايته، و تظهر ما معها من الأداه و العده.

فأصبح الناس على ظهر، و قدّم بين يديه الكتائب.

قالوا: و مرت القبائل على قادتها. و الكتائب على راياتها (٣).

قال محمد بن عمر: و كان أول من قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) خالد بن الوليد فى بنى سليم و هم ألف، و يقال: تسعمائه، و معهم لواءان و رايه، يحمل أحد اللواءين العباس بن مرداس، و الآخر يحمله خفاف بن

١- المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨١٨ و تاريخ مدينه دمشق ج ٢٣ ص ٤٥٢.
٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٠ و البحار ج ٢١ ص ١٠٤ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٩ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢١٨ و راجع: مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦.
٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢١٩ عن ابن عقبه.

ندبه، و يحمل الرايه الحجاج بن علاط- بعين مضمومه- (و عند المعتزلى:

و رايه يحملها المقداد)، فلما مروا بأبى سفيان، كبروا ثلاث تكبيرات، ثم مضوا، فقال أبو سفيان: يا عباس!! من هؤلاء؟

فقال: هذا خالد بن الوليد.

(و فى نص آخر قال أبو سفيان: هذا رسول اللّه؟ قال: لا، و لكن هذا خالد بن الوليد فى المقدمه) (١).

قال: الغلام؟

قال: نعم.

قال: و من معه؟

قال: بنو سليم.

قال: ما لى و بنى سليم!

ثم مر على أثره الزبير بن العوام فى خمسمائه من المهاجرين و أفناء العرب (٢)، و معه رايه سوداء.

فلما مروا بأبى سفيان كبروا ثلاثا.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ و فى نص آخر: يا عباس! هذا محمد؟!

قال: هذا الزبير بن العوام.

قال: ابن أختك؟

قال: نعم.

١- البحار ج ١ ص ١٣٠.

٢- الأفناء: الأخلاط من الناس لا يعرف من أى القبائل هم.

ثم مرت بنو غفار فى ثلاثمائه، يحمل رايتهم أبو ذر.

و يقال: إيماء بن رحضه، فلما حاذوه، كبروا ثلاثا.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟

قال: بنو غفار.

قال: ما لى و لبنى غفار؟

ثم مرت أسلم فى أربعمائه، فيها لواءان، يحمل أحدهما بريده بن الحصيب، و الآخر ناجيه بن الأعجم، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: أسلم.

قال: ما لى و لأسلم؟ (ما كان بيننا و بينهم تره قط.

قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا فى الإسلام).

ثم مرت بنو كعب بن عمرو فى خمسمائه، يحمل رايتهم بسر بن سفيان فلما حاذوه، كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو، إخوه أسلم.

قال: نعم. هؤلاء حلفاء محمد.

ثم مرت مزينه فى ألف. فيها ثلاثه ألويه، و مائه فرس. يحمل ألويتها النعمان بن مقرن، و عبد اللّه بن عمرو بن عوف، و بلال بن الحارث، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

قال: من هؤلاء؟

قال العباس: مزينه.

قال: ما لی و لمزینه؟ قد جاءتنی تقعقع من شواهقها (۱).

ثم مرت جهینه فی ثمانمائه، فیها أربعه ألویه، یحملها أبو روعه معبد بن خالد، و سوید بن صخر، و رافع بن مکیث و عبد اللّه بن بدر، فلما حاذوه کبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال: جهینه.

قال: ما لی و لجهینه؟

ثم مرت کنانه بنو لیث و ضمره، و سعد بن بکر فی مائتین، یحمل لواءهم أبو واقد اللیثی، فلما حاذوه کبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو بکر.

قال: نعم، أهل شؤم و اللّه! هؤلاء الذین غزانا محمد بسببهم. (زاد فی نص آخر قوله: أما و اللّه ما شوورت فیهم و لا علمته، و لقد کنت له کارها حیث بلغنی، و لکنه أمر حتم).

قال العباس: قد خار اللّه- تعالی- لکم فی غزو محمد (صلّی اللّه علیه و آله) أتاکم أمنکم، و دخلتم فی الإسلام کافه.

ثم مرت أشجع و هم آخر من مر، و هم ثلاثمائه معهم لواءان، یحمل أحدهما: معقل بن سنان، و الآخر: نعیم بن مسعود. فلما حاذوه کبروا ثلاثا.

قال أبو سفیان: من هؤلاء؟

۱- تقعقع الشی ء: أحدث صوتا عند تحریکه.

قال العباس: هؤلاء أشجع.

قال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد.

قال العباس: و أدخل اللّه- تعالى- الإسلام فی قلوبهم، فهذا فضل من اللّه.

ثم قال أبو سفيان: أبعد ما مضى محمد؟

فقال العباس: لا، لم يمض بعد، لو أتت الكتيبه التی فيها محمد رأيت فيها الحديد و الخيل و الرجال، و ما ليس لأحد به طاقه.

قال: و من له بهؤلاء طاقه؟

و جعل الناس يمرون، كل ذلك يقول أبو سفيان: ما مر محمد؟

فيقول العباس: لا، حتى طلعت كتيبه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الخضراء التی فيها المهاجرون و الأنصار- و سميت الخضراء لما فيها من الحديد، و العرب تطلق الخضره على السواد و العكس- و طلع سواد شديد، و غبره من سنابك الخيل، و جعل الناس يمرون، كل ذلك يقول: أما مر محمد؟

فيقول العباس: لا.

و فی هذه الكتيبه: الرايات و الألويه، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء و رايه، و هم فی الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، و لعمر بن الخطاب فيها زجل (۱) بصوت عال و هو يزعها (۲) و يقول: رويدا حتى يلحق أولكم آخركم.

۱- الزجل: رفع الصوت.

۲- وزع فلانا: زجره و نهاه. و وزع الجيش: رتب فرقه، و سواهم صفا واحدا.

و عند الواقدی: (فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل! من هذا المتكلم؟!

قال: عمر بن الخطاب.

فقال أبو سفيان: لقد أمر أمر بنی عدی بعد- و اللّه- قله و ذله.

فقال العباس: يا أبا سفيان، إن اللّه يرفع من يشاء بما يشاء. و إن عمر ممن رفعه الإسلام، و يقال: كان فی الكتيبه ألف دارع) (١).

و يقال: ألفا دارع.

و أعطی رسول اللّه (صلّی اللّه عليه و آله) رايته سعد بن عباده، فهو أمام الكتيبه، فلما مر سعد برايه رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) نادی أبا سفيان فقال: اليوم يوم الملحمه، اليوم تستحل الحرمه، اليوم أذل اللّه قريشا.

و فی نص آخر: اليوم تستحل الكعبه (٢). الصحيح من السيره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ٢٢ ٢٢ كتائب الإسلام إلی مكه: ..... ص : ١٧

قال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار (٣).

فمرت القبائل، و طلع رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) و هو علی ناقته القصواء. قال محمد بن عمر:- طلع- بين أبی بكر الصديق، و أسيد بن الحضير- و هو يحدثهما- فقال العباس: هذا رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) (۴).

١- المغازی للواقدی ج ٢ ص ٨٢١.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢.

٣- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ٢٢٠ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢ و المغازی للواقدی ج ٢ ص ٨١٨- ٨٢١.

۴- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ٢٢١ و فی هامشه عن: ابن عبد البر فی الدرر (٢١۶) و البيهقی فی الدلائل ۵/ ٣٨ و ابن كثير فی البدايه ۴/ ٢٩٠. و البحار ج ٢١-

و فی الصحیح عن عروه: أن کتیبه الأنصار جاءت مع سعد بن عباده، و معه الرایه: قال: و لم یر مثلها، ثم جاءت کتیبه هی أقل الکتائب، فیهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و أصحابه، و رایه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مع الزبیر.

قال فی العیون: کذا وقع عند جمیع الرواه.

و رواه الحمیدی فی کتابه: هی أجل الکتائب، و هو الأظهر انتهی (۱).

فقال أبو سفیان: لقد أصبح ملک ابن أخیک الیوم عظیما.

قال العباس: قلت: یا أبا سفیان إنها النبوه.

قال: فنعم إذا (۲).

عن العباس- رضی اللّه عنه- قال: لما بعث رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قلت لأبی سفیان بن حرب: أسلم بنا.

قال: لا و اللّه حتی أری الخیل تطلع من کداء.

قال العباس: قلت ما هذا؟

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و ۲۶۷ و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۲ و ۸۳.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و فی هامشه قال: انظر المجمع ۶/ ۱۷۳. و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۱ و مجمع البیان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۴ و ۱۱۸ و ۱۱۹ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۲.

قال: شی ء طلع بقلبی، لأن اللّه لا یطلع خیلا هناک أبدا.

قال العباس: فلما طلع رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) من هناک ذکرت أبا سفیان به، فذکره (۱).

قالوا: فلما مر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بأبی سفیان، قال: یا رسول اللّه أمرت بقتل قومک؟! ألم تعلم ما قال سعد بن عباده؟!

قال: (ما قال)؟!

قال: کذا و کذا، و إنی أنشدک اللّه فی قومک، فأنت أبر الناس، و أوصل الناس، و أرحم الناس.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (کذب سعد یا أبا سفیان، الیوم یوم المرحمه، الیوم یوم یعظم اللّه فیه الکعبه، الیوم یوم تکسی فیه الکعبه، الیوم یوم أعز اللّه فیه قریشا). و أرسل إلی سعد فعزله عن اللواء (۲).

و عند ابن إسحاق: أن سعدا لما قال ما قال، سمعه رجل من المهاجرین.

قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب.

فقال: یا رسول اللّه، أتسمع ما قال سعد؟ ما نأمن أن یکون له فی قریش صوله (۳).

زاد الدیار بکری قوله: فقال (صلی اللّه علیه و آله) لعلی بن أبی طالب

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ عن الطبرانی و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۳.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۲ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۹ عن المعتزلی، و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۱ و ۸۲۲.
۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲.

(علیه السلام): أدركه، و خذ الرایه، و كن أنت الذی تدخل بها (۱).

و استبعد ذلک الحافظ من عمر هنا؛ لكونه كان معروفا بشده البأس علیهم (۲).

و عند محمد بن عمر: أن عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان، قالا ذلک لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۳).

و قال ضرار بن الخطاب الفهری- فیما ذكره محمد بن عمر، و أبو عثمان سعید بن یحیی بن سعید الأموی- شعرا یستعطف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی أهل مكه، حین سمع قول سعد، قال أبو الربیع: و هو من أجود شعر قاله.

و عن جابر: أن امرأه من قریش عارضت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بهذا الشعر، فكأن ضرارا أرسل به المرأه لیكون أبلغ فی انعطاف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی قریش:

یا نبی الهدی إلیک لجاحی قریش و لات حین لجاء

حین ضاقت علیهم سعه الأرض و عاداهم إله السماء

و التقت حلقتا البطان علی القوم و نودوا بالصیلم (۴) الصلعاء

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱.
۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۲ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۹ عن المعتزلی، و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۲.
۴- الصیلم: السیف المصقول.

إن سعدا يريد قاصمه الظهر بأهل الحجون و البطحاء

خزرجی لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر و العواء

و غر الصدر (۱) لا يهم بشی ءغير سفک الدما و سبی النساء

قد تلظی علی البطاح و جاءت عنه هند بالسوءه السواء

إذ ينادی بذل حی قريش و ابن حرب بذا من الشهداء

فلئن أقحم اللواء و نادی يا حماه الأدبار أهل اللواء

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج و الأوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريش فقعه القاع فی أكف الإماء

فأنهينه فإنه أسد الأسد لدی الغاب و الغ فی الدماء

إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتا كالحيه الصماء فأرسل رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) إلی سعد، فنزع اللواء من يده، و جعله إلی ابنه قيس بن سعد، و رأی رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتی صار إلی ابنه (۲).

و فی روايه: دخل ولد سعد بلوائه حتی غرزه بالحجون (۳).

و زعموا أيضا: أن سعدا أبی أن يسلم اللواء إلا بأماره من رسول اللّه

۱- و غر الصدر: امتلأ غيظا.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۲ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۲ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

۳- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۲.

(صلى اللّه علیه و آله)، فأرسل النبی (صلى اللّه علیه و آله) بعمامته، فدفع اللواء إلى ابنه قیس.

و یقال: إن رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) أمر علیا (علیه السلام)، فأخذ الرایه، فذهب بها إلى مکه حتى غرزها عند الرکن (۱).

و روى: أن رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) أعطى الرایه للزبیر إذ نزعها من سعد (۲).

زاد الدیار بکری قوله: و جعله مکان سعد على الأنصار مع المهاجرین.

و عن الزبیر: أن رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) دفعها إلیه فدخل بلواءین (۳).

قال الحافظ: و الذی یظهر فی الجمع: أن رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) أرسل علیا لینزعها، و أن یدخل بها (۴).

ثم خشی تغیر خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه قیس، ثم إن سعدا خشی أن یقع من ابنه شی ء یکرهه رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله)، فسأل رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) أن یأخذها، فحینئذ أخذها الزبیر (۵).

و یؤید ذلک: ما رواه البزار بسند على شرط البخاری عن أنس قال:

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۲.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ عن ابن عبد البر و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۲ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۲ و راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲.
۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ عن أبی یعلى، و موسى بن عقبه.
۴- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۲.
۵- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲.

کان قیس فی مقدمه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما قدم مکه، فکلم سعد النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یصرفه عن الموضع الذی هو فیه مخافه أن یقدم علی شی ء فصرفه عن ذلک. انتهی (۱).

و فی نص آخر: أن أبا سفیان سعی إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (و زاحم حتی مرّ تحت الرماح)، و أخذ بغرزه (۲)، فقبّله، و قال: بأبی أنت و أمی، أما تسمع ما یقول سعد؟ إنه یقول:

الیوم یوم الملحمهالیوم تسبی الحرمه فقال لعلی (علیه السلام): أدرکه، فخذ الرایه منه، و کن أنت الذی یدخل بها، و ادخلها إدخالا رفیقا.

فأخذها علی (علیه السلام)، و أدخلها کما أمر (۳).

و نقول:

قد احتوت النصوص المتقدمه أمورا عدیده ینبغی الوقوف عندها. و قد آثرنا أن نقتصر هنا علی بعض منها، و هی الأمور التالیه:

العباس هو المشیر أم أبو بکر؟!:

یلاحظ: أن بعض الروایات المتقدمه تذکر: أن العباس هو الذی اقترح أن یری أبو سفیان عرض جنود اللّه تعالی.

۱- المصدران السابقان.

۲- الغرز: رکاب الرجل.

۳- مجمع البیان ج ۱۰ ص ۵۵۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و ۱۳۰ عن إعلام الوری، و عن مناقب آل أبی طالب.

لکن روایه أخری تذکر: أن أبا بکر هو المشیر بذلک.

غیر أننا نعلم: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لم یکن بحاجه إلی رأی أحد ..

فإذا کانا قد بادرا إلی اقتراح من هذا القبیل، فذلک یشیر إلی نقص فیهما، لأنهما یخالفان بذلک قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۱).

و الصحیح هو: أن هذا هو قرار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و لم یحتج فیه إلی أحد.

و قد صرحت بعض الروایات: بأنه بمجرد أن أعلن أبو سفیان بالشهادتین أمر النبی (صلی اللّه علیه و آله) العباس بأن یأخذه إلی العقبه لیراه جنود اللّه عز و جل، و یراهم.

أهداف حضور العرض:

و قد صرح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالهدف الذی کان یتوخاه من حضور أبی سفیان عرض جنود اللّه تعالی، و هو أمران:

أولهما: أن یراه الناس جنود اللّه، لتقوی بذلک عزائمهم، و یصح یقینهم بوعد اللّه تعالی لهم بالفتح و النصر، منذ الحدیبیه.

ثانیهما: أن یری هو جنود اللّه، لتذل و تتطامن نفسه الأمّاره بالسوء، التی تمنیه النصر، و تدعوه إلی محاربه اللّه و رسوله، و عباده المؤمنین، و لیکبته

۱- الآیه ۱ من سوره الحجرات.

اللّه تبارک و تعالی بذلک، و یشفی به صدور قوم مؤمنین طالما اضطهدهم، و ألحق بهم أنواعا من الأذایا و البلایا و الرزایا.

أبو سفیان یصر علی أن ما یراه (ملک):

و حین یعبّر أبو سفیان للعباس عن انبهاره بما یری، تراه یقول: ما أعظم ملک ابن أخیک.

فهو یزعم للعباس: بأن ما یراه إنما هو من مظاهر السلطان و الملک، و لا یرید ان یعترف للنبی (صلی اللّه علیه و آله) بالنبوه، لأنه قد یستطیع أن یصنع لنفسه ملکا یضاهیه، أو أن یکید لهذا الملک و یسقطه، أو یسلبه ممن هو له.

أما النبوه فهی شرف لا یمکن سلبه، و لا مجال للسعی للحصول علیه؛ لأن الإختیار فیه لا یعود إلیه، و لا إلی أحد یمکن الوصول إلیه، بل إلی اللّه تبارک و تعالی. و أبو سفیان لم یزل محاربا له سبحانه، منتهکا لحرماته ..

و لذلک تراه یصر علی توصیف کل ما یراه بأنه (ملک)، متجاهلا کل ما یراه من معجزات و کرامات لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) .. لأنه یری: أن ذلک من مصلحته، کما أن مصلحته- بزعمه الفاسد- هی بإنکار النبوه، أو التشکیک فیها علی الأقل.

أغدرا یا بنی هاشم؟!:

إن أبا سفیان لم یزل یصف النبی (صلی اللّه علیه و آله) بأفضل الصفات، و بأنه أبر الناس و أوصلهم، و أرحمهم، و بأنه الحلیم الکریم، و ..

و .. و قد عرفه الناس بأنه الوفی الذی لا یغدر، و الواضح الذی لا یمکر،

و الطاهر الذی لا یفجر.

و قد رفض (صلی اللّه علیه و آله) بعد عهد الحدیبیه أن یستجیب لطلب أبی بصیر بأن لا یسلمه لأهل مکه، و قال له: (لا یصح فی دیننا الغدر) (۱).

و قد کان وفاؤه هذا معروفا لدی المشرکین. و قد شهد بذلک مکرز بن حفص الذی بعثته قریش مع جماعه، لیستعلموا منه (صلی اللّه علیه و آله) عن سبب مجیئه إلی مکه فی عمره القضاء، فقالوا له: (و اللّه، ما عرفت صغیرا و لا کبیرا بالغدر).

إلی أن تقول الروایه: فقال مکرز: (هو الذی تعرف به البر و الوفاء) (۲).

و لکن أبا سفیان برغم هذا کله، بمجرد أن أشار إلیه العباس بأن یقف لحاجه له معه، بادر لوصف جمیع بنی هاشم بالغدر .. مع أن طلب الوقوف لیس فیه ما یشیر إلی غدر، و لا إلی سواه.

و لکن خوف أبی سفیان قد أعاده إلی غفلته، و أیقظ فیه سوء سریرته، فتعامل مع الأمور وفق طبعه هو، لا وفق ما یعلمه من النبی (صلی اللّه علیه و آله) و من بنی هاشم ..

و الذی دل علی ذلک: أنه قد برر و ستر بهذا الخوف ما صدر منه من اتهام بنی هاشم بالغدر، فإنه حین قال له العباس: لی إلیک حاجه.

قال له أبو سفیان: فهلا بدأت بها أولا.

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۲۴.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۱۹۱ و فی هامشه عن الطبقات الکبری ج ۲ ص ۹۲ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۴ ص ۳۲۱ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۷۳۴.

فقلت: إنّ لی إلیک حاجه، فیکون أفرخ لروعی.

العده و العدد:

و قد تقدم: أنه (صلی اللّه علیه و آله) أمر العباس بأن یوقف أبا سفیان علی رأس العقبه لیراه عباد اللّه و یراهم .. ثم عبأ (صلی اللّه علیه و آله) أصحابه، و أمرهم بإظهار الأداه و العده ..

و لا یحتاج هذا الإجراء إلی بیان، فهو المنطق الذی یفهمه عبید الدنیا، الذین یفهمون الأمور بمقادیرها، و یقومونها بأحجامها، و هیآتها المادیه، لا بمضمونها و معناها الواقعی.

کتائب أم قبائل:

و قد أمر النبی (صلی اللّه علیه و آله) منادیا ینادی: لتصبح کل قبیله قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رایته. ثم صارت القبائل تمر علی قادتها و القبائل علی رایاتها ..

و السؤال هنا هو: عن السبب فی هذه التبعیه التی تعتمد علی التصنیف العشائری مع أن الإسلام یرفض المنطق القبلی و العشائری.

و نقول فی الجواب:

إن للعشائریه و القبائلیه حالتین:

إحداهما: غیر مضره و لا مسیئه لأحد، و ربما تکون محبوبه و مرضیه یتجاوز فی محبوبیتها درجه الإستحباب لتصل إلی الوجوب.

و لتصبح بذلک منشأ للعقوبات و المثوبات الإلهیه، لأن لها دورا فی بناء الحیاه، و فی تصحیح مسارها .. مثل صله الأرحام، و قضاء حوائجهم، و قد

حفظ الإسلام هذه الصله و الخصوصيه، و رضيها.

و لكنه نزع منها أو فقل: غيّر فيها نزعه العصبيه و كرّسها فى أن تكون عصبيه للحق، و للدين، و السعى لرضا اللّه تعالى، و الالتزام بأوامره فى حفظ نفس هذه الصله أيضا.

الثانيه: العصبيه للعشيره، و للنسب، و الإندفاع فى تلبيه طموحات ذلك المتعصب، و أهوائه إلى حد الظلم و العدوان على الآخرين، لمجرد الإستجابه للداعى النسبى، أو العشائرى. و هذا مرفوض و مدان فى الإسلام.

و من الواضح: أن ترتيب الكتائب وفق التصنيف العشائرى هو من الصنف الأول أى أنه لا يوجب ضررا، بل هو مفيد و سديد، و يوجب تنافسا فى السعى إلى تحقيق رضا اللّه تبارك و تعالى فيما ندبهم إليه .. و هو يدفع أيضا إلى التناصر فى ساحات الجهاد، و يقلل من حجم الخسائر بين أهل الإيمان.

بل لقد كان لهذا التنظيم فائده أخرى هامه جدا، و خصوصا فى فتح مكه .. حيث رأى أبو سفيان: كيف أن مختلف قبائل العرب، التى طالما علّق آماله على نصرها، تنضوى تحت لواء الإسلام، و تأتى لفتح بلد كان يعتبره آخر ما يمكن أن يفكر أحد بجمع الجيوش لدخوله ..

و لذلك كان أبو سفيان كلما مرت به قبيله من تلك القبائل، على هيئتها و بعدتها القتاليه، يعرب عن حيرته فى دوافع تلك القبيله إلى أن تكون فى موقع المحارب له، ثم أن تبلغ فى عدائها له و للمشركين إلى هذا الحد، و هو أن تدخل مكه، فيقول: ما لى و لقبيله كذا .. ثم يكرر هذا القول بالنسبه للقبيله التى تليها .. و هكذا.

و قد يقول عن بعض القبائل: (ما كان بيننا و بينها تره قط).

و قال عن بعضها: (جاءتنى تقعقع من شواهقها).

بل هو حين مر به بنو بكر قال: أهل شؤم و اللّه، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم.

و لعل أكثر ما آلم قلبه هو: أنه قد مرت به قبائل كانت من أشد الناس عداوه لمحمد (صلى اللّه عليه و آله) .. فما الذى قلب الأمور، و كيف تغيرت الأحوال؟!

من هؤلاء:

و لكن يبقى لنا سؤال عن طبيعه أسئله أبى سفيان للعباس عن الأشخاص و عن القبائل .. فقد كانت معرفه أبى سفيان تضاهى معرفه العباس بهم و بها، فقد كانا يعرفان خالدا و عمر بن الخطاب، و .. و .. الخ .. و يعرفان سليما و بنى بكر، و بنى أشجع الخ ..

فهل كانت أسئله تقديريه، أم أنه كان متجاهلا- فى أسئلته لا جاهلا، ليظهر للعباس أنه قد فوجئ بالأمر؟! أم أن هناك بعض الأسباب الأخرى التى لم تخطر على بالنا؟!

كل ذلك نجعله فى بقيه الأماكن و لكن النتيجه واحده على كل حال، و هى فتح اللّه تعالى لنبيه (صلى اللّه عليه و آله)، و نصره على أهل الشرك و الضلال.

خالد .. غلام!!:

و قد ورد فى الروايات المتقدمه: أن أبا سفيان وصف خالد بن الوليد

بالغلام حین رآه یقود کتیبته و هو یدخل مکه (۱).

و لا نـدری ما المبرر لإطلاق هـذا الوصف علیه، فقد کان عمره عالیا، و قد یکون من أتراب أبی سـفیان نفسه، إن لم یکن أسـن منه.

و هـل یصـح أن یوصف ب (الغلام) من یزعمون: أنه کان أحـد أشـراف قریش فی الجاهلیه (۲)، و إلیه کـانت القبه التی کـانوا یضربونها، ثم یجمعون إلیها ما یجهزون به الجیش؟ (۳).

و إلیه- حسب زعمهم أیضا- کانت أعنه خیل قریش فی الجاهلیه (۴).

إلا إذا کان یقصد ب (الغلام) الشیخ، علی اعتبار أن هذه الکلمه من الأضداد التی تطلق علی الفتی الطار الشارب و الکهل (۵).

و لکن قد یقال: إنه تأویل غیر مقبول؛ لأن أبا سفیان لما سمع باسم خالد قال مستفهما: (الغلام؟ قال: نعم).

فقد یفید هذا السیاق: أن هذه الکلمه مما عرف إطلاقها علی خالد ..

فکأنها کانت من ألقابه لمناسبه اقتضت ذلک.

۱- الإصابه ج ۱ ص ۴۱۳ و الإستیعاب (مطبوع مع الإصابه) ج ۱ ص ۴۰۶ عن الزبیر بن بکار.
۲- الأعلام للزرکلی ج ۲ ص ۳۰۰.
۳- تاریخ مدینه دمشق ج ۱۶ ص ۲۵۴ و ج ۲۴ ص ۱۱۸ و البدایه و النهایه ج ۵ ص ۳۶۶.
۴- الأعلام للزرکلی ج ۲ ص ۳۰۰ و تاریخ مدینه دمشق ج ۱۶ ص ۲۵۴ و ج ۲۴ ص ۱۱۸ و البدایه و النهایه ج ۵ ص ۳۶۶.
۵- راجع: أقرب الموارد ج ۲ ص ۸۸۴.

اللواء و الرايه:

قدمنا بعض الحديث عن اللواء و الرايه، و اتحادها أو عدمه، فی أوائل غزوه أحد، و ربما فی مواضع أخری أيضا ..

و سياق الحديث فی بعض النصوص المتقدمه يشير إلی اختلافهما أيضا.

و يظهر من بعضها خلاف ذلک.

فهو يجمع بين الألويه و الرايات، فيقول عن بنی سليم: كان معهم لواءان و رايه.

و أضاف المعتزلی رايه أخری أيضا.

و لكنه تحدث عن خصوص الألويه فی مواضع أخری، فقد قال عن بنی مزينه: إن لهم ثلاثه ألويه.

و عن جهينه: إن فيهم أربعه ألويه.

و عن أشجع: كان فيهم لواءان.

و عن بنی سليم: كان معهما لواءان، و لم يذكر رايات.

و ذكر لبعض الفئات: رايه أو أكثر، و لم يذكر لها لواء مثل المهاجرين، و أفناء العرب، و كذلک الحال بالنسبه لقبيله غفار.

و كل ذلک يزيد فی إبهام الأمر بالنسبه للاصطلاح الذی جری عليه الرواه هنا.

و لعل ذلک يعزز ما قلناه من عدم الفرق بين اللواء و الرايه، و إن كان بعض الرواه قد يستنسب خصوصيه فی مورد، فيبادر إلی التفريق بينهما فی تعابيره لأجلها، و إن لم يكن لها مدخليه حقيقيه فی أصل المعنی.

الرايات السود:

و قد ذكر فيما تقدم: أن رايه المهاجرين و أفناء العرب كانت سوداء ..

و قالوا أيضا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد عقد يوم حنين و يوم الفتح رايه سوداء (۱).

و سيأتى أيضا عن أبى هريره: أنه (صلى اللّه عليه و آله) دخل مكه يومئذ (و عليه عمامه سوداء، و رايته سوداء و لواؤه أسود) (۲).

و نقول:

إننا لم نجد مبررا لعقد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) رايه لعمه، خصوصا بملاحظه الروايه الصحيحه التى صرحت: بأن العباس كان من الطلقاء ..

و لو أغمضنا النظر عنها؛ فإن عقد رايه له معناه: أن يطبل العباسيون و يزمروا لها ما شاؤوا.

و لكانت قد حفلت كتب التاريخ بذكرها تبركا، أو تزلفا لهم!! و لم نجد لذلك أثرا، لا فى تبجحات العباسيين، و لا فى تزلفات المتزلفين.

و بالمناسبه نقول:

قد يظهر من الكميت: أن الرايه التى كان المسلمون يرفعونها فى حروبهم ضد الكفار كانت سوداء، فهو يقول:

و إلا فارفعوا الرايات سوداعلى أهل الضلاله و التعدى

۱- صبح الأعشى ج ۳ ص ۳۷۰ عن كتاب الحاوى الكبير للماوردى.

۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۴.

و قد كانت رايه على (عليه السلام) فى صفين سوداء أيضا (۱)، و قد خاطب صلوات اللّه و سلامه عليه حضين بن المنذر بقوله:

لمن رايه سوداء يخفق ظلهاإذا قيل: قدمها حضين تقدما (۲)

لقد عزّ عمر بعد قله و ذله:

و قد تكلمنا فيما سبق عن مقام و موقع عمر فى الجاهليه و فى الإسلام، و ليس لنا أن نعيد ما ذكرناه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فى فصل (حتى الشعب)، تحت فقره بعنوان: (هل عز الإسلام بعمر حقا)؟!

و قد أظهرت النصوص الصريحه: أن عمر بن الخطاب لم يكن من بيوت العز و الشرف و السؤدد، بل كان فى قله و ذله، و كان هو فى نفسه عسيفا، أى تابعا مستهانا به.

و لكن بالإسلام ينال الناس الشرف و العزه، إلا إذا تخلفوا عن الإلتزام بمناهجه، و عن العمل بتعاليمه .. فلا بد من ملاحظه سيره حياتهم، و تقييمهم على هذا الأساس.

۱- راجع: السياده العربيه و الشيعه و الإسرائيليات هامش ص ۱۲۶.

۲- الغارات ج ۲ ص ۷۹۰ و ۷۹۲ و مواقف الشيعه للأحمدى ج ۱ ص ۱۲۵ و دستور معالم الحكم لابن سلامه ص ۱۹۶ و تاريخ مدينه دمشق ج ۱۴ ص ۲۹۳ و ۲۹۶ و ج ۱۶ ص ۲۱۰ و تهذيب الكمال ج ۶ ص ۵۵۶ و الإصابه ج ۵ ص ۹۳ و الأعلام للزركلى ج ۲ ص ۲۶۲ و أنساب الأشراف ص ۲۶۹ و ۳۰۷ و الأنساب للسمعانى ج ۱ ص ۴۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۲۶ و المنتخب فى ذيل المذيل للطبرى ص ۱۴۶ و الجمل للمفيد ص ۱۷۲.

أبو سفيان يصر على موقفه:

و قد ذكرنا في فصول متقدمه: كيف تعامل أبو سفيان مع ما جرى على خزاعه، حين قتلت بنو بكر و قريش طائفه من نسائها و صبيانها، و ضعفاء الرجال فيها، و نقضوا بذلك عهدهم مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و كان رأيه جحد هذا الأمر، و إنكاره .. و سافر من مكه إلى المدينه لكى يوهم المسلمين ببراءه قريش من هذا الأمر، و حصر الأمر فيه بآحاد من بنى بكر.

و ها هو يعود ليزعم: أنه كان لما جرى على خزاعه كارها ..

و ليت شعرى إذا كان له كارها، حيث بلغه، فلما ذا سعى في طل دماء أولئك المقتولين ظلما، و جحد أن يكون لقريش أى أثر فيه، و سافر إلى المدينه لإيهام المسلمين بهذا الأمر؟!

و لكنه أمر حتم:

و اللافت: أن أبا سفيان يعود هنا فيلقى بالمسؤوليه على القدر، و يتحاشى أن ينسب إلى أولئك المجرمين القتله أيه مسؤوليه عن قتل أولئك الأبرياء، فهو يقول: (و لكنه أمر حتم).

و نقول له:

إنه أمر صنعته إرادات و أيدى زعماء قريش، و زعماء بنى بكر، و لم يرحموا فيه صغيرا و لا كبيرا، و لم يجبرهم عليه أحد.

فهو لم يكن محتوما لو لا ركوبهم لخيول الهوى و العصبيه، و طاعتهم للشيطان.

هذا .. و قد عوّدنا الأقوياء حين يضعفون و يعجزون، و كذلك الذين يستشعرون بعض القوه، ثم يظهر لهم ما هم فيه من الوهن و الفشل- عودونا- أن يبرروا ذلك بالإحاله على القـدر، أو على الجبر التكوينى الإلهى، لتغطيه ذلك العجز و الوهن، و التستر على ما هم فيه من فشل و خيبه ..

و قد كانت عقيده الجبريه فى المشركين، و ورثها الناس عنهم، و ربما يكون لأهل الكتاب أيضا دور فى ترسيخها فيهم.

قال تعالى عن المشركين: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْ ءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. (۱).

بل إن اليهود قد جعلوا اللّه تعالى محكوما بقدره، و مقهورا و مجبرا فيما يفعل، فقد قال سبحانه عنهم: وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ .. (۲).

و قد استخدم الحكام و أهل الأطماع هذه العقيده لخدمه مصالحهم، و تسيير أمورهم، و حل مشاكلهم، و الخروج من بعض المآزق التى أوقعوا أنفسهم فيها.

و برروا بها إقدامهم على كثير من الأمور غير المشروعه أيضا.

ثم وضعت الأحاديث الكثيره على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لتأييد هذه العقيده و نشرها ..

من أجل هذا و ذاك ظهرت هذه العقيده فى مفردات كثيره من مواقف

۱- الآيه ۱۴۸ من سوره الأنعام.

۲- الآيه ۶۴ من سوره المائده.

و کلمات و تصرفات الخلفاء و الحکام، و الشخصیات المعروفه- باستثناء علی و أهل بیته (علیهم السلام)- فراجع ما ینقل من ذلک عن عمر، و أبی بکر، و عائشه، و خالد بن الولید، و معاویه، و عمر بن سعد، و المنصور و .. و .. الخ ..

و بها بررت عائشه حرب الجمل التی خاضتها ضد أمیر المؤمنین (علیه السلام) (۱).

و بها برر عمر بن الخطاب بعض أعماله حتی حین مزق کتابا سجل فیه حکما فی مسأله إرثیه ..

و بها برر عثمان تمسکه بالحکم إلی أن قتل.

و بها احتج معاویه لعهده بالخلافه بعده لیزید الخمور و الفجور.

و بها برر عمر بن سعد قتله للإمام الحسین (علیه السلام).

و بها استدل خالد بن الولید لقتل مالک بن نویره، و من معه من المسلمین.

و بها برر معاویه و المنصور العباسی منع الناس من حقوقهم فی بیت مال المسلمین.

إلی غیر ذلک مما لا مجال لتتبعه و استقصائه (۲).

۱- المحاسن و المساوی للبیهقی ج ۱ ص ۴۷۱ و راجع: شواهد التنزیل ج ۲ ص ۳۸ و ۳۹ و تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۲۷۶ و مجمع البیان ج ۸ ص ۳۵۷ و راجع: البحار ج ۳۵ ص ۲۲۲ و فی هامشه عن الطرائف ص ۲۰.

۲- إن ما تقدم من أمثله و شواهد، و من أحادیث أیضا موجود فی المصادر المختلفه بصوره متفرقه، فمن أراد أن یقف علی متفرقاته و یجمع بین شتاته، فلیلتقط بعضه من المصادر التالیه: تأویل مختلف الحدیث ص ۵ و ۶ و ۲۹ و ۴۵ و ۴۸ و ۸۲ و ۸۳ و ۱۲۸ و ۲۳۵ و ۲۳۶ و الهدی إلی دین المصطفی ج ۲ ص ۱۶۲ و ۲۷۱ و المصنف للصنعانی ج ۱۰ ص ۱۱۹ و ۱۲۲ و ۱۸ و ج ۶ ص ۳۵۶ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۱۲ و ۹۵ و ۹۴ و ۲۳۰ و ج ۳ ص ۴۸۷ و ۴۹۲ و ۵۰۱ و ۵۲۹. و راجع: الغدیر ج ۷ ص ۱۴۷ و ۱۵۴ و ۱۵۸ و ج ۸ ص ۱۳۲ و ج ۹ ص ۳۴ و ۹۵ و ۱۹۲ و ج ۱۰ ص ۳۳۳ و ۲۴۵ و ۲۴۹ و ج ۵ ص ۳۶۵ و ج ۶ ص ۱۲۸ و ۱۱۷ و نور القبس ص ۳۱ و ۲۶۶ و ۶۵ و عیون الأخبار لابن قتیبه ج ۴ ص ۶۹ و مدارک التنزیل (مطبوع بهامش تفسیر الخازن) ج ۱ ص ۴۰۱ و قاموس الرجال ج ۶ ص ۳۶ و الفتوح لابن أعثم ج ۴ ص ۲۳۹ و ربیع الأبرار ج ۲ ص ۶۴ و ۶۵ و ج ۱ ص ۸۲۱ و المعجم الصغیر ج ۱ ص ۱۵۸ و ۷۴ و ۱۳۰ و ۲۵۵ و ج ۲ ص ۶۷ و ۵۵ و الطبقات الکبری (ط دار صادر) ج ۵ ص ۱۴۸ و ۵۴۳ و ج ۷ ص ۱۶۳ و ۴۱۷ و ج ۳ ص ۷۲ و ۶۶ و کلمه الأدیان الحیه ص ۷۷ و ۸۰ و الإلمام ج ۶ ص ۱۱۹ و لسان المیزان ج ۱ ص ۴۴۸ و الکفایه فی علم الروایه ص ۱۶۶ و جامع بیان العلم ج ۱ ص ۲۰ و ج ۲ ص ۱۴۸ و ۱۴۹ و ۱۵۰ و ضحی الإسلام ج ۳ ص ۸۱ و شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج ۱ ص ۳۴۰ و ج ۱۲ ص ۷۸ و ۷۹ و الإمامه و السیاسه ص ۱۸۳ و الأخبار الدخیله (المستدرک) ج ۱ ص ۱۹۳ و ۱۹۷ و مقارنه الأدیان (الیهودیه) ص ۲۷۱ و ۲۴۹ و أنیس الأعلام ج ۱ ص ۲۷۹ و ۲۵۷ و التوحید

و إثبات صفات الرب ص ۸۰- ۸۲ و المقدمه لابن خلدون ص ۱۴۳ و ۱۴۴ و الأغانی ج ۳ ص ۷۶ و العقد الفرید ج ۱ ص ۲۰۶ و ج ۲ ص ۱۱۲ و تاریخ الأمم و الملوک (ط مطبعه الاستقامه) ج ۲ ص ۴۴۵ و بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص ۴۳ و ۴۹ عن العدید من المصادر و تذکره الخواص ص ۱۰۴ و ۱۰۵ و تاریخ بغداد ج ۱ ص ۱۶۰ و بهج الصباغه ج ۷ ص ۱۲۰ و الدر المنثور ج ۶ و المغازی للواقدی ج ۳ ص ۹۰۴ و الموطأ (مطبوع مع تنویر الحوالک) ج ۳ ص ۹۲ و ۹۳ و مصابیح السنه للبغوی ج ۲ ص ۶۷ و مناقب الشافعی ج ۱ ص ۱۷ و صحیح البخاری ج ۸ ص ۲۰۸ و المعتزله ص ۷ و ۳۹ و ۴۰ و ۸۷ و ۹۱ و ۲۰۱ و ۲۶۵ عن المنیه، و الأمل ص ۱۲۶ و الخطط للمقریزی ج ۴ ص ۱۸۱ و الملل و النحل ج ۱ ص ۹۷ و ۹۸ و العقائد النسفیه ص ۸۵ و وفیات الأعیان ص ۴۹۴. و فی (الإمام الصادق و المذاهب الأربعه) ج ۳ ص ۴۵ عن الطبری ج ۶ ص ۳۳ و ج ۳ ص ۲۰۷ و عن الترمذی ص ۵۰۸. و فی حیاه الصحابه نقله عن المصادر التالیه: کنز العمال ج ۳ ص ۱۳۸ و ۱۳۹ و ج ۸ ص ۲۰۸ و ج ۱ ص ۸۶ و صحیح مسلم ج ۲ ص ۸۶ و أبی داود ج ۲ ص ۱۶ و الترمذی ج ۱ ص ۲۰۱ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۲۰۹ و السنن الکبری للبیهقی ج ۹ ص ۵۰ و ج ۶ ص ۳۴۹ و مسند أحمد ج ۵ ص ۲۴۵ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۳ و ج ۱ ص ۱۳۵ و تاریخ الأمم و الملوک للطبری (مقتل بریر) ج ۴ ص ۱۲۴ و ج ۳ ص ۲۸۱ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۷۹. و نقل أیضا عن: جامع البیان ج ۶ ص ۶۰ و عن تفسیر القرآن العظیم ج ۱ ص ۵۹۴ و عن أنساب الأشراف ج ۵ ص ۲۴.

هذا .. و قد تصدى أمير المؤمنين و أهل البيت (عليهم السلام) و كذلك شيعتهم (رضوان اللّه عليهم) لهذه العقيده الفاسده، بكل ما أمكنهم .. كما تصدوا لكل فاسد وافد، و بينوا زيفه بالأدله و بالشواهد ..

بنو بكر أهل شؤم:

و قد قال أبو سفيان عن بنى بكر، حين مروا به: (نعم، أهل شؤم و اللّه! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم).

و نقول:

إنه كلام غير سليم، و هو يستبطن نوعا من التدليس للحقيقه، و المغالطه

فيها، فلاحظ ما يلى:

أولاـ إن بنى بكر لم يكونوا وحدهم حين قتلوا الأطفال، و النساء، و الضعفاء من رجال خزاعه، بل كان معهم من قريش جماعه فيهم زعماء، و كبار، و لم يكن بنو بكر ليجبروهم على اتخاذ موقفهم، بل اتخذوه بمل ء اختيارهم.

فما معنى: أن يعتبرهم شؤما، فضلا عن أن يجعلهم سبب غزو محمد (صلى اللّه عليه و آله) لقريش؟!

ثانيا: لو صح قول أبى سفيان هذا، فقد كان بإمكانه أن يتلافى ما حصل، بالعمل على القصاص من المجرمين، أو على الأقل أن يعطى أولئك القتله الظالمون خزاعه ديه قتلاها ..

ثالثا: لماذا ساهم هو فى التستر على مرتكبى الجريمه، و فى السعى لخداع المسلمين، و إعطائهم انطباعا خاطئا عن حقيقه ما جرى؟!

موقف النبى صلّى اللّه عليه و آله من كلام سعد:

و عن قول سعد بن عباده: اليوم يوم الملحمه، اليوم تستحل الحرمه، اليوم أذل اللّه قريشا، نقول:

إنه مرفوض جمله و تفصيلا، بعد أن صدرت الأوامر الصارمه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و ظهرت رغبته الأكيده بحفظ حرمه بيت اللّه، و حرمه.

و هذا ينم عن جهل، أو عن عصبيه جاهليه اعترت سعدا فى ذلك الموقف .. إلا إذا كان يريد أن يخيف أبا سفيان، أو أنه أطلق كلماته تلك انسياقا

مع مشاعره الجياشه، و انسجاما مع عواطفه الثائره، بعد كل ما رآه من بغى و طغيان، و ظلم مارسته قريش ضد الإسلام و أهله طيله أكثر من عشرين سنه.

و فى جميع الأحوال نقول:

إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يريد حفظ حرم اللّه و التأكيد على كرامه بيته، لأن فى ذلك حفظ الإسلام .. حتى لو أدى ذلك إلى أن يتمكن بعض الظلمه من أن يفلتوا من العقوبه التى يستحقونها فى هذه الدنيا، و لم يكن يريد حفظ أقاربه و قومه، بما هم قوم و أقارب، فقد أثبتت الأيام: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا- يفكر بهذه الطريقه، و لا ينطلق فى مواقفه من مثل هذه المفاهيم و المعانى.

كما أنه يريد: أن يفسح المجال للناس الذين استضعفهم أولئك المستكبرون، ليمارسوا حريتهم فى الاختيار و فى الممارسه، و أن يمنع حدوث أى شى ء يؤسس لأحقاد، أو لطلب ثارات، قد تتسبب فى تفجير أوضاع خطيره على مستقبل الدين و أهله ..

و قد نسبت بعض الروايات إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) قوله: (كذب سعد). و هى كلمه قويه و حاده، إن كان يريد أن سعدا تعمد أن يكذب.

و إن كان يريد أنه لم يصب الواقع، لاشتباه الأمر عليه، فظن أن يوم المرحمه هو يوم الملحمه، فليس فى هذه الكلمه إهانه لسعد، بل هو يريد تخطئته و حسب.

يوم المرحمه و يوم عزّ قريش:

و لا شك فى أن الرحمه الإلهيه قد شملت أهل مكه بهذا الفتح الذى

فرض علیهم الإسلام، و أدی إلی هیمنه أحکامه و شرائعه، التی هی محض الحق و العدل، و بها یکون لهم بلوغ درجات الکرامه و الفضل.

إنه یوم رفع الظلم، و الجبریه، و یوم إعلان الحرب علی الفساد و المفسدین، و إبطال حکومه الأهواء و النزوات، و إسقاط هیمنه العصبیات و الشهوات.

و هو أیضا: یوم تعظیم الکعبه و کسوتها .. بعد أن خرجت من ید المشرکین بربهم، الذین هتکوا حرمه حرم اللّه بذبح أطفال، و نساء، و ضعفاء رجال خزاعه فیه .. و تجرؤوا علی اللّه بعباده الأصنام فی بیته و الدعوه إلی الشرک به تعالی فیه ..

و هو یوم عزّ قریش التی أعلنت براءتها من الشرک، و التزامها بالإیمان باللّه، و بأنبیائه و رسله، و قبول دینه، فمنحها ذلک حصانه، و عزه، حتی لو کان إیمانها لا یزال فی مراحله الأولی، الذی یقتصر علی مجرد الإعلان اللسانی، و لم یلامس بعد شغاف القلوب، و لم یتمازج مع الأرواح، و لا طبعت به النفوس.

أخذ الرایه من سعد:

و لم یکن أخذ الرایه من سعد یهدف إلی إهانته، أو المسّ بمقامه. و لذلک أخذت منه لکی تعطی لمن هو أولی بها منه و من کل أحد، ألا و هو علی بن أبی طالب (علیه السلام)، لیدخلها إلی مکه إدخالا رفیقا، بعیدا عن أجواء الإثاره و التحدی، و الرهج (۱)، و الحرکات المؤذیه للناس ..

۱- الرهج: الشغب.

و يعيـدها إلى قيس بن سـعد بن عباده، ليركزها عند الحجون، لأن إعطاء الرايه للولد يرضـى الوالد، و يحفظ ماء وجهه، و يطمئنه إلى أن المقصود ليس هو الطعن بمقامه، و إنما تهدئه الأمور، و تبريد الأجواء.

و بذلك نسـتطيع أن ندرك: أن الروايات التى ذكرت أخذ الرايه من سـعد، لتعطى لعلى (عليه السـلام)، أو لقيس بن سعد ليست متنافره.

كما أنها لا تتضـمن إهانه أو حطا من مقام سـعد. و إن كان محبو أبى بكر و عمر قـد يرضـيهم إعطاؤها هذا الطابع، لأن سـعدا لا يحظى بالإحترام، و التقدير لديهم، و لا يتمتع بالحصانه التى تمنع من نسبه ذلك إليه، لأنه بنظرهم يسـتحق كل مهانه، لأنه نافس أبا بكر على الخلافه فى يوم السقيفه، فى حديث معروف و مشهور ..

و ممـا يـدل على أن النبى (صـلى اللّه عليه و آله) لم يقصـد ذلك: ما تقـدم من أنه (صـلى اللّه عليه و آله) نزع اللواء من يـده، و جعله إلى ابنه قيس. و قد قالوا: و رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه.

سعد لم يكن ينوى البطش بأهل مكه:

و مما يؤكـد: على أن سـعدا لم يكن ينوى البطش بأهل مكه، و إنما قال ما قال على سبيل التهديـد و التخويف لأبى سـفيان .. أو لأنه فهم أن الأمور سـتؤول إلى ذلك، ما رووه: من أنه بعـد أن صار اللواء إلى ولده خاف أن يقدم ولده على شـى ء من العنف، فطلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن

يأخذ اللواء حتى من ولده (۱).

و أما احتمال أن يكون قد طلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يأخذ اللواء من ولده قيس بسبب انزعاجه من عزله و توليه ولده، فهو احتمال ردى ء يؤدى إلى إتهام سعد فى دينه، من حيث إنه يتضمن اعتراضا منه على النبى (صلى اللّه عليه و آله).

و أما القول: بأن لا شى ء يدل على أن سعدا قد خاف على ولده من أن يرتكب مخالفه فيبادر إلى الطلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يأخذ منه الرايه أيضا.

فيقال فى جوابه: إنه يمكن أن يكون راوى الحديث قد رأى قرائن و دلالات، أعطته الانطباع بأن سعدا يريد حفظ ولده من أن يقع فى خلاف ما يريده رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

على عليه السّلام صاحب اللواء:

و لسنا بحاجه إلى إعاده التذكير بأن عليا (عليه السلام) كان صاحب لواء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى كل مشهد، و فى يوم فتح مكه أيضا.

و قد تقدم ذلك فى أوائل غزوه أحد.

و قد صرحت النصوص هنا: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أضاف إلى على لواء سعد بن عباده أيضا.

غير أن ثمه من يدّعى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أعطى رايه سعد

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ عن البزار.

للزبير، و زعموا: أن الزبير دخل مكه بلواءين.

و هى روايه الزبيريين لصالح سيدهم و كبيرهم، بل يظهر من ملاحظه بعض الروايات: أن الزبير قد روى ذلك أيضا لنفسه، فى محاوله منه لجر النار إلى قرصه ..

غير أننا نقول:

لنفترض: أن لهذا الكلام نصيبا من الصحه، فلعل أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن أدخل الرايه إلى مكه إدخالا رفيقا، إمتثالا لأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)- لعله- أعطاها بعد ذلك للزبير، مكتفيا هو بحمل لواء الجيش كله، حسبما ألمحنا إليه ..

فإنهم يقولون: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أمر عليا، فأخذ الرايه، فذهب بها إلى مكه حتى غرزها عند الركن (۱). فلعله جعلها مع الزبير مده يسيره بعد ذلك إلى أن جاء قيس بن سعد، فأخذها من الزبير و أوصلها إلى الحجون.

عمر بن الخطاب يتعاطف مع قريش:

و اللافت هنا: أن عمر بن الخطاب الذى أظهر حرصه على قتل أبى سفيان قبل قليل، و لم يزل يظهر الشده على المشركين، و يطالب بسفك دمهم، هو الذى سمع سعدا يقول: اليوم يوم الملحمه الخ .. فجاء إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قال له: (يا رسول اللّه، اسمع ما قال

۱- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲.

سعد!! ما نأمن أن يكون له فى قريش صوله) (۱).

ثم تابعه على ذلک عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان (۲).

ثم دس ضرار بن الخطاب بشعره المتقدم مع امرأه لتنشده النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و هو یستعطفه فیه أیضا علی أهل مکه، بعد أن سمع هو الآخر مقاله سعد بن عباده.

فما هذا الحرص من خصوص هؤلاء علی سلامه قریش من صولات سعد؟!

و لماذا یکون عمر شدیدا هناک، فی حین کان واضحا لکل أحد أن المصلحه هی فی عدم التعرض لأحد من أولئک الناس، و أن الأمر فیهم لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) دون سواه، ثم یکون حریصا علی سلامه قریش هنا، حیث لا یوجد ما یمنع سعدا من أن تکون له فی قریش صوله إلا تدخّل النبی (صلی اللّه علیه و آله) معه لمنعه من ذلک .. مع توفر الدواعی للبطش بقریش، و کسر عنفوانها، و مجازاتها علی بعض ما صدر منها من ظلم، و ما ارتکبته من جرائم فی حق سائر أهل الإیمان فی المنطقه بأسرها.

و أما استبعاد البعض: أن یکون عمر قد فعل ذلک، لکونه کان معروفا بشده البأس علیهم (۳)، فقد تقدم فی غزوه أحد ما یفید فی بیان عدم صحه هذا الکلام، حیث قلنا: إن هناک ما یشیر إلی وجود عطف متبادل فیما بین

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲.

۲- تقدمت المصادر لذلک.

۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱.

المشركين و بين عمر.

و أما المواقف التى كان يظهر فيها عمر شدته عليهم، فإنما هى فى المواقع التى كان يعلم أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد اتخذ قرارا بعدم التعرض لهم. و لأجل ذلك لم نجده (صلى اللّه عليه و آله) أذن له و لو مره واحده بإلحاق الأذى بأى فرد منهم، رغم كثره طلبه ذلك منه (صلى اللّه عليه و آله).

أبو سفيان يقبّل غرز رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله):

و قد أشرنا أكثر من مره إلى مشروعيه التقبيل للأنبياء و الأولياء و آثارهم، و قد ذكر فى الروايات الكثير من الشواهد و الدلالات على ذلك، و الروايات المتقدمه أظهرت سعى أبى سفيان، و مزاحمته للناس حتى مر تحت الرماح، و وصل إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و أخذ بغرزه فقبله ..

و لم يمنعه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من ذلك، و لا أشار إلى أى تحفظ على هذا التقبيل، فيدخل تحت قاعده مشروعيه فعل ما سكت المعصوم عن الاعتراض على فاعله ..

و من جهه أخرى، فإن أبا سفيان الذى لم يزل يجد فى داخله إرهاصات الانتقام من النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين استكبارا منه، و ظلما و عتوا قد أصبح فى موقع المستجدى لعطفهم، و المتملق لهم، و المقبّل لغرز النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و المعلن بالمدح و الثناء عليه، فهو يقول له: أنت أبر الناس، و أوصل الناس، و أرحم الناس.

فهل يعتبر هذا الرجل، و يكف عن التآمر، و الكيد، و بث الفتن و الأحقاد؟!

تأثير المرأه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله!!:

و قد تقدم فى بعض الروايات: أن ضرار بن الخطاب الفهرى حين سمع مقاله سعد أرسل أبياتا مع امرأه من قريش، فعارضت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بها، (فكأن ضرارا أرسل به المرأه ليكون أبلغ فى انعطاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على قريش).

و نقول:

إن هذا تفكير تافه و سخيف، يتناسب مع ذهنيه المشركين الذين لا يعرفون معنى النبوه، و لا يعيشون آفاقها.

فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و إن كان إنسانا كامل المزايا الإنسانيه و منها العاطفه الجياشه، و لكن عاطفته هذه تبقى خاضعه لعقله، و محكومه بالشرع و الدين، و برضا اللّه تبارك و تعالى ..

فإذا كان هذا العطف متوافقا مع الباطل، و يسخط اللّه، فإنه يتحول إلى غضب حازم، و قرار جازم لا يحابى، و لا يجامل، و لا تخالطه عاطفه، و لا عصبيات باطله.

و إن كان متوافقا مع الحق، و مع رضا اللّه، فرضاه تعالى هو الذى يحرك النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و الحق هو الذى يهيمن على تلك الحركه.

إيحاءات لا تجدى شيئا:

و قد ذكرت بعض الروايات المتقدمه: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد دخل مكه و هو بين أبى بكر (الصديق) و أسيد بن حضير، و هو يحدثهما ..

فقال العباس لأبى سفيان: هذا رسول اللّه!!

و نقول:

إن مجرد أن يمشى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بين هذا و ذاك لا يدل على فضيله لأى منهما.

إلا إذا ثبت: أنه (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى طلب منهما أن يكونا معه و إلى جانبه.

و ثبت أيضا: أنه أراد تكريمهما بذلك ..

و لم يثبت أى من هذين الأمرين .. لكننا نعرف أن من المألوف أن يسعى الناس أنفسهم للتقرب من العظماء، فكيف لا يتقربون من الأنبياء؟ و لا سيما فى مثل هذا الفتح العظيم.

بل إن التحدث عن أن هذا الأمر يشير إلى خصوصيه امتاز بها أبو بكر و أسيد بن حضير على من سواهما يوجب الريب فيما يدّعيه أتباع و محبو نفس هؤلاء، من تقدم لعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و سواهما على أسيد بن حضير، فكيف اختص أسيد بهذه الفضيله دون هؤلاء، بما فيهم عمر بن الخطاب؟!

و أما قولهم: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يحدث أبا بكر، و أسيد بن حضير .. فإن كان على تقدير أن يكون أحدهما قد سأل النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن أمر مّا، فكان النبى (صلى اللّه عليه و آله) يجيبه عنه، فهو مقبول ..

و أما إن كان يراد تعظيم أبى بكر و أسيد، و لو بقيمه تصغير شأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقد خاب من اعتدى و افترى على مقام النبوه الأقدس.

على أن من الجائز أن يكونا قد حشرا نفسيهما فى هذا الموقع، و بادرا إلى

طرح بعض الأسئله لكى يرى الناس أن لهما من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) موقعا خاصا.

أسلم بنا:

و عن قول العباس لأبى سفيان، حين بعث النبى (صلى اللّه عليه و آله):

أسلم بنا، نقول:

إنه لمن الغريب حقا: أن يكون ابن عبد المطلب سيد الحجاز، و شيخ بنى عبد مناف يعيش هذه التبعيه الذليله و المهينه أمام أبى سفيان، حتى إنه يعتبر إسلام أبى سفيان أساسا لإسلامه، و إسلام من هم على شاكلته من الناس .. فأبو سفيان هو المتصرف بهم، حتى فى قضايا الإيمان و الإسلام.

و يا ليت العباس كان قد تستر على هذا الضعف المهين، أو أخفى طرفا من هذه التبعيه المشينه، فإن إظهارها بهذه الطريقه، و كأنها من الأمور العاديه و المسلمه، حيث يقول: أسلم بنا!! فذلك يؤلم روح الإنسان الحر، و يؤذى مشاعره، لأنه يعتبر ذلك إهانه للإنسانيه و استخفافا بالضمير، و تحقيرا للعقل.

و على كل حال، فإن العباس بقى على تبعيّته لأبى سفيان طيله عشرين سنه، بل إنه حتى حين لم يعد له مناص هو و أبو سفيان من إعلان الإسلام لم يضعف اهتمامه بحفظ أبى سفيان، و لم يفتر عن السعى فى مصالحه، و ما يرضيه .. و لم نجده متحمسا لحفظ أهل الإيمان، حتى لابن أخيه على (عليه السلام) حين اعتدى عليه المعتدون بعد وفاه النبى (صلى اللّه عليه و آله)، بمقدار عشر حماسته لأبى سفيان فى يوم الفتح .. و ذلك ظاهر لا يخفى.

الفصل الثانی: دخول مکه

اشاره

أدوار مخترعه للعباس رحمه اللّه:

هـذا .. و قـد رووا: عن أبى سـلمه، و يحيى بن عبـد الرحمن بن حـاطب، و عن عروه: أن العباس قال: يا رسول اللّه!! لو أذنت لى فأتيتهم- أى أهل مكه- فدعوتهم فأمنتهم، فركب العباس بغله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الشهباء، و انطلق.

فقـال رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله): (ردوا علىّ أبى، ردوا علىّ أبى، فإن عم الرجل صـنو أبيه. إنى أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروه بن مسعود، دعاهم إلى اللّه- تعالى- فقتلوه، أما و اللّه لئن ركبوها منه لأضر منها عليهم نارا).

فكره العباس الرجوع، و قال: يا رسول اللّه، إن ترجع أبا سفيان راغبا فى قله الناس، فيكفر بعد إسلامه.

فقال: (احبسه) فحبسه.

فذكر عرض القبائل و مرورها بأبى سفيان، و فيه: فقال أبو سفيان:

امض يا عباس.

فانطلق العباس حتى دخل مكه، فقال: يا أهل مكه!! أسلموا تسلموا

قد استبطنتم بأشهب بازل (۱).

و فی حدیث عروه: و کفهم اللّه عز و جل- عن العباس- انتهی.

قال: ثم إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال لأبی سفیان: تقدم إلی مکه فأعلمهم الأمان (۲).

قال العباس: فقلت لأبی سفیان بن حرب: أنج ویحک، فأدرک قومک قبل أن یدخل علیهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

فخرج أبو سفیان، فتقدم الناس کلهم حتی دخل مکه من کداء، فصرخ بأعلی صوته: یا معشر قریش، هذا محمد قد جاءکم بما لا قبل لکم به، أسلموا تسلموا، من دخل دار أبی سفیان فهو آمن.

قالوا: قاتلک اللّه! و ما تغنی دارک؟!

قال: و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن.

فقامت إلیه هند بنت عتبه زوجته، فأخذت بشاربه، و قالت: أقتلوا الحمیت الدسم الأحمس، قبّح من طلیعه قوم.

فقال أبو سفیان: ویلکم! لا تغرنکم هذه من أنفسکم، فإنه قد جاءکم ما لا قبل لکم به (۳).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۳ عن ابن أبی شیبه، و الطبرانی، و تهذیب تاریخ دمشق ج ۷ ص ۲۳۶ و معانی الآثار ج ۳ ص ۳۱۵ و عن المصنف ج ۱۴ ص ۴۸۴.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹.

۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۳ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۱ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۳۰ و راجع ص ۱۱۹ و راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۲ و ۸۲۳ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۱.

و فی نص آخر: أن أبا سفیان أقبل یرکض حتی دخل مکه و قد سطع الغبار من فوق الجبال (۱)، ثم صاح: یا آل غالب، البیوت البیوت. من دخل داری فهو آمن، فعرفت هند فأخذت تطردهم ..

إلی أن قالت الروایه: أن أبا سفیان قال لها: ویلک إنی رأیت ذات القرون، و رأیت فارس أبناء الکرام، و رأیت ملوک کنده و فتیان حمیر، یسلمن (یسلمون) آخر النهار، ویلک اسکتی، فقد و اللّه جاء الحق، و دنت البلیه (۲).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نذکرها فیما یلی:

خوف النبی صلّی اللّه علیه و آله علی العباس:

و بالنسبه لما ذکر من خوف النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی عمه العباس، و طلبه أن یردوه علیه، نقول:

إننا نکاد نطمئن إلی أنها روایه مفتعله فی معظمها، فلاحظ ما یلی:

۱- کیف یرضی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یذهب العباس إلی أهل مکه، و یأذن له بأن یرکب بغلته .. إذ لم یکن لیرکب العباس بغله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من دون إذنه .. ثم یغیر قراره مباشره، و یطلب من الناس إرجاع العباس.

۱- سطع الغبار: إرتفع.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۱۳۰ و ۱۳۱ عن المناقب، و إعلام الوری، و راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۲ و ۸۲۳.

فإن لم یکن ملتفتا فی بادئ الأمر إلی أن أهل مکه قد یؤذون عمه، و قد یجری له معهم کما جری لعروه بن مسعود حیث قتلته ثقیف حینما دعاهم إلی اللّه تعالی، فذلک یشیر إلی نقص لا یصح نسبته إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) .. و إن کان قد التفت إلی ذلک و کان قرارا مصیبا، فلما ذا عدل عنه؟! و إن کان قرارا خاطئا فلما ذا اتخذه، و أصدر أمره علی أساسه؟!

و هل یمکن أن یکون النبی (صلی اللّه علیه و آله) مترددا إلی هذا الحد؟

ثم ألا یوجب ذلک وهن أمره، و ضعف أثره؟

و من تکون هذه حاله، کیف یستطیع أن یجمع هذه الجموع و یحقق هذه الإنجازات؟!

۲- إن عروه بن مسعود حین دعا ثقیفا إلی اللّه لم یکن وراءه من تخشاه ثقیف و لا کان معه، عشره آلاف مقاتل، و لا کان قد أخذ من زعمائهم من هو مثل أبی سفیان، و بدیل بن ورقاء، و حکیم بن حزام ..

أما العباس، فکان کل ذلک متوفرا بالنسبه إلیه، فلا معنی لقیاس حاله بحال ابن مسعود الثقفی، الذی قتلته ثقیف ..

۳- إن واضع الروایه لم تکن لدیه خبره کافیه بالتاریخ. فإن ما ذکره من خشیه النبی (صلی اللّه علیه و آله) من أن یجری علی عمه مثل ما جری علی عروه بن مسعود، حیث قتلته ثقیف حین ذهب إلیهم یدعوهم إلی اللّه، لا یمکن أن یصح، لأن عروه- کما صرحت به النصوص- إنما قتلته ثقیف فی سنه تسع بعد رجوع أبی بکر من الحج (۱).

۱- الإصابه ج ۲ ص ۴۷۷ عن موسی بن عقبه.

و قد كان فتح مكه فى شهر رمضان من سنه ثمان كما هو معلوم، أو بعد حرب الطائف كما ذكره ابن إسحاق (۱). و قد كان الفتح فى شوال سنه ثمان.

و سيأتى ذلك كله مع مصادره بعد غزوه الطائف إن شاء اللّه تعالى.

۴- ما معنى: أن لا يرضى العباس أن يمتثل لأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حيث كره الرجوع، رغم أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمره به.

۵- ما معنى: أن يأمر أبو سفيان العباس بأن يمضى معه، فيطيعه، و يدخل معه مكه، و ذلك بعد أن رأى أبو سفيان عرض القبائل و مرورها ..

و لا يرضى بإطاعه أمر الرسول (صلى اللّه عليه و آله) له بالرجوع؟!

فهل كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) غافلا عن أن المصلحه هى فى أن يرى أبو سفيان ذلك العرض، ثم يذهب هو و العباس بعده إلى أهل مكه؟!

و لو صح ذلك، فكيف نرد على الروايات المصرحه: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر العباس- فور إسلام أبى سفيان- أن يوقفه عند العقبه، و يريه عرض القبائل؟! بل الروايات تقول: إن العباس هو الذى اقترح ذلك، فقبله منه النبى (صلى اللّه عليه و آله).

فإن هذا يعنى: أن أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) للعباس بدخول مكه، ثم تراجعه عن قراره- حسبما يزعمون- قد كان بعد العرض الذى رآه أبو سفيان، و هو ينافى قولهم: إنه رأى العرض بعد إرجاع النبى (صلى اللّه عليه و آله) للعباس ..

۱- الإصابه ج ۲ ص ۴۷۷ عن ابن إسحاق، و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ۳ ص ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱۷ عن الإكتفاء.

۶- لماذا یراد تضخیم دور العباس بتصویر أنه مستهدف من قبل المشرکین، حتی کأن سیوفهم و رماحهم مشرعه لتغمد فی صدره و نحره، حتی لیقول عروه: (و کفهم اللّه عز و جل عن العباس). إذ متی استهدف المشرکون العباس بسوء؟

۷- إن الروایات تظهر: أن أبا سفیان هو الذی دعا أهل مکه للإسراع بالاستسلام، و هو الذی أخبرهم بالأمان، ثم دخل الجیش مکه.

و لم نجد أیه فرصه للعباس لیقول لأهل ذلک البلد شیئا، سوی تلک الکلمه التی یزعمون: أن أبا سفیان أمره بأن یقولها، و هی نفسها التی قالها لهم أبو سفیان أیضا.

۸- إننا لم نعهد النبی الکریم (صلی اللّه علیه و آله) یتصرف بهذه اللهفه علی العباس، أو علی غیره انطلاقا من الداعی النسبی، فضلا عن أن یبرر تصرفه هذا بأمر عادی جدا. حیث یقول: (فإن عم الرجل صنو أبیه)، مع ملاحظه أن أبا لهب کان عم النبی (صلی اللّه علیه و آله) أیضا، فهل هو الآخر صنو أبیه أیضا فی مواقفه، و فی حربه له و لدینه؟!

۹- إنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یرسل العباس لدعوه أهل مکه لدینه.

بل أرسله بالأمان لهم علی دمائهم و أموالهم. فهم یرونه محسنا لهم .. حتی لو خطّأوه فی دعوتهم إلی هذا الأمان. مع أنهم سوف یرون موقفه هذا هو عین الصواب.

سهم العباس فی عکاظ .. أکذوبه أخری:

و مما یدخل فی سیاق تعظیم العباس و تفخیمه، ما زعموه من أن النبی

(صلی اللّه علیه و آله) لما فتح مکه أوحی اللّه إلیه: إن عمک له علیک ید سابقه، و جمیل متقدم، و هو ما أنفق علیک فی ولیمه عبد اللّه بن جدعان، مع ما له علیک فی سائر الأزمان. و فی نفسه سهم من سوق عکاظ، فامنحه إیاه فی مده حیاته، و ولده بعد وفاته.

ثم قال: ألا لعنه اللّه علی من عارض عمی فی سوق عکاظ، و نازعه فیه. و من أخذه فأنا بری ء منه، و علیه لعنه اللّه، و الملائکه، و الناس أجمعین.

فلم یکترث عمر بذلک، و حسد العباس علی دخول سوق عکاظ، و غصبه منه (۱).

و نقول:

إن لنا علی هذا النص العدید من المؤاخذات.

أولا: قال العلامه الشیخ محمد تقی التستری ما محصله: إن مضمون هذا الحدیث یدل علی کذبه.

و لو کان صحیحا، فلم لم یذکر مضامینه المفید، و المرتضی، و لم یرد فی کتاب آخر، أو خبر؟! (۲).

ثانیا: ما معنی: أن ینفق العباس علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی ولیمه شخص آخر و هو عبد اللّه بن جدعان؟ فإن المفروض: أن یکون من ینفق فی الولیمه هو صاحبها، و أن لا یرضی بأن یشارکه غیره فی الإنفاق، لأن ذلک یتضمن انتقاصا من مقامه، و تشکیکا فی قیامه بما یتوجب علیه.

۱- قاموس الرجال ج ۵ ص ۲۳۳.
۲- راجع: قاموس الرجال ج ۵ ص ۲۳۴.

ثالثا: ما معنی: أن یحسد عمر العباس علی دخول عکاظ؟ فإن المفروض هو: أن یحسده علی حصته فی ذلک السوق، لا علی مجرد الدخول فیه، علما بأن الناس کلهم یقدرون علی دخول سوق عکاظ، و منهم عمر نفسه؟! إلا أن یکون المقصود هو دخوله بعنوان کونه مالکا و شریکا فی جزء منه، لا مطلقا ..

و لکن لماذا لا یفصح هذا القائل عن مراده، و یورد الکلام بصوره مبهمه؟!

رابعا: هل کان ذلک السوق مملوکا لأشخاص، أم کان مجرد مکان عام واسع یجتمع به الناس، و یبیعون و یشترون، و یتناشدون الأشعار و ما إلی ذلک؟!

خامسا: قد دعا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ربه أن لا یجعل لفاسق و لا لفاجر عنده نعمه (۱). فما بالک بالمشرک؟! کما أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان لا یقبل هدیه من المشرک (۲).

فذلک الدعاء یدل علی أنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یکن لأحد منهم قبل الدعاء و بعده أیه ید عنده.

۱- أبو طالب مؤمن قریش للخنیزی.

۲- راجع: المستدرک للحاکم ج ۳ ص ۴۸۴ و تلخیصه للذهبی (مطبوع بهامشه) و صححاه، و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۷۸ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و ۲۶۰ عنه، و عن کنز العمال، و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۸۶ و المعجم الصغیر ج ۱ ص ۹ و الوسائل ج ۱۲ ص ۲۱۶ و کنز العمال (طبعه أولی) ج ۶ ص ۵۷ و ۵۹ عن أحمد، و الطبرانی، و الحاکم، و سعید بن منصور، و أبی داود، و الترمذی، و الطیالسی، و البیهقی، و ابن عساکر، و المصنف للصنعانی ج ۱۰ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ و فی هامشه عن مغازی ابن عقبه، و عن الترمذی ج ۲ ص ۳۸۹ و مجمع البیان المجلد الأول ص ۵۳۵.

و إذا كان اللّه تعالى قـد مـدح الأتقى حيث قال: وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزى (۱)، فإن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) هو الأولى بهذا المدح، لأنه المصداق الأتم لما ذكرته الآيات من أوصاف حميده ..

فما معنى أن يكون للعباس يد عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، مما كان أنفقه عليه في وليمه ابن جدعان، مع ما له عليه في سائر الأزمان؟! ألم يكن العباس مشركا آنئذ و بعد ذلك إلى عشرات السنين؟!

و ألا ينافي ذلك نص الآيه الكريمه التي نفت- على سبيل المـدح- أن يكون لأحد عند ذلك المؤمن نعمه تجزى، فبطريق أولى أن لا يكون لأحد عند النبي (صلى اللّه عليه و آله) أيه نعمه تستحق الجزاء و المكافأه؟!

كيف دخل النبي صلّى اللّه عليه و آله مكه؟!:

قـالوا: لمـا ذهب أبو سـفيان إلى مكه بعـد مـا عـاين جنود اللّه- تعالى- تمر عليه، و اصل المسـلمون سـيرهم، حتى انتهوا إلى ذي طوى، فوقفوا ينتظرون رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) حتى تلاـحق الناس، و أقبل رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) في كتيبته الخضراء، و هو على ناقته القصواء، معتجرا (۲) بشق برد حبره (۳) حمراء (۴). و قد أردف أسامه بن زيد و قد طأطأ رأسه تواضعا

۱- الآيه ۱۹ من سوره الليل.

۲- اعتجر فلان بالعمامه: لفها على رأسه و ردّ طرفها على وجهه.

۳- الحبره: ثوب مخطط من القطن أو الكتان.

۴- سـبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن ابن إسـحاق و غيره، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۴ و المغازي ج ۲ ص ۸۲۳ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

للّه تعالى، و هو يقرأ سوره الفتح (۱).

و عن أنس قال: لما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) استشرفه الناس، فوضع رأسه على رحله متخشعا (۲).

و عن أبى هريره قال: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يومئذ و عليه عمامه سوداء، و رايته سوداء، و لواؤه أسود حتى وقف بذى طوى، و توسط الناس، و إن عثنونه (۳) ليمس واسطه رحله، أو يقرب منها تواضعا للّه عز و جل، حين رأى ما رأى من فتح اللّه تعالى، و كثره المسلمين، ثم قال:

(اللهم إن العيش عيش الآخره) (۴).

قال: و جعلت الخيل تمعج (۵) بذى طوى فى كل وجه، ثم ثابت و سكنت حين توسطهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (۶).

و عن أنس و عمرو بن حريث: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)

۱- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن الحاكم و أبى يعلى، و ابن عدى فى الكامل ۴/ ۵۷۱، و انظر مجمع الزوائد ۶/ ۱۹۶ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۴.
۳- العثنون: ما نبت على الذقن و تحته.
۴- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳. و راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۶۷ عن ابن أبى شيبه، و أحمد، و البخارى، و مسلم، و أبى داود، و الترمذى فى الشمائل، و البيهقى فى سننه، و النسائى، و راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
۵- معج الفرس: أسرع، أو سار لشده عدوه مره فى الشق الأيمن و مره فى الشق الأيسر.
۶- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن ابن سعد ۳/ ۱/ ۱۸۰ و المغازى ج ۲ ص ۸۲۴.

دخل مکه و علیه عمامه سوداء بغیر إحرام (۱).

و عن عمرو بن حریث قال: کأنی أنظر إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم فتح مکه، و علیه عمامه سوداء خرقانیه، و قد أرخی طرفها بین کتفیه (۲).

و قد أشرنا أکثر من مره إلی الإختلاف بین اللواء و الرایه، و غیر ذلک ..

و بالنسبه لما روی عن أبی هریره: من أن لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أسود و رایته سوداء، فی فتح مکه .. نقول:

قد رووا عن جابر أیضا، أنه قال: کان لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم دخل مکه أبیض (۳).

و عن عائشه: (کان لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم الفتح أبیض، و رایته سوداء، تسمی العقاب، و کانت قطعه مرط (۴) مرحل (۵)) (۶).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن أحمد، و مسلم، و الأربعه، و فی هامشه عن: مسلم ۲/ ۹۹۰ (۴۵۱/ ۱۳۵۸) (۴۵۳/ ۱۳۵۹) و البیهقی فی الدلائل ۵/ ۶۷ و ابن أبی شیبه ۸/ ۲۳۴ و راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن مسلم.
۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن الأربعه و أشار فی هامشه إلی البخاری ۷/ ۶۱۱ (۴۲۹۰) و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۴.
۴- المرط: کساء من خز أو صوف أو کتان.
۵- المرحل: ما ینقش علیه صوره رحل الإبل.
۶- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن ابن إسحاق، و قال فی هامشه: أخرجه أبو داود فی الجهاد باب (۷۶)، و الحاکم ۲/ ۱۰۴ و ابن أبی شیبه ۱۲/ ۵۱۴، و البیهقی ۶/ ۳۹۲. و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۴ و ۸۵.

و عنها أيضا قالت: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الفتح من كداء من أعلى مكه (۱)، و خرج من أسفلها و هو ثنيه كدى.

و عند الواقدى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) أمر الزبير أن يدخل من كدى، و أمر خالدا أن يدخل من الليط (موضع بأسفل مكه)، و أمر سعد بن عباده أن يدخل من كداء، و الرايه مع ابنه قيس، و مضى (صلى اللّه عليه و آله) فدخل من أذاخر (۲).

و قالوا: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من أذاخر حتى نزل بأعلى مكه، و ضربت له هناك قبه (۳).

و رووا: عن ابن عمر: لما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه عام الفتح، رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر، فتبسم إلى أبى بكر، فقال: (يا أبا بكر كيف قال حسان)؟!

فأنشده أبو بكر قول حسان:

عدمت بنيتى إن لم تروهاتثير النقع من كتفى كداء

ينازعن الأعنه مسرجات يلطمهن بالخمر النساء فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (ادخلوها من حيث قال حسان) (۴).

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن البخارى و البيهقى، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۵.

۲- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۵ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

۳- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

۴- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن البيهقى فى الدلائل ۵/ ۶۶ و الطحاوى فى المعانى ۴/ ۲۹۶ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳.

قـال الصالحی الشامی: و فی الصـحیح و غیره عن عروه: (أن رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) أمر الزبیر بن العوام أن یـدخل من کداء من أعلی مکه، و أن یغرز رایته بالحجون، و لا یبرح حتی یأتیه) (۱).

و قـال فی الصـحیح أیضـا عن العباس: أنه قال للزبیر بن العوام: یا أبا عبـد اللّه ها هنا أمرک رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) أن ترکز الرایه؟

قال: نعم (۲).

قال: و أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خالد بن الولید- و کان علی المجنبه الیمنی، و فیها أسـلم، و سلیم، و غفار، و مزینه، و جهینه، و قبائل من العرب- أن یدخلوا من اللیط، و هو أسفل مکه، و أمره أن یغرز رایته عند أدنی البیوت (۳)، و بها بنو بکر، و بنو الحارث بن عبد مناه، و الأحابیش الذین استنفرتهم قریش (۴).

و أمّر أبا عبیده بن الجراح علی الحسّر (۵). و الحاسر فی مقابل الدارع.

۱- سـبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ و فی هـامشه عن البخاری ۷/ ۵۹۸ (۴۲۸۰) و راجع: السـیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۳ و ۸۵ و مجمع البیان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۱ و ۸۲.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن البخاری ۷/ ۵۹۸.

۳- سـبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ و السـیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۳ و تاریـخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲ و مجمع البیـان ج ۱۰ ص ۵۵۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵.

۴- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲.

۵- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن أحمد و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۳ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲ و ۸۴.

و قال الصالحی الشامی: وقع فی الصحیح عن عروه قال: و أمر النبی (صلی اللّه علیه و آله) یومئذ خالد بن الولید أن یدخل من أعلی مکه من کداء، و دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من أسفل مکه من کدی، أی بالقصر (۱). و هذا مخالف للأحادیث الصحیحه.

ففی الصحیح و غیره: أن خالد بن الولید دخل من أسفل مکه، و دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من أعلاها، و به جزم ابن عقبه، و ابن إسحاق و غیر هما (۲).

و عن عبد اللّه بن رباح: أن أبا عبیده کان علی البیاذقه، یعنی الرجاله (۳).

و عند ابن إسحاق و عبد اللّه بن أبی نجیح أن أبا عبیده بن الجراح أقبل بالصف من المسلمین ینصب لمکه بین یدی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

قالوا: و أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أمراءه أن یکفوا أیدیهم، و لا یقاتلوا إلا من قاتلهم (۴).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۵ ..
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷ و مجمع البیان ج ۱۰ ص ۵۵۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵.
۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن مسلم فی الجهاد (۸۶) و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲ عن المواهب اللدنیه، و المنتقی
۴- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۳ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۲ و مجمع البیان ج ۱۰ ص ۵۵۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۵.

النبی صلّی اللّه علیه و آله یقرأ سوره الفتح:

عن قراءه النبی (صلی اللّه علیه و آله) سوره الفتح حین دخوله مکه نقول:

إن هذه السوره قد نزلت فی شأن الحدیبیه فی ذی القعده سنه ست (۱).

و قد قرأها النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی المسلمین، لیذکرهم برعایه الغیب لهم، و تحقق ما وعدهم به و إذا کان المشرکون یتتبعون أخبار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، خصوصا ما له ارتباط بحرکه الصراع معه، فلا بد من أن یکون قد تناهی إلی مسامعهم نزول هذه السوره التی تعنیهم بصوره مباشره، و جدّیه و حقیقیه، لأنها تتضمن الوعد بالفتح، و بأمور أخری هامه و حساسه جدا، و فیها ما یمسهم هم کأشخاص فی تعاملهم معه (صلی اللّه علیه و آله).

فإذا قرأ هذه السوره فی حال دخوله مکه، فإن أهل الإیمان سوف یزدادون إیمانا، و أهل الکفر و الشرک سوف یغرقون فی بحر من التأمل الذی قد ینتهی بقناعه تتکون لدیهم بعدم جدوی استمرار الجحود، و بأن لا فائده من تبییت النوایا السیئه، و لن ینتهی کیدهم و مکرهم و تآمرهم إلی أیه نتیجه ..

بل إن قراءه هذه السوره فی حال دخول مکه لا بد من أن یسوق المسلمین و المشرکین معا إلی ترقب تحقق سائر المضامین التی ذکرت فی آیاتها

۱- راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۶۷ عن ابن إسحاق، و الحاکم، و البیهقی فی الدلائل، و الکشاف ج ۳ ص ۵۴۰.

التی نزلت قبل سنوات، و التی حضر وقت تحققها.

و ستکون لحظات ممتعه، و لذیذه لکل أحد، و هو یری أمرا غیبیا عرفه، و سمعه و وعاه، یتحقق أمام عینیه.

الفتح جائزه المذنب:

و قد جاء فی أول سوره الفتح قوله تعالی: إِنّا فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبِیناً لِیَغْفِرَ لَکَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ یُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکَ وَ یَهْدِیَکَ صِراطاً مُسْتَقِیماً وَ یَنْصُرَکَ اللّهُ نَصْراً عَزِیزاً (۱). فلیلاحظ:

أولاـ إن اللّه تبارک و تعالی یقول: إن سبب هذا الفتح الذی منحه إیاه، هو أنه أراد أن یغفر له ذنبه .. فهل یعقل أن یعطی المذنب جائزه بهذه العظمه، و الأهمیه و الخطوره علی جرأته علیه، و علی ذنب ارتکبه؟! بحیث یکون مغفره الذنب سببا لهذه الجائزه!!

ثانیا: کیف نتصور أن یکون اللّه تعالی قد فتح لنبیه (صلی اللّه علیه و آله) لیغفر له ذنبه؟!

ثالثا: لو سلمنا: أن هذا الفتح سبب لمغفره الذنب الصادر، فکیف یکون سببا لمغفره الذنب الذی سوف یصدر؟!

إن هذا الأسئله ستکون محرجه جدا إذا کان المراد بالذنب هو الجرأه علی اللّه، و ارتکاب ما نهی عنه، و مخالفه أوامره. و المراد بالمغفره الستر، و المراد بالذنب ما اعتبره المشرکون ذنبا له (صلی اللّه علیه و آله)، و هو دعوته

۱- الآیات ۱- ۳ من سوره الفتح.

إلى الإسلام، و رفضه الشرك، و ما وقع من حروب معهم، و قتل لرجالهم و إسقاط لأطروحتهم ..

فجاء فتح مكه ليكسر شوكتهم، و يخمد نارهم، و ليدخلوا فى دين اللّه، و ليروا أن مصلحتهم تقضى بالتقرب منه (صلى اللّه عليه و آله)، و الاستفاده من الخيرات التى تهيأت لهم فى ظل الإسلام.

و أصبحوا يصرحون: بأنهم هم المخطئون و هو المصيب.

و عوضا عن توصيفه بالغادر و قاطع الرحم، و المذنب فى عيب آلهتهم و الكاذب و .. و .. الخ .. صاروا يصفونه بالوفى، و الحليم، و الكريم، و الوصول و الصادق و .. و .. الخ ..

كما أن ما كانوا يعدونه ذنبا لو فعله فى أيام شركهم، قد غفروه له، بل صاروا يعدونه حسنا و إحسانا و حقا بعد هذا الفتح العتيد.

العيش عيش الآخره:

و قد ذكرت الروايات: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال حين دخل مكه: (العيش عيش الآخره).

و نقول:

ربما نستفيد من هذا القول: أنه (صلى اللّه عليه و آله) يريد إفهام أهل مكه، و المسلمين الفاتحين و غيرهم: أن هذا الفتح العظيم يجب أن يقودنا قبل اتخاذ أى موقف منه إلى إجراء دراسه لنتائجه و آثاره الدنيويه و الأخرويه، بهدف الموازنه فيما بينها، لكى ينصب الاهتمام على الأهم، فيحافظون عليه، و يعملون على ترشيده، و تنميته، و تقويته، و ليس لأحد أن يتلهى بالتفاهات، و القشور،

و يضيع فيها، و يضيّع هذا الإنجاز العظيم أيضا ..

و قد سارع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لرسم معالم الحق و الحقيقه، و السداد و الرشاد فى هذا الفتح، و حدد المكامن الحقيقيه و الراسخه و الخالده فيه، و بيّن أنها ليست- حتما- فى هذه الحياه الدنيا، و إنما هى فى الدار الآخره.

فإن الفتح إذا كان يفتح أبوابا لأنواع أفضل من العيش فى الدنيا، فإن الأبواب التى يفتحها للعيش الخالد و الرضى فى الآخره، فى ظل الرضا الإلهى ستكون هى الأرقى و الأفضل ..

و هو إنما يقدم هذه المعادله للناس من موقع النبوه المطلعه بعمق على واقع حقيقه الدنيا و الآخره، من خلال الوحى الإلهى الذى يكشف هذه الحقائق و يبينها للأنبياء (عليهم السلام)، كأفضل ما يكون الكشف و البيان.

و قد كان لا بد من إطلاق هذا البيان لأمه تؤمن بالغيب، و لطوائف من الناس يتحفزون للخروج من أسر الشرك إلى الحريه فى رحاب التوحيد ..

فيربط على قلوب أهل الإيمان، و المعلنين بالإسلام، و يزيد فى وضوح الرؤيه لأولئك الخارجين من أحضان الشرك و الجحود إلى آفاق الإسلام الرحبه ..

تواضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تخشعه لربه:

و قد كانت تلك البيانات بالقول دروسا تحمل فى طياتها الوعى الرسالى للمفاهيم و الحقائق ..، و التربيه الروحيه، و الرشاد و السداد فى الفكر، و الوعى، و الاعتقاد ..

و قد رافقتها حاله سلوكيه لا بد من أن تترك أثرها العميق على روح و فكر أهل الإيمان، و أهل الكفر و الشرك و الطغيان على حد سواء ..

إذ ربما لم يكن يخطر على بال أحد: أن تتجلى حاله الخشوع و الخضوع، و التطامن و التواضع للّه سبحانه فى هذه اللحظات بالذات، بل ربما يتوقع الناس: أن يروا هيبه الملك، و عظمه النصر، و الهيمنه و الحزم، و نظرات التصميم و العزم فى كل حركه و لفته فى خصوص هذا الظرف الحساس، الذى يحتاج إلى إصدار الأوامر، و توزيع المهام، و إظهار القوه و الشوكه لقطع دابر أى تفكير بالتمرد، أو الغدر، أو الكيد و المكر الذكى و الخفى ..

و لكن الجميع رأوا مظهرا آخر من مظاهر العبوديه للّه سبحانه، و صوره رائعه من صور الخضوع و الخشوع له، حتى إن هذا الفاتح المنتصر يطأطئ رأسه تخشعا و تواضعا إلى حد أن عثنونه يلامس واسطه رحله، أو يقرب منها، و ذلك لما رآه من الفتح، و كثره المسلمين.

إن هذا النبى (صلى اللّه عليه و آله) و كل إنسان مؤمن واع لحقيقه إيمانه يدرك: أنه لا يكثر بالناس أمام اللّه، بل يكون أمام اللّه وحيدا فريدا، و إنما يكثر باللّه وحده لا شريك له ..

إنه يريد من اللّه تعالى أن ينصره و ينصر من معه، و لا يريد أن ينتصر بهم.

كما أنه حين دخل حرم اللّه مع هذه العساكر، إنما أراد بذلك حفظ حرمه الحرم و البيت، و منع هتك حرمته من قبل العتاه و القساه بشركهم، و كفرهم، و ظلمهم، و إفسادهم فى الأرض، و محاربتهم لدين اللّه تعالى ..

و يلاحظ هنا: أن النص المتقدم يقول: استشرفه الناس، فوضع رأسه

على رحله متخشعا، أى أنه حين يستشرف الناس أحدا فإنه يشعر بأنه أصبح محط أنظارهم و ملتقى أبصارهم، و أن الخطرات و الصور تتزاحم فى داخل مخيلتهم عن مزاياه، و عن مظهره و خفاياه، و عن حجم قدراته، و سائر صفاته، فيرى لنفسه نوعا من الخصوصيه، و درجه من المحوريه.

و لكن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يجد نفسه أمام أنظار هؤلاء الناس، بل وجد نفسه أمام اللّه وحده، فهو يرعاه، و يراه، و يراقب حاله و مسراه، فتواضع له و تخشّع، و طأطأ برأسه و لم يكد يرفع.

رايه الزبير:

و بالنسبه لبعض التفاصيل نقول:

هناك حديث عن رايه كانت مع الزبير، و أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان قد أمره أن يركزها بالحجون، و لا يبرح حتى يأتيه، و نحن لا ننكر أن يكون ذلك قد حصل فعلا .. غير أننا نقول:

أولا: لا شك فى أنها ليست هى رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) التى هى للجيش كله، فإن تلك كانت مع على أمير المؤمنين (عليه السلام) كما دلت عليه النصوص الكثيره التى ذكرناها فى أوائل غزوه أحد.

ثانيا: إن ملاحظه النصوص تعطى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يختار مواقع معينه ليركز فيها إحدى راياته، و لعل ذلك يهدف إلى إظهار الهيمنه على تلك المنطقه، و بسط النفوذ على ذلك المحيط، لكى لا ينتهز الفرصه أوباش الناس، أو طلاب اللبانات للعبث بأمن الناس، أو للتعدى على ممتلكاتهم، و لتكون مثابه لجند الإسلام فى تلك المنطقه، و نقطه تجمع و انطلاق.

و هذا يفسر لنا أمره (صلى اللّه عليه و آله) خالد بن الوليد و من معه بان يدخلوا من الليط- و هو أسفل مكه- و أن يغرز رايته عند أدنى البيوت كما ذكرته النصوص المتقدمه أيضا.

ثالثا: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر قيس بن سعد أن يغرز رايته فى الحجون أيضا، و أمر خالدا بغرز رايته أسفل مكه، عند أدنى البيوت، فهل ذلك يدل على ان خالدا أو قيسا كانا يحملان رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

الأمر لسعد، و الرايه لقيس:

و ثمه مفارقه أخرى تظهر فى النصوص المتقدمه، و هى: أن أحدها يقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) أمر سعد بن عباده أن يدخل من كداء و الرايه مع ابنه قيس (۱).

فإن الأمر إنما يصدر لصاحب الرايه التى يتبعها الناس، و يتحلقون حولها، فإصدار الأمر لسعد مع كون الرايه مع قيس يصبح غير ظاهر الوجه ..

و يزيد الأمر إشكالا بملاحظه ما قدمناه من أن الروايات تقول: إن عليا (عليه السلام) هو الذى أخذ الرايه من سعد و ادخلها إلى مكه إدخالا رفيقا حتى غرزها عند الركن، إلا أن يكون النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد وزع الناس مره أخرى فى داخل مكه، و أمرهم أن ينزلوا فى مواقع معينه فى أنحاء

۱- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

مختلفه، فأعطى الرايه لقيس ليوصلها إلى ذلك المكان، و أبقى القياده العمليه لأبيه سعد.

النساء يلطمن وجوه الخيل:

و حديث لطم النساء وجوه الخيل بخمرهن، و مطابقته لما ورد في شعر حسان بن ثابت- إن صح- فهو من الدلائل الموجبه لرسوخ يقين أهل الإيمان، و تخفيف حده أهل الكفر و الشرك، و تضاؤل ميلهم إلى الجحود و التحدى، أو المماطله فى قبول الإسلام دينا .. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲۲ ۷۸ النساء يلطمن وجوه الخيل: ..... ص : ۷۸

فإذا أصروا على مواقفهم، و أرادوا المكر بأهل الدين و بالمؤمنين، فذلك يكون من موجبات خزيهم، و بوار حجتهم ..

كيفيه الدخول و الخروج من مكه:

قال الحلبى بعد أن ذكر أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) دخل مكه يوم الفتح من أعلاها، أى من (كداء)، و خرج من أسفلها: (و بهذا استدل أئمتنا على أنه يستحب دخول مكه من الأولى، و الخروج من الثانيه) (۱).

و نقول:

إن هذا الاستدلال غير مقبول:

أولا: إن هذا الدخول و ذلك الخروج لا يدل بمجرده على الاستحباب، إذ لعله أمر اقتضته أحوال عسكريه، أو طبيعه التركيبه السكانيه، أو طرقات ذات خصوصيات تفرض الدخول من هنا، و الخروج من هناك.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۵.

نعم لو علمنا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يأخذ أى شى ء بنظر الاعتبار، سوى مراعاه ما يستحب له فى الأحوال العاديه ..

و سلمنا: أن هناك استحبابا فيما يرتبط بكيفيه أو بطريق الدخول و الخروج من مكه، كان للحكم بالاستحباب وجه ..

ثانيا: إذا كان الـدخول مستحبا من نقطه بعينها، فلما ذا أمر (صـلى اللّه عليه و آله) الكتائب الأخرى بالدخول إلى مكه من جهات أخرى لا يستحب الدخول منها؟! و هل يمكن أن يأمرهم بمخالفه المستحب؟! و ما ذا لو كانوا يريدون رعايه الحكم الاستحبابى، ثم جاء أمره لهم بمخالفه المستحب؟!

ثالثا: سيأتى: أن عروه يروى- كما فى صحيح البخارى (۱)-: أن النبى (صـلى اللّه عليه و آله) دخل من أسفل مكه، فكيف جزم هؤلاء باستحباب دخولها من أعلاها؟!۷.

۱- راجع صحيح البخارى و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷.

ص: ۸۲

الفصل الثالث: القتال فی مکه

اشاره

خالد يقاتل فى مكه!!:

و قالوا: إن صفوان بن أميه و عكرمه بن أبى جهل، و سهيل بن عمر، دعوا إلى قتال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و جمعوا أناسا بالخندمه (و هو جبل بمكه)، و ضوى إليهم ناس من قريش، و ناس من بنى بكر، و هذيل، و لبسوا السلاح، يقسمون باللّه لا يدخلها محمد عنوه أبدا.

و كان رجل من بنى الديل، يقال له: جماش بن قيس بن خالد، لما سمع بدخول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) جعل يصلح سلاحه.

فقالت له امرأته (و كانت قد أسلمت سرا): لمن تعدّ هذا؟

قال: لمحمد و أصحابه.

قالت: و اللّه، ما أرى يقوم لمحمد و أصحابه شى ء.

قال: و اللّه إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم، فإنك محتاجه إليه.

قالت: ويلك، لا تفعل، و لا تقاتل محمدا. و اللّه ليضلن عنك رأيك لو قد رأيت محمدا، و أصحابه.

قال: سترين. ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لى علههذا سلاح كامل و ألّه

و ذو غرارين سريع السله

ثم شـهد الخندمه مع صـفوان، و سهيل بن عمرو، و عكرمه، فلما دخل خالد بن الوليد من حيث أمره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) وجد الجمع المذكور، فمنعوه الدخول، و شهروا له السلاح، و رموه بالنبل، و قالوا: لا تدخلها عنوه.

فصاح فى أصحابه، فقاتلهم، و قتل منهم أربعه و عشرون رجلا من قريش، و أربعه من هذيل (۱).

و قالوا: أصـيب من المشـركين قريب من اثنى عشـر أو ثلاثه عشـر، و انهزموا أقبح الانهزام، حتى قتلوا بالحزوّره، و هم مولون فى كل وجه.

و انطلقت طائفه منهم فوق رؤوس الجبال، و أتبعهم المسلمون (۲).

و جعل خالد يتمثل بهذه الأبيات، و هو يقاتل خارجه بن خويلد الكلبى:

إذا ما رسول اللّه فينا رأيته كلجه بحر نال فيها سريرها

إذا ما ارتدينا الفارسيه فوقهاردينيه يهدى الاصم خريرها

رأينا رسول اللّه فينا محمدالها ناصرا عزت و عز نصيرها (۳)

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۸ عن ابن إسحاق، و الواقدى، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۳، و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۸ عن ابن إسحاق، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۶.
۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۶.

و كان شعار المهاجرين من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه، و حنين، و الطائف: يا بنى عبد الرحمن. و شعار الخزرج: يا بنى عبد اللّه.، و شعار الأوس: يا بنى عبيد اللّه (۱).

و جعل أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام يصيحان: يا معشر قريش، علام تقتلون أنفسكم؟! من دخل داره فهو آمن، و من وضع السلاح فهو آمن، فجعل الناس يقتحمون الدور، و يغلقون عليهم، و يطرحون السلاح فى الطرق، حتى يأخذه المسلمون (۲).

و رجع جماش منهزما حتى انتهى إلى بيته، فدقه، ففتحت له امرأته، فدخل و قد ذهبت روحه، فقالت له: أين الخادم الذى وعدتنى؟ ما زلت منتظره لك منذ اليوم- تسخر منه.

فقال: دعى هذا عنك، و اغلقى علىّ بابى، ثم قال:

إنك لو شهدت يوم الخندمهإذ فر صفوان و فر عكرمه

و أبو يزيد كالعجوز المؤتمهو استقبلتهم بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد و جمجمه ضربا فلا تسمع إلا الغمغمه

لهم نهيت خلفنا و همهمه لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه (۳) و أقبل الزبير بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحجون، فغرز

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۸ عن ابن هشام و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۵.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۶.
۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۸ و ۲۲۹ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۷ و ۸۲۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

الرایه عند منزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و لم یقتل من المسلمین إلا رجلان من أصحاب الزبیر، أخطآ الطریق، فسلکا غیره فقتلا. و هما کرز بن جابر الفهری، و حبیش الکعبی (۱).

و زعم بعضهم: أنهما کانا مع خالد بن الولید فشذّا عنه فقتلا (۲).

و مضی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فدخل مکه من أذاخر، فلما ظهر علی أذاخر، نظر إلی البارقه (۳) مع فضض (۴) المشرکین، فقال: (ما هذه البارقه؟! ألم أنه عن القتال)؟

قالوا: یا رسول اللّه، خالد بن الولید قوتل و لو لم یقاتل ما قاتل، و ما کان یا رسول اللّه لیعصیک، و لا یخالف أمرک.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قضاء اللّه خیر) (۵).

و صرح الدیار بکری: بأن المهاجرین هم الذین قالوا له (صلی اللّه علیه و آله): نظن أن خالدا قوتل، و بدئ بالقتال، فلم یکن بد أن یقاتل من قاتله (۶).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۹.
۲- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۳ عن الإکتفاء.
۳- البارقه: السلاح.
۴- الفضض من الشی ء: ما تفرق منه.
۵- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۸ و ۲۲۹ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۳ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۶ و ۸۲۸ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۳.
۶- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۳.

و فی المنتقی: و کل الجنود لم یلقوا جنودا غیر خالد (۱).

و عن أبی هریره قال: لما کان یوم فتح مکه، و بشت (۲) قریش أوباشا لها و أتباعا، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن کان لهم شی ء کنا معهم، و إن أصیبوا أعطینا الذی سئلنا. فرآنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال: (یا أبا هریره).

قلت: لبیک.

قال: (اهتف بالأنصار، و لا یأتینی إلا أنصاری).

قال: ففعلت ما أمرنی به، فأتوه، فقال: (انظروا قریشا و أوباشهم فاحصدوهم حصدا) (حتی توافونی بالصفا. أی دخلوا من أعلی مکه) (۳) ثم قال بیدیه إحداهما علی الأخری.

فانطلقنا فما أحد یوجه إلینا شیئا، و ما منا أحد یرید أحدا منهم إلا أخذه. (أو قال: فما نشاء نقتل أحدا منهم إلا قتلناه) (۴).

فجاء أبو سفیان بن حرب، فقال: یا رسول اللّه، أبیدت خضراء قریش، لا قریش بعد الیوم.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (من دخل دار أبی سفیان فهو

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۳.
۲- بشّت: جمعت جموعا من قبائل شتی.
۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۳ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴ عن المواهب اللدنیه، و المنتقی عن أحمد و مسلم و النسائی عن أبی هریره.
۴- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۴ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴ عن المواهب اللدنیه و المنتقی عن أحمد، و مسلم، و النسائی عن أبی هریره.

آمن، و من ألقى السلاح فهو آمن).

فألقى الناس سلاحهم (۱).

و قالوا: و وجه (صلى اللّه عليه و آله) اللوم على خالد، و قال له: قاتلت، و قد نهيت عن القتال؟!

قال: هم يا رسول اللّه بدأونا بالقتال، و رمونا بالنبل، و وضعوا فينا السلاح، و قد كففت ما استطعت، و دعوتهم إلى الإسلام و أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، فأبوا، حتى إذا لم أجد بدا من أن أقاتلهم قاتلتهم، فظفرنا اللّه بهم، فهربوا فى كل وجه.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): كف عن الطلب.

قال: قد فعلت.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): قضاء اللّه خير.

و قال (صلى اللّه عليه و آله): كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر إلى صلاه العصر، فحبطوهم ساعه، و هى الساعه التى أحلت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (۲).

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۹ و ۲۳۰ عن أحمد، و مسلم، و البيهقى، و غيرهم، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۳ و ۸۴ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ عن المواهب اللدنيه، و المنتقى عن أحمد، و مسلم، و النسائى عن أبى هريره.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۹ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳. و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ و ۲۳۴ و عن موارد الظمآن للهيثمى (۱۶۹۹) و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۷ و عن المصنف لابن أبى شيبه ج ۴ ص ۴۸۷.

و كان (صلى اللّه عليه و آله) نهى أن يقتل من خزاعه أحد (١).

قال الديار بكرى: (أما خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكه، فلقيه قريش و بنو بكر و الأحابيش، فقاتلوه، فقتل منهم قريبا من عشرين رجلا، و من هذيل ثلاثه أو أربعه، و انهزموا، و قتلوا بالحزوّره، حتى بلغ قتلهم باب المسجد، و هرب فضيضهم حتى دخلوا الدور، و ارتفعت طائفه منهم على الجبال، و اتبعهم المسلمون بالسيوف، و هربت طائفه منهم إلى البحر، و إلى صوب اليمن) (٢).

و روى الطبرانى عن ابن عباس: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) خطب فقال: إن اللّه عز و جل حرم هذا البلد (٣). فبينما هو كذلك قيل: هذا خالد يقتل.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): قم يا فلان .. الى آخر الحديث التالى ..

و قال الديار بكرى: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قدم خالد بن الوليد، فأنا لهم شيئا من قتل، فجاء رجل من قريش، فقال: يا رسول اللّه، هذا خالد بن الوليد قد أسرع فى القتل.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله) لرجل من الأنصار عنده: يا فلان.

قال: لبيك يا رسول اللّه.

قال: ائت خالد بن الوليد، قل له: إن رسول اللّه يامرك أن لا تقتل

١- المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٩.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٩ و المعجم الكبير ج ١١ ص ٤٨.

بمکه أحدا.

فجاء الأنصاری، فقال: یا خالد إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یأمرک أن تقتل من لقیت.

فاندفع خالد فقتل سبعین رجلا من مکه.

فجاء إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) رجل من قریش، فقال: یا رسول اللّه، هلکت قریش، لا قریش بعد الیوم.

قال: و لم؟!

قال: هذا خالد لا یلقی أحدا من الناس إلا قتله.

فقال النبی (صلی اللّه علیه و آله): ادع لی خالدا.

فلما أتی إلیه خالد، قال: یا خالد، ألم أرسل إلیک أن لا تقتل أحدا؟!

قال: بل أرسلت إلی أن أقتل من قدرت علیه.

قال: ادع لی الأنصاری.

فدعاه له، فقال: ألم آمرک أن تأمر خالدا أن لا یقتل أحدا؟!

قال: بلی. و لکنک أردت أمرا و أراد اللّه غیره، فکان ما أراد اللّه ..

فسکت (صلی اللّه علیه و آله)، و لم یقل للأنصاری شیئا، و قال: یا خالد!

قال: لبیک، یا رسول اللّه!

قال: لا تقتل أحدا.

قال: لا (۱).

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴ عن شفاء الغرام، و المعجم الکبیر ج ۱۱ ص ۴۸ و مجمع الزوائد ج ۳ ص ۲۸۴ و ج ۷ ص ۳۴ و عن الأوسط للطبرانی ص ۱۵۴-

و نقول أخيرا:

روى الكلينى، عن على بن إبراهيم، عن أبيه، و القاسانى جميعا عن الأصفهانى، عن المنقرى، عن فضيل بن عياض، عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه لم يسب لهم ذريه، و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن (١).

و لنا مع ما ذكر العديد من الوقفات، و إليك بعضها:

من الخندمه إلى البحر:

الخندمه: جبل معروف بمكه، يقع خلف جبل أبى قبيس، و يمتد منه إلى المعلّاه على طول شعب على، و شعب عامر.

فلو صح ما زعموه: من أن جماعه من أهل مكه قد تصدوا لخالد، فنقول:

١- المفروض هو: أن يواجههم خالد بما يردعهم، و يبطل حركتهم، و مقاومتهم. و أما أن يلاحقهم بعد هزيمتهم إلى الحزوّره، ثم يمتد قتلهم حتى باب المسجد، و إلى الجبال، حتى يضطر بعضهم إلى الهرب إلى البحر، و إلى صوب اليمن .. فهذا لا مبرر له على الإطلاق ..

٢- إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان قد نهى خالدا عن القتال.

و لامه على فعله هذا، و قال له: لم قاتلت، و قد نهيت عن القتال؟!

١- البحار ج ٢١ ص ١٣٦ و فى هامشه عن الكافى ج ٣ ص ٣٢٩.

فاعتذر له: بأنهم هم بدأوا بالقتال ..

و لكنه عذر غير مقبول، إذ إن بدأهم له بالقتال لا يمنعه من أن يراجع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى أمرهم ..

۳- إن ظاهر الكلام الـذى جرى بين رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) و بين خالـد يـدل على أن خالـدا كان لا يزال يلاحقهم و يطلبهم ليقتلهم حتى تلك اللحظه، و لذلک قال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): كف عن الطلب.

و احتمـال بعض الإـخوه أن يكون (صـلى اللّه عليه و آله) قـد قال له ذلک، لاعتقاده- و لو على ظاهر الأمر- باسـتمراره فى طلب أهـل مكه ليقتلهم إلى تلـک اللحظه لا مجال لقبوله. فإن الأمر بالكف عن الشـى ء ظاهر بأنه مسـتمر فى فعله، و يطلب منه الكف عنه، كما أنه لا مجال للقول بأن النبى (صـلى اللّه عليه و آله) قـد اعتقـد بـذلک- بأنه لا يزال يطلبهم- فنهى خالدا عن ذلک، مع كون اعتقاده (صلى اللّه عليه و آله) مخالفا للواقع .. فإن ما يعتقده النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو عين ما يحصل و يجرى.

و لا يمكن أن يعتقـد بما هو خطأ. كما أن احتمال أن يكون (صـلى اللّه عليه و آله) قـد علم بأن خالـدا قد كف عن طلبهم، لكنه أمره بـالكف كى لا يكون ترک الأمر به ذريعه لخالـد فى استئناف الطلب .. مرفوض أيضا، إذ كان ينبغى أن يقول له: لا تطلبهم بعد الآن، لا أن يقول له: كف عن الطلب الذى قلنا: إن ظاهره هو أنه كان لا يزال يطلبهم فعلا كما أوضحنا ..

۴- ما معنى قول خالـد: إنه دعاهم إلى الإسـلام، و أن يـدخلوا فيما دخل فيه الناس؟! هل كان هذا من المهمات التى أوكلت إليه أيضا؟!.

۵- إذا كان أبو سفيان زعيم مكه يأمر الناس بالإستسلام، فما معنى أن

يبادر أوباش من الناس لقتال هذه الألوف التى جاءتهم على حين غفله منهم؟!

و هل يمكن أن يفكر أوباش من الناس بإحراز أى نصر على عشره آلاف مقاتل؟! و هم على غير استعداد، و لا سيما مع ذلك النداء الذى صدر لهم من أهم زعيم فى مكه، و معه بديل بن ورقاء الزعيم الخزاعى، و حكيم بن حزام، و هو زعيم أيضا فى قريش، فضلا عن العباس؟!

أوقف الطلب:

و الأعجب من ذلك: أن بعض النصوص المتقدمه تعطى: أن خالدا كان لا يزال يلاحق الفارين فى الجبال، و الشعاب، حتى حين طلبه النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و طالبه بما فعل؛ فقد قال له (صلى اللّه عليه و آله):

أوقف الطلب.

و نعتقد: أن هذا التصرف من خالد يتضمن جرأه غير عاديه .. فإنه بالرغم من إقدامه على مخالفه نهى النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن القتال، و رغم إحساسه بتغيظ النبى (صلى اللّه عليه و آله) مما يجرى، و إحضاره للمساءله، يتابع نشاطه العسكرى المخالف لإراده و توجيهات رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ليحقق أكبر قدر ممكن من أهدافه التى توخاها من مباشره ذلك القتال .. و كأنه يرى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يعلم بحقيقه ما يجرى من خلال إعلام اللّه تعالى له!!

كفوا السلاح إلا خزاعه:

ثم إننا لا نكاد نحتمل صحه ما زعموه من أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد

طلب من جيشه أن يكفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر، و ذلك لما يلى:

۱- لقد كانت سياسه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى دخول مكه هى أن يدخلها بعنفوان يضع حدا لاستكبار المستكبرين فيها و يمنعهم من التفكير بالمقاومه، مع حرص شديد و تصميم أكيد على عدم إراقه أى نقطه دم فيها، و ذلك حفاظا منه على حرمه بيت اللّه و حرمه .. فكيف يمكن أن نتصوره يسمح لخزاعه بأن تنفذ مذبحه فى بنى بكر فى نفس حرم اللّه و فى جوار بيته؟!

۲- إن السماح لخزاعه بالفتك ببنى بكر ينافى الأمان الذى أعطاه النبى (صلى اللّه عليه و آله) لأهل مكه، حيث لم يستثن منه بنى بكر ..

۳- من هم الخزاعيون الذين سمح لهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) بقتل بنى بكر؟ هل هم خزاعيو مكه، أم خزاعيون جاؤوا معه؟

۴- لماذا سمح لخزاعه بقتل بنى بكر، و لم يسمح لها بقتل قريش، التى شاركت بنى بكر فى المجزره التى ارتكبت فى حق الخزاعيين .. و قريش هى التى أرسلت زعيمها أبا سفيان إلى المدينه ليدلس الأمر على المسلمين، و يضيع دماء المظلومين!!

۵- لقد أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بأن ينادى فى الناس: من ألقى سلاحه فهو آمن، أو دخل بيته، أو كان تحت رايه أبى رويحه الخ .. فهل سمع هؤلاء الناس هذا النداء، و أصروا على القتال و حمل السلاح؟!

و إذا كانوا أصروا على ذلك، فلما ذا يهربون إلى البحر و إلى اليمن؟!

و إذا كانوا قد ألقوا سلاحهم، فلما ذا يلاحقونهم بالقتل إلى الحزوّره، و المسجد، و إلى البحر، أو إلى اليمن؟!

احصدوهم حصدا:

و أغرب من ذلك كله، ما زعمه أبو هريره: من أنه (صلى اللّه عليه و آله) طلب منه أن يهتف بالأنصار، و لا يأتيه إلا أنصارى، فجاؤوه، فأمرهم أن يحصدوا قريشا و أوباشهم حصدا، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى.

قال أبو هريره: فما نشاء نقتل أحدا منهم إلا قتلناه.

و نحن لا نشك فى أن هذا من المكذوبات المتناهيه فى الجرأه و الوقاحه.

فأولا: إن هذا لا يتلاءم مع إعلانه (صلى اللّه عليه و آله) بالأمان لكل من دخل داره و أغلق بابه، و دخل المسجد، و دار أبى سفيان، و ابن حزام، و من يلتجى إلى رايه أبى رويحه، و من ألقى سلاحه، فهل يريد منهم أن يلقوا سلاحهم ليحصدهم الأنصار حصدا؟!

أو هل كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) غادرا؟! و العياذ باللّه. أو هل كان قاسيا إلى هذا الحد؟!

ثانيا: لم نسمع أن الأنصار فتكوا بقريش، أو قتلوا منهم، بل سمعنا أن خالدا فعل ذلك، و خالد من المهاجرين، و لم يكن الأنصار معه، بل كان معه بنو سليم.

ثالثا: هل صحيح أن النبى الكريم، و الوصول، و الرحيم و الحليم كان يتعامل وفق المنطق القبائلى و العشائرى و العنصرى، فيحرض الأنصار على قريش، و أوباشها، حيث يطلب أن لا يأتيه إلا أنصارىّ؟!

و ما معنى: أن يأمرهم بالإطباق على قريش كما تطبق إحدى اليدين على الأخرى؟!

رابعا: إذا كان الأمر كذلك، فلما ذا لم يقتل أحد من الذين حرضوا على

قتل خزاعه، مثل صفوان، و عكرمه، و سهيل بن عمرو؟! و كيف أفلتوا من يد الأنصار؟ و كيف يلوم (صلى اللّه عليه و آله) خالدا على ما فعل؟! و لماذا يسأله عن ذلك؟! أو لماذا يسأل عن شأن تلك البارقه التى رآها؟! ألم يكن هو الذى أمر بها و أثارها؟! كما يزعمون!!

المهاجرون يظنون أن خالدا قوتل:

لقد صرحت بعض النصوص: بأن المهاجرين أجابوا النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأنهم يظنون أن خالدا قوتل.

و هذا معناه: أنهم لم يحضروا ما جرى، و لا تحققوا منه بأى من وسائل التحقق، بل أطلقوا كلامهم على سبيل التخمين و الحدس.

و السؤال هو: إذا كان المهاجرون لا يعرفون أزيد مما يعرفه أى إنسان آخر لم يحضر الواقعه، فلما ذا يتصدون للدفاع عن خالد؟! و لماذا لم يجب النبى (صلى اللّه عليه و آله) أحد من غير المهاجرين؟!

بل إن قوله (صلى اللّه عليه و آله): ألم أنه عن القتال؟ يعطى: أنه كان قد رتب الأمور بنحو ينمع أهل مكه من أن يفكروا فى أى حركه قتاليه، فإن كان ثمه من قتال، فهو يتوقع أن يكون مصدره أولئك الذين نهاهم عنه.

و معنى ذلك: أنه سيكون قتالا عدوانيا، قد عصى فيه أمر رسول اللّه، و خولفت به تعليماته ..

خالد لا يعصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و أما قولهم عن خالد: و ما كان ليعصيك، و لا يخالف أمرك، فهو غير ظاهر الوجه، فإن خالدا كان حديث عهد بالإسلام، و لم يتعمق الإيمان بعد

فی داخل نفسه، و لا ظهرت دلائل انقیاده التام لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و قد أظهرت الوقائع اللاحقه: أنه کان من أعظم الناس جرأه علی مخالفه أوامر اللّه و رسوله، فراجع ما صنع ببنی جذیمه فی عهد النبی (صلی اللّه علیه و آله)، ثم ما صنعه بعد ذلک بمالک بن نویره، حیث قتله، و زنی بزوجته فی نفس لیله قتله، کما ألمحنا إلیه أکثر من مره.

کل الجنود لم یلقوا جنودا غیر خالد:

و یبقی السؤال یراود ذهن کل عاقل عن السر فی أن جمیع تلک الحشود التی دخلت مکه، و هی أکثر من عشره أضعاف التسع مائه الذین کانوا بقیاده خالد، لم تواجه أیه مشکله، و لم یلقوا أی مسلح. ألا یضع ذلک علامه استفهام علی زعمهم القائل: إن هذه الثله الیسیره وقفت لتتحدی الذی یرفده عشره أضعافه من المقاتلین الذین یتدفقون علی مکه من کل جهه؟!

قضاء اللّه خیر:

و لا یمکننا أن نقتنع بأن النبی الکریم (صلی اللّه علیه و آله) قد أنحی باللائمه علی قضاء اللّه تعالی، و اعتبره هو المسؤول عما جری فی أمر عصی اللّه فیه بمخالفه أمر رسوله (صلی اللّه علیه و آله) ..

و قد تضمنت هذه المعصیه: هتک حرمه الحرم، و قتل أناس کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد أعطاهم الأمان ..

و هل یصح وصف ذلک کله: بأنه خیر، و بأنه قضاء من اللّه، الذی یرید أن یوحی بأنه تعالی هو الذی فعله، أو أنه هو الذی قضاه علی الأقل؟!

و لم يقتصر الأمر على مجرد مهاجمه أولئك الناس، بل تجاوز ذلك إلى ملاحقتهم حتى قتلوا على باب المسجد، و اتبعوهم إلى الجبال، بل لقد اضطروا الى الهرب إلى البحر، و إلى التفكير بالهرب إلى اليمن ..

و قد كان من الوضوح بمكان: أن المقاومه لهجوم خالد و صحبه كانت فى غايه الضعف، كما تشير إليه روايه أبى هريره، التى يقول فيها: (فما نشاء أن نقتل أحدا منهم إلا قتلناه ..).

بل ذكر أبو هريره فى روايته المتقدمه ما يدل على أن الذين قصدوهم بالقتل لم يقاوموا أصلا، فقد قال: (فانطلقنا فما أحد يوجه إلينا شيئا، و ما منا أحد يريد أحدا منهم إلا أخذه ..).

فكيف يصح بعد هذا أن يقال: إن المشركين كانوا هم البادئين بالقتال؟!

بل إن الروايه التى ذكرت: أن ذلك الأنصارى قد أبلغ خالدا بعكس ما أمره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لهى خير دليل على أن المبادره لقتل الناس فى مكه كانت من خالد نفسه ..

و لكنهم عوضا من تقبيح فعل خالد، برؤوه من جرمه و ألقوا المسؤوليه على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و اتهموه بذلك الفعل القبيح، الذى ظهر قبحه من نفس نهى النبى (صلى اللّه عليه و آله) للمسلمين عن فعله ..

لم يسب صلّى اللّه عليه و آله لقريش ذريه:

و حين نقرأ فى تلك الروايه المتقدمه عن أبى عبد اللّه الصادق (عليه السلام) حول ما يرتبط بسيره على (عليه السلام) فى أهل الجمل:

(كانت السيره فيهم من أمير المؤمنين على (عليه السلام) ما كان من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى أهل مكه يوم فتح مكه، فإنه لم يسب لهم ذريه، و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، الخ ..) (۱).

فقد دلت هذه الروايه: على أن سياسته (صلى اللّه عليه و آله) فى أهل مكه يوم الفتح هى الكف عنهم، و هذا لا يتلاءم أبدا مع دعواهم أنه قال للأنصار: (احصدوهم حصدا) كما أن ذلك يدل على أن مكه قد فتحت عنوه، لا صلحا.

الأنصارى الخائن:

و عن قصه ذلك الأنصارى الذى زعمت الروايه: أنه لم يكن أمينا فى إبلاغ أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى خالد .. نقول:

إن لنا على تلك الروايه ملاحظات عديده هى:

۱- لماذا لم يعاقب النبى (صلى اللّه عليه و آله) ذلك الأنصارى على فعله الذى أدى إلى إزهاق أرواح كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) الذى لا ينطق عن الهوى يريد حفظها؟!

كما أنه قد كان سببا فى سل السيوف، و إراقه الدماء فى حرم اللّه تعالى، و فى جوار بيته، و إنما اكتفى (صلى اللّه عليه و آله) بالسكوت، فلم يوجه لذلك الكاذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لو كلمه تأنيب أو تخطئه على أقل تقدير، و قد كان من المناسب جدا أن يذكّره بقوله (صلى اللّه

۱- الكافى ج ۵ ص ۱۲ و راجع البحار ج ۲۱ ص ۱۳۶ عنه.

علیه و آله): فمن كذب علیّ عامدا متعمدا فلیتبوأ مقعده من النار (۱).

۱- راجع المصادر التالیه: الكافی ج ۱ ص ۶۲ الإعتقادات فی دین الإمامیه للصدوق ص ۱۱۸ و الخصال ص ۲۵۵ و تحف العقول ص ۱۹۳ و شرح أصول الكافی ج ۲ ص ۳۰۵ و الوسائل (ط مؤسسه آل البیت) ج ۲۷ ص ۲۰۷ و (ط دار الإسلامیه) ج ۱۸ ص ۱۵۳ و مستدرك الوسائل ج ۹ ص ۹۱ و ۹۲ و ۹۳ و ج ۱۷ ص ۲۸۸ و ۳۴۰ و كتاب سلیم بن قیس ص ۱۸۱ و شرح الأخبار ج ۱ ص ۲۲۸ و ج ۲ ص ۲۷۷ و كتاب الغیبه للنعمانی ص ۸۱ و المسترشد ص ۲۳۲ و الإستنصار للكراجكی ص ۱۱ و الإحتجاج للطبرسی ج ۱ ص ۳۹۳ و ج ۲ ص ۲۴۶ و العمده لابن البطریق ص ۲۲۴ و الطرائف لابن طاووس ص ۴۵۴ و الصراط المستقیم ج ۳ ص ۱۵۶ و ۲۵۸ و عوالی اللآلی ج ۱ ص ۱۸۶ و وصول الأخیار إلی أصول الأخبار للشیخ حسین بن عبد الصمد العاملی ص ۱۶۷ و كتاب الأربعین للشیرازی ص ۳۰۹ و البحار ج ۲ ص ۱۶۱ و ۲۲۵ و ۲۲۹ و ج ۳۴ ص ۱۶۹ و ج ۳۶ ص ۲۷۳ و ج ۳۷ ص ۲۲۳ و ج ۵۰ ص ۸۰ و كتاب الأربعین للماحوزی ص ۲۴۱ و النص و الإجتهاد ص ۵۲۱ و جامع أحادیث الشیعه ج ۱ ص ۱۵ و ۱۴۲ و ج ۱۳ ص ۵۷۹ و مستدرك سفینه البحار ج ۹ ص ۸۰ و مكاتیب الرسول ج ۲ ص ۷۶ و مسند أحمد ج ۴ ص ۲۵۲ و ج ۵ ص ۴۱۲ و صحیح مسلم ج ۱ ص ۸ و سنن الترمذی ج ۴ ص ۲۶۸ و السنن الكبری للبیهقی ج ۴ ص ۷۲ و شرح مسلم للنووی ج ۱ ص ۶۵ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۴۸ و المصنف للصنعانی ج ۶ ص ۱۰۹ و المصنف لابن أبی شیبه ج ۶ ص ۲۰۴ و ۲۰۵ و الآحاد و المثانی للضحاك ج ۵ ص ۳۴۴ و ۳۵۲ و السنن الكبری للنسائی ج ۲ ص ۴۴۴ و المعجم الكبیر للطبرانی ج ۳ ص ۱۸ و الجامع الصغیر ج ۱ ص ۲۶ و ۳۵۷ و كنز العمال ج ۳ ص ۶۲۵ و ج ۵ ص ۱۲۶ و ج ۱۰ ص ۲۲۲ و ۲۳۱ و تذكره الموضوعات للفتنی ص ۶ و فیض القدیر ج ۱ ص ۱۷۱ و ج ۲ ص ۶۰۴ و تفسیر القرطبی ج ۱ ص ۳۲ و تفسیر الثعالبی ج ۱ ص ۱۳۹ و الأحكام لابن حزم ج ۲ ص ۱۹۷ و طبقات المحدثین بأصبهان ج ۳ ص ۲۳۴ و تاریخ مدینه دمشق ج ۴۲ ص ۲۲۲ و ج ۶۴ ص ۳۷ و الموضوعات لابن الجوزی ج ۱ ص ۸۱ و ۸۷ و ۸۸ ذكر أخبار إصبهان ج ۲ ص ۶ و أعیان الشیعه ج ۱ ص ۱۱۴ و ج ۸ ص ۱۲۸ و كشف الغمه ج ۱ ص ۳۴۴.

٢- إن ما فعله ذلك الأنصارى، من شأنه أن يجرّئ الناس على مخالفه أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و تبديل أوامره و نواهيه بأضدادها .. و ذلك يفتح الباب أمام مفاسد كبيره و خطيره.

٣- قد رأينا: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد تبرأ مما صنعه خالد ببنى جذيمه، فلما ذا لم يتبرأ من الكاذب، و من الكذب الذى نسبه ذلك الأنصارى إليه؟! و الذى أدى إلى سفك الدماء فى حرم اللّه تعالى، و كان (صلى اللّه عليه و آله) يريد حفظها.

٤- و اللافت هنا: أن هذا الأنصارى الذى تسبب بإزهاق أرواح العشرات من الناس فى حرم اللّه تعالى، لم يستطع التاريخ أن يفصح لنا عن اسمه، أو عن اسم قبيلته على الأقل، بل اكتفى بوصفه بأنه (أنصارى).

٥- و يزيد الأمر إبهاما، و إثاره للشبهه: أن هذه الروايه قد ذكرت رقما يزيد على ضعف العدد الذى ذكرته سائر الروايات .. لأنها تقول: إن الذين قتلوا بسبب كذبه هذا الأنصارى هم سبعون رجلا.

٦- هل نستطيع أن نفهم ما جرى على أن هذا النوع من الروايات يقصد به الطعن فى الأنصار، و إظهار أنهم قد ظلموا قريشا و أهل مكه، و تعاملوا معهم من منطلق الحقد و الضغينه؟!

فکل ما یجری علی الأنصار بعد ذلک- کما حصل فی وقعه الحره، و سواها- یصبح مبررا، و تقل بشاعته، و لا یعود مستهجنا.

أردت أمرا، و أراد اللّه غیره:

و الغریب فی الأمر: أن یستدل ذلک الأنصاری علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بقوله: أردت أمرا، و أراد اللّه غیره، و ذلک:

۱- لأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لا یمکن أن یرید أمرا یخالف ما یریده اللّه تبارک و تعالی، فهو لا یرید إلا ما یرضی ربه، و لا یفعل و لا یقول إلا ما أذن اللّه تعالی له بفعله و قوله، علی قاعده: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی (۱).

و هو (صلی اللّه علیه و آله) مسدد من اللّه، و مؤید بتأییداته.

۲- ثم إن قتل الناس فی حرم اللّه لم یرده اللّه تعالی بلا ریب، فلا یصح نسبته إلیه، بل أراده أولئک العصاه لأوامر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و الکاذبون علیه، الذین توعدهم اللّه بالعذاب الألیم فی نار جهنم.

۳- و لو فرضنا: أن ذلک الأنصاری أصاب فی استدلاله هذا، لکان ینبغی أن یلتفت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی هذا الدلیل قبل کل أحد، و لکان ذلک یمنع النبی (صلی اللّه علیه و آله) من توجیه الأسئله لخالد حول ما اقترف، و من مطالبه الأنصاری بمبرراته التی استند إلیها فیما فعل ..

۱- الآیتان ۳ و ۴ من سور النجم.

۴- هل سكت النبى (صلى اللّه عليه و آله) حين قال له الأنصارى ذلك عن قناعه بما قاله هذا الكاذب على الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، أم أن سكوته كان لأجل عجزه عن مواجهه الحجه بالحجه، و الدليل بالدليل؟! أم أن ذلك السكوت كان احتجاجيا، يريد به الإعراض عن ذلك الكاذب، و الدلاله على عدم جدوى النقاش معه فى هذا الأمر؟! بل قد تكون مواصله النقاش معه فيه مضره، و لها آثار سلبيه على المسلمين، و ربما على غيرهم أيضا ..

قد يقال: إن الإحتمال الأول هو الأوفر حظا من بين سائر الإحتمالات.

و لكننا نقول:

إن هذا الإحتمال هو الأسوأ و الأكثر ضررا من حيث إنه يشير إلى غفله النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن أمر يعرفه سائر الناس العاديين .. كما إنه يشير إلى جهل النبى (صلى اللّه عليه و آله) حتى بمثل هذا الأمر البديهى.

و إذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يصدر و لا يورد، و لا يأمر و لا ينهى إلا وفق ما يريده اللّه تعالى، فإن الأمر يصبح أكثر إشكالا، لأنه يؤدى إلى نسبه هذه العظائم إليه سبحانه، تعالى اللّه عما يقوله الجاهلون علوا كبيرا.

نهى أن يقتل من خزاعه أحد:

و قد صرحت النصوص التى ذكرناها: بأنه (صلى اللّه عليه و آله) نهى أن يقتل من خزاعه أحد.

و نقول:

قد يقال: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) نهى عن القتال و القتل مطلقا، سواء لخزاعه أو لغيرها .. و أعطى الأمان لجميع أهل مكه باستثناء أشخاص بأعيانهم، سيأتى الحديث عنهم؛ لأنهم قد ارتكبوا جرائم لا مجال للعفو عنها .. فلا خصوصيه لخزاعه هنا، و لا معنى لحصر الكلام فيها.

و يمكن أن يجاب: بأنه (صلى اللّه عليه و آله) قد عمم الأمان ليشمل خزاعه و جميع أهل مكه، ثم خص خزاعه بالذكر، لأنها كانت داخله فى عقد النبى (صلى اللّه عليه و آله) و عهده، كما ظهر مما جرى فى الحديبيه .. فلهم أمان الحلف، بالإضافه إلى الأمان الذى يشملهم مع أهل مكه ..

فخزاعه: لا يصح قتال أحد منها حتى لو بادر إلى حمل السلاح و القتال، فيجب مراعاه حاله، و تحاشى قتله، و مراجعه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى أمره، لأن لخزاعه أحكاما تختلف عن أحكام سائر مشركى مكه المحاربين، و قد اصبحوا الآن أسرى فى أيدى المسلمين، يحكم فيهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) بما يقتضيه حالهم ..

و أما خزاعه: فليسوا محاربين كمشركى مكه، بل هم حلفاء، و لهم عهد و عقد.

و حتى لو اتفق و وقع القتل على أحد منهم، و لو عن غير قصد، فلعلهم ممن تشملهم أحكام الديات أيضا.

شعار النبى صلّى اللّه عليه و آله فى فتح مكه:

روى الكلينى عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبى

نصر، عن معاويه بن عمار، عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال:

شعارنا: (يا محمد، يا محمد).

و شعارنا يوم بدر: (يا نصر اللّه إقترب، إقترب).

و شعار المسلمين يوم أحد: (يا نصر اللّه إقترب).

و يوم بنى النضير: (يا روح القدس أرح).

و يوم بنى قينقاع: (يا ربنا لا يغلبنك).

و يوم الطائف: (يا رضوان).

و شعار يوم حنين: (يا بنى عبد اللّه، [يا بنى عبد اللّه]).

و يوم الأحزاب: (حم، لا يبصرون (أو لا ينصرون)).

و يوم بنى قريظه: (يا سلام أسلمهم).

و يوم المريسيع، و هو يوم بنى المصطلق: (ألا إلى اللّه الأمر).

و يوم الحديبيه: (ألا لعنه اللّه على الظالمين).

و يوم خيبر، يوم القموص: (يا على آتهم من عل).

و يوم الفتح: (نحن عباد اللّه حقا حقا).

و يوم تبوك: (يا أحد يا صمد).

و يوم بنى الملوح: (أمت، أمت).

و يوم صفين: (يا نصر اللّه).

و شعار الحسين (عليه السلام): (يا محمد).

و شعارنا: (يا محمد) (۱).

۱- الکافی ج ۵ ص ۴۷.

و سند الحديث صحيح.

و روى أيضا:

أن شعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور أمت).

و شعار يوم أحد للمهاجرين: (يا بنى عبد اللّه، يا بنى عبد الرحمن).

و للأوس: (يا بنى عبد اللّه) (۱).

و نقول:

كنا قبل سنوات قد كتبنا بحثا حول (نقش الخواتيم لدى الأئمه صلوات اللّه و سلامه عليهم) ..

و قد بدا واضحا: أن ما كانوا ينقشونه عليها متوافق مع طبيعه المرحله التى يمرون بها، و التحديات التى تواجههم.

و هذه العبارات المختاره لتكون شعارا فى هذه الحرب أو تلك تشير إلى نفس هذا الأمر، و تؤكد على هذه الحقيقه ..

و لو أردنا أن نشرح هذا التوافق و الإنسجام فيما بين الشعار و بين ما يراد له أن يدل عليه و يشير إليه لاحتجنا إلى عشرات الصفحات، و لكان علينا أن ندّخر المزيد من الوقت و الجهد فى إيضاح هذه المعانى و بيان هذه الدلالات.

فلا محيص لنا عن الإكتفاء هنا بلمحه عابره عن بعض ما يرمى إليه الشعار الذى اختير ليوم فتح مكه فقط، و هو:

(نحن عباد اللّه حقا حقا)، فنقول:

۱- الكافى ج ۵ ص ۴۷.

یتضح بعض ما نرید الإلماح إلیه کما یلی:

۱- لقـد کان مشـرکو مکه و جبابرتها، و عتاتها، و رموز الظلم و الکیـد و التعدی علی حرمات اللّه فیها، یحاربون اللّه و رسوله، و یهتکون حرمه بیت اللّه، و ینتهکون حرمه الحرم. ثم هم یدّعون أنهم سدنه البیت، و أولیاؤه، و حماه الحرم و أبناؤه.

و قد رد اللّه تعالی ذلک علیهم، فقال: وَ ما لَهُمْ أَلَّا یُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ یَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما کانُوا أَوْلِیاءَهُ إِنْ أَوْلِیاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ (۱).

و لنا حول موضوع البیت و ولایته حدیث ذکرناه فی کتابنا (دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسـلام)، و لعلنا نحتاج لإیراد موجز عنه فیما یأتی من مطالب إن شاء اللّه تعالی ..

۲- إن الکعبه بیت اللّه، و الحرم المکی حرم اللّه، و لاـ بـد من أن تتجلی فی هـذه الأمـاکن المقـدسه، و المشاعر المعظمه عبودیه الإنسان لربه بکل أبعادها، و مختلف تجلیاتها.

و خیر من یجسد هذه العبودیه هم المؤمنون باللّه الواحد الأحد، الفرد الصـمد، و لا یشرکون به شیئا، فإن الشرک ینقص من مقام العبودیه هذا ..

بل هو یصرفها إلی غیر اللّه تبارک و تعالی إلی حد التمحض فی ذلک الغیر ..

و لأجل ذلک اختار (صلی اللّه علیه و آله) بیان هذه الحقیقه، و إسقاط هذه المغالطه التی یمارسها المدّعون لها کذبا و زورا ..

۱- الآیه ۳۴ من سوره الأنفال.

۳- إن اختيار العبوديه لتكون أول مفهوم يطرح فی هـذه المناسـبه يؤكـد على أن هذا الفتح العظيم لم يخرج هؤلاء الفاتحين عن حاله التوازن، و لم يـدفعهم للتصـرف بكبرياء، و لم يوجب لديهم حاله من الغرور و الادّعاء لأنفسـهم فوق ما تملكه من قدرات. بل زادهم ذلک تواضعا، و خضوعا له، و استسلاما لإرادته و مشيئته تعالی، تماما کما يستسلم کل عبد لسيده، و ليس لأهوائهم و نزواتهم.

۴- إن هـذا يعطی الآـخرين الـذين اساؤوا و آذوا نفحه من الشـعور بالطمأنينه، و بالأمل و السـكينه، من حيث أنهم سـيفهمون أن القرار بشـأنهم لن يكون عشوائيـا، تتحكم فيه النزوات، و الأـهواء و العصبيـات، بـل هو قرار إلهی، و حكم ربـانی .. فإذا أصـلحوا علاقتهم باللّه، و تابوا و عادوا إلى الالتزام بأوامره و زواجره، و إذا اعتقدوا: أنه غفور رحيم، و قوی عزيز، و أنه الغفور التواب و .. و .. فإن بإمكانهم أن يأملوا قبول توبتهم، و النظر إليهم بعين الرحمه و المغفره ..

فيكون نفس هـذا الشـعار الـذی نادی به المسـلمون فی فتـح مكه دعوه لأهلها إلی قبول الحق، و الـدخول فی دين اللّه و التوبه و الإستغفار، و طلب الرحمه ..

كما إنه شـعار يتضـمن إنـذارا لهم بضـروره التخلی عن المكابره و الجحود .. لأن ذلک سوف يعرضـهم لغضب اللّه و سـخطه، و ستجری عليهم و فيهم أحكامه و شرائعه، وفق سنن العدل، و علی أساس قاعده:

أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ .. (۱). و قاعده: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ (۲).

فتحت مکه عنوه لا صلحا:

و قد زعموا: أن مکه فتحت صلحا، و به قال الشافعی (۳).

فلما واجههم ما أثبته التاریخ من قتل خالد ثمانیه و عشرین رجلا من قریش و هذیل کما ذکرته الروایات أو سبعین من أهل مکه کما فی روایه أخری قالوا: إن هذه المقاتله التی وقعت لخالد لا تنافی کون مکه فتحت صلحا، لأنه صالحهم بمر الظهران قبل دخول مکه.

و أما قوله: (من دخل دار أبی سفیان فهو آمن، و من دخل دار حکیم بن حزام فهو آمن، و من ألقی سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من دخل تحت لواء أبی رویحه فهو آمن) فهو من زیاده الإحتیاط لهم فی الأمان.

و قوله: احصدوهم حصدا محمول علی من أظهر من الکفار القتال، و لم یقع قتال، و من ثم قتل خالد من قاتل من الکفار.

و إراده علی کرم اللّه وجهه قتل الرجلین اللذین أمنتهما أخته أم هانی ء کما سیأتی لعله تأول فیهما شیئا، أو جری منهما قتال له.

و تأمین أم هانی ء لهما، من تأکید الأمان الذی وقع للعموم.

۱- الآیه ۶ من سوره المجادله.
۲- الآیتان ۷ و ۸ من سوره الزلزله.
۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۱.

فلا حجه فی کل ما ذکر علی أن مکه فتحت عنوه کما قاله الجمهور.

و قیل: أعلاها فتح صلحا: أی الذی سلکه أبو هریره و الأنصار، لعدم وجود المقاتله فیه، و أسفلها الذی سلکه خالد فتح عنوه لوجود المقاتله فیه (۱).

و نقول:

إن ذلک غیر صحیح، بل فتحت عنوه، و نستند فی ذلک إلی ما یلی:

أولا: إن نفس إعطاء الأمان لأهل مکه، إن دخلوا المسجد، أو بیوتهم، أو غیر ذلک یدل علی أنهم قد قهروا بدخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) بلدهم، و أن معارضتهم سوف تنتهی إلی استرجاع هذا الأمان، و استمرار حاله الحرب.

ثانیا: قول رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لأهل مکه: ما ترون أنی صانع بکم؟!

قالوا: أخ کریم، و ابن أخ کریم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فإن قوله: ما ترون أنی صانع بکم یدل علی أنه هو الذی یقرر مصیرهم، و یصنع بهم ما یشاء، بعد أن أصبحوا فی یده بعد الفتح. و لو کان ثمه صلح، فإن بنود الصلح و شروطه هی التی تحدد ذلک، و لا یبقی لأحد طرفی الصلح أی خیار فی مصیر الطرف الآخر ..

ثالثا: لم یرد فی أی نص تاریخی: أن ثمه صلحا بین النبی و بین أحد من

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۴.

أهل مكه، فالقول بحصول شى ء من ذلك ما هو إلا تخرص و رجم بالغيب.

رابعا: إن اعتبارهم طلقاء فى قوله (صلى اللّه عليه و آله): اذهبوا فأنتم الطلقاء، يدل على أنه قد أسرهم، ثم أطلق سراحهم، فإن الطليق هو الأسير إذا أطلق و لم يسترق (۱).

خامسا: إن مما يشير إلى ذلك أيضا: ما رواه الحسين بن محمد الأشعرى، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان، عن أبى حمزه الثمالى قال: قلت لعلى بن الحسين (صلوات اللّه عليهما): إن عليا (عليه السلام) سار فى أهل القبله بخلاف سيره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى أهل الشرک.

قال: فغضب ثم جلس، ثم قال: سار و اللّه فيهم بسيره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الفتح، إن عليا (عليه السلام) كتب إلى مالک و هو على مقدمته يوم البصره بأن لا يطعن فى غير مقبل، و لا يقتل مدبرا، و لا يجهز على جريح، و من أغلق بابه فهو آمن (۲).

و على (عليه السلام) إنما انتهى إلى هذه النتيجه بعد أن انتصر عليهم فى ساحات القتال و النزال، و أصبحوا فى يده، و كذلک الحال بالنسبه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

إستدلالات و تأويلات:

۱- بالنسبه للاستدلالات المذكوره آنفا نقول:

۱- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵.

۲- الكافى ج ۵ ص ۳۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۹ عنه.

قد استدل القائلون بفتح مكه صلحا: بأن ما جرى فى مر الظهران يعتبر صلحا.

و نقول:

أولا: قد ذكرنا فيما تقدم: أن أبا سفيان قد اعتقل من قبل أولئك الذين أرسلهم النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و حدد لهم مكانه بدقه .. و لم يذكر التاريخ و لو كلمه واحده عن أيه مفاوضات جرت بين أبى سفيان و بين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حول دخول مكه عنوه أو صلحا، أو عدم دخولها.

ثانيا: إن أبا سفيان بعد أن أعلن إسلامه، لم يكن يصح أن يعتبر نفسه مسلما، ثم أن يعتقد بأن له الحق فى أن يصالح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أو أن يفاوضه فى شأن مكه، أو فى شأن غيرها ..

ثالثا: إن إهدار دم جماعه ممن ارتكبوا جرائم فى حق الدين و أهله، ما هو إلا قرار نبوى خالص، و قد كانت هند بنت عتبه زوجه أبى سفيان فى جمله الذين أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمهم. و لم يكن أبو سفيان ليرضى بقتل زوجته، أو بقتل عكرمه بن أبى جهل، أو صفوان بن أميه و غيرهم، بل هو ينقض ألف صلح و عقد و عهد من أجل حفظهم، فكيف يعقد صلحا تكون نتيجته قتل كثير من أصفيائه و أحبته؟!

٢- بالنسبه للتأويلات التى ذكروها نقول:

ألف: ادّعى القائل بفتح مكه صلحا: بأن الأمان الذى أعطاه (صلى اللّه عليه و آله) لمن دخل المسجد، أو دار أبى سفيان، أو أغلق بابه، أو ألقى سلاحه، أو لجأ إلى رايه أبى رويحه .. قد أعطى لهم زياده فى الإحتياط.

و هو كلام غير دقيق.

فأولا: إن معنى هـذا الأمان هو أن من لم يفعل ذلك، فلا أمان له، و سيكون التعامل معه على أنه محارب، يجوز قتله و أسره، و يحل ماله.

ثانيا: لو كان الأمان قد أعطى زياده فى الإحتياط، لكان من الضرورى أن ينادى بالأمان العام أولا، ثم يخصص ذلك و يقول: و خصوصا من دخل المسجد، أو ألقى سلاحه، أو أو الخ .. مع أن ذلك لم يحصل، إذ لم يناد أحد بشى ء من ذلك.

ب: و زعموا: أن ما نسب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) من أنه قال للأنصار: احصدوهم حصدا، محمول على من أظهر من الكفار القتال، و لم يقع قتال .. و لذلك قتل خالد من قاتله من الكفار.

و نقول:

إننا و إن كنا قد ناقشنا النص المذكور بما دل على عدم صحته، غير أننا نزيد هنا:

أولا: إن هذا الحمل تبرعى، ليس فى النص المذكور أيه إشاره إليه.

ثانيا: إن النصوص تشير إلى أن من قتلهم خالد لم يكونوا قد أظهروا القتال حسبما تقدم.

ثالثا: لقد كان الأولى بهؤلاء أن يقفوا عند عباره (احصدوهم حصدا)، ليؤكدوا كذبها من حيث إنها لا تتناسب مع النهج النبوى، و السلوك الإيمانى .. و قد عرفنا أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كانت تذهب نفسه حسرات على قومه، و كان يدعو لهم بالهدايه، حتى و هم يقاتلونه.

و لم يكن يريد سحقهم و استئصالهم، بل كان كل همه (صلى اللّه عليه

و آله) منصرفا إلى كسر شوكتهم، و إسقاط مقاومتهم، ثم العمل على إقناعهم بالإسلام، ثم إيصال الإسلام إلى كل من لهم به صله نسب، أو مصلحه، أو صداقه، أو غيرها ..

ج: و ذكروا: أن سعى على (عليه السلام) لقتل الرجلين اللذين اجارتهما أم هانى، لعله لأجل أنه تأول بهما شيئا، أو جرى منهما قتال. و تأمين أم هانى لهم من تأكيد الأمان الذى جرى للعموم ..

و نقول:

سيأتى الحديث عن هذه القضيه عن قريب، و نكتفى هنا بما يلى:

أولا: صرح الحلبى: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان قد أهدر دم هذين الرجلين اللذين أجارتهما، و هما: الحارث بن هشام، و زهير بن أبى أميه (۱). فلم يكن على (عليه السلام) متأولا في أمرهما شيئا خلاف ما نص عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

ثانيا: ما زعمه: من أن تأمين أم هانى لهما قد جاء تأكيدا للأمان العام، لا يصح، إذ لماذا لا تحتج أم هانى على على (عليه السلام) بذلك الأمان العام لتحرجه به، بلا حاجه إلى أن تشتكيه إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)؟!

يضاف إلى ذلك: أنه لا يوجد أى نص يشير إلى وجود ذلك الأمان العام المزعوم، بل قد تقدم أن تحديد النبى (صلى اللّه عليه و آله) المسجد، و دار أبى سفيان و .. و .. لتكون مواضع الأمان، ينفى وجود أمان عام.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۱ و راجع ص ۹۳.

الشهداء من المسلمين:

قالوا: (و استشهد من المسلمين ثلاثه نفر، دخلوا فی أسفل مکه، و أخطأوا الطریق، فقتلوا) (۱).

و نقول:

إنه یبدو لنا: أن هذه النصوص، و أمثالها تشتمل علی نوع من التضلیل، و ذلک:

أولا: لأن الذی دخل من أسفل مکه هو خالد بن الولید (۲)، و خالد هو الذی قاتل أهل مکه حین دخل، و قتل منهم العشرات، فإذا کان هؤلاء الثلاثه قد قتلوا فی أسفل مکه، فهذا یعنی: أنهم قتلوا مع خالد بالذات، حین دافعه أهل مکه عن أنفسهم، إذ لا یعقل أن یقتل منهم ما یقرب من ثلاثین قتیلا، و یلاحقهم خالد و من معه إلی المسجد، و إلی الجبال، بل لقد هرب بعضهم إلی جهه الیمن کما تقدم، ثم لا تکون منهم أیه مقاومه، و لا

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۳۳ عن إعلام الوری، و الأنوار العلویه للنقدی ص ۲۰۲ و إعلام الوری ج ۱ ص ۲۲۶ و ۲۲۷.
۲- راجع: المصنف لابن أبی شیبه ج ۸ ص ۵۳۳ و شرح معانی الآثار ج ۳ ص ۳۱۵ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۵۲۷ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۳۳۲ و ۲۳۸ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۵۵۰ و ۵۶۰ و راجع: شرح النهج للمعتزلی ج ۱۷ ص ۲۷۴ و الطبقات الکبری ج ۷ ص ۳۹۵ و الثقات ج ۲ ص ۴۹ و معجم البلدان ج ۵ ص ۲۸ و عن تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۳۳۴ و عن السیره النبویه لابن هشام ج ۴ ص ۸۶۵ و عیون الأثر ج ۲ ص ۱۹۱ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ و معجم ما استعجم ج ۱ ص ۱۲۹.

یقتل و لا یجرح أحد ممن کان مع خالد.

و الـذی نراه هو: أن ثمه تزویرا رخیصا یهـدف إلی إیقاع الناس فی الغلط و الاشـتباه، فإن محبی خالـد بعد أن ظهر لهم أن خالدا قد خالف أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و قتل من قتل من الناس بغیر رضا و لا رخصه منه (صلی اللّه علیه و آله)، بل مع وجود منعه و نهیه .. خافوا أن یجعل قتل هؤلاء الثلاثه علی عهده خالد، و بتسبیب منه .. فأبعدوهم عنه.

ثم رووا: أنه دخل من أعلی مکه، و رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) دخل من أسـفلها حسـبما تقدم، لکی تتعارض الروایات، و یأتی أهل الخیر لیجمعوا بینها، بما یبعد الشبهه عن خالد، أو یوجب الشبهه فی حقیقه ما ارتکبه، أو ما کان سببا فیه.

ثانیا: إننا لا نری مبررا لضـلال هؤلاء الثلاثه لطریقهم، و لا لقتلهم بسـبب ذلک، فإنه إن کان خالـد قـد دخل من أسـفل مکه فقد کانوا معه، و لا مجال لأن یضـلوا الطریق عنه دون سواهم، و هم فی ضـمن جیش یعد بالمئات و الألوف، و إن کان النبی (صـلی اللّه علیه و آله) هو الذی دخل من أسفلها فقد کانوا معه، و فی حمایته، فلما ذا یقتلون؟! و کیف؟!

لا غنائم فی یوم الفتح:

عن عبید بن عمیر قال: قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی یوم فتح مکه: لم تحل لنا غنائم مکه (۱).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن الواقدی و مسند أحمد ج ۶ ص ۴۶۶.

و عن يعقوب بن عتبه قال: لم يغنم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من مكه شيئا، و كان يبعث السرايا خارجه من الحرم، و عرفه، و الحل، فيغنمون و يرجعون إليه (۱).

و نقول:

قد يقال: إن هذا يدل على أن مكه قد فتحت صلحا، إذ لو فتحت عنوه لحلت غنائمها ..

و نجيب:

أولاـ إن مكه قد فتحت عنوه، لكن العنوه لا تعنى لزوم وقوع قتال و قتلى، بل الفتح عنوه هو ما يكون بالقهر و القوه، و بالرغم و الهيمنه السلطويه. و ذلك حاصل فى فتح مكه .. لكن النبى (صلى اللّه عليه و آله)- حفظا منه لحرمه بيت اللّه و حرمه- منع المقاتلين من مباشره أى عمل قتالى إلا بإذنه، و قتل الناس الذى صدر من خالد كان معصيه لأوامر الرسول (صلى اللّه عليه و آله) فى هذا المجال.

على أن نفس أن يهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دم حوالى عشرين شخصا، و قد قتل بالفعل عدد منهم .. يدل على أنه كان يتصرف من موقع الفاتح المنتصر، لا من موقع المصالح، الذى يفرض شروطه على الطرف الآخر .. إذ لم يكن المشركون ليرضوا بقتل عدد من كبار زعمائهم و أصحاب القرار فيهم، و لا يمكن أن يسجلوا ذلك فى بنود صلح مع من يطالب بقتلهم.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن الواقدى، و التنبيه و الإشراف ص ۲۳۳ و راجع: تاريخ مدينه دمشق ج ۱۶ ص ۷۷ و ۲۳۲.

ثانیا: إنه لا مانع من أن یکون لمکه خصوصیه فی أحکام الجهاد و الفتح، فتکون غنائمها حراما حتی لو فتحت عنوه. و قد تبینت خصوصیه مکه فی کثیر من الأحکام.

قریش لا تقتل صبرا و لا تغزی:

عن مطیع بن الأسود قال: سمعت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقول یوم فتح مکه: (لا یقتل قریشی صبرا بعد الیوم إلی یوم القیامه) (۱).

و عن أبی حصین الهذلی قال: لما قتل النفر الذین أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بقتلهم سمع النوح علیهم بمکه، و جاء أبو سفیان بن حرب إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال: فداک أبی و أمی، البقیه فی قومک.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (لا یقتل قریشی صبرا بعد الیوم).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۵۷ عن مسلم، و قال فی هامشه: أخرجه مسلم فی الجهاد باب ۳۳ حدیث (۸۸)، و الدارمی ۲/ ۱۹۸ و الحمیدی (۵۶۸). و الطبرانی فی الکبیر ۷/ ۸۸ و أحمد ۳/ ۴۱۲، و الطحاوی فی المعانی ۳۲۶ و البیهقی فی الدلائل ۵/ ۷۹ و ابن أبی شیبه ۱۲/ ۱۷۳، ۱۴/ ۹۰ انتهی. و راجع: مسند أحمد ج ۴ ص ۳۱۳ و الأدب المفرد ص ۱۷۸ و الفایق فی غریب الحدیث ج ۳ ص ۴۳۶ و الثقات ج ۲ ص ۵۳ و تهذیب التهذیب ج ۶ ص ۳۰۲ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۳۵۱ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۵۸۱ و النهایه فی غریب الحدیث ج ۳ ص ۳۶۵ و لسان العرب ج ۱۵ ص ۱۲۴ و مسند الحمیدی ج ۱ ص ۲۵۸.

قال محمد بن عمر: يعنى على الكفر (۱).

عن الحارث بن مالك، (و يقال له: ابن البرصاء)، قال: سـمعت رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) يقول: (لا تغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامه على الكفر) (۲).

و عن الحارث أيضا، قال: سـمعت رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) يقول يوم فتـح مكه: (لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامه ..).

قال العلماء: معنى قوله: (لا تغزى) يعنى على الكفر (۳).

و نقول:

إننا لا نسـتطيع أن نأخـذ بظاهر هـذا الكلام، بل لا بـد من تأويله إن أمكن، أو الحكم عليه بالسـقوط و البطلان، و اعتباره مجعولا لأهداف رخيصه، تتناقض مع التشريع الإلهى و مع التوجيه الربانى ..

۱- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۶۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۵۷ عن الواقدى.

۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۵۷ عن الواقدى، و فى هامشه عن: المغازى للواقدى ۲/ ۸۶۲ و ابن سعد ۲/ ۱/ ۹۹، و الطبرانى فى الكبير ۳/ ۲۹۲ و ابن أبى شيبه ۱۴/ ۴۹۰ و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۷۵ انتهى. و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۳ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۷ و أسد الغابه ج ۱ ص ۳۴۶ و غريب الحديث ج ۳ ص ۱۹۰ و النهايه فى غريب الحديث ج ۳ ص ۳۶۵ و لسان العرب ج ۱۵ ص ۱۲۴.

۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن أحمد، و الترمذى، و صححه، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۶۲.

لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء:

و قد يقال: إن المقصود الإخبار عن أن الشرک و الكفر لن يدخل مكه، و لن يسيطر عليها، بحيث يحتاج إخراجه منها إلى غزوها، و ليس المقصود إنشاء تحريم غزوها حتى مع عودتها للكفر، فإن ذلک يعنى: القبول بسيطره الكفر عليها، و هو أمر مرفوض جمله و تفصيلا.

و لو فرض لزوم الرضى به، فليس من المصلحه الجهر بمثل هذا الأمر، و لا سيما بالنسبه لأهل مكه الذين كان معظمهم لا يزال على الشرک و الكفر، أو أنه أعلن الإسلام نفاقا، بعد أن غلب أهل مكه على أمرهم بدخول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه على تلك الحال القويه، التى لا قدره لهم على مواجهتها.

و لا بد من أن يكون هذا المعنى هو المراد أيضا بقوله (صلى اللّه عليه و آله)- فيما رووه عنه-: (لا يقتل قرشى صبرا بعد اليوم) يعنى: على الكفر.

و يزيد الأمر وضوحا إذا علمنا: أنه لو أريد الأخذ بالإحتمال الآخر، و هو:

أن تكون قريش فى منأى عن القتل صبرا، فإننا نصبح أمام محذورين مهمين:

أحدهما: أن إعلانا من هذا القبيل يدخل فى سياق تغذيه روح العنصريه، التى رفضها الإسلام جمله و تفصيلا، إنسجاما منه مع حكم العقل، و قضاء الفطره، و مع ما قررته الآيات الكريمه التى تقول: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ (۱).

مع ملاحظه: أن القرشيه أو غيرها من مثيلاتها من الخصوصيات مثل

۱- الآيه ۱۳ من سوره الحجرات.

العرق و اللون، ليست من الأمور الإختياريه التى يمكن اعتبارها حيثيه يصح إناطه التشريعات المرتبطه بالأعمال بها ..

الثانى: إنه لا ـ شك فى أن المرتد عن فطره محكوم بالقتل من الناحيه الشرعيه، سواء كان قرشيا أو غير قرشى. و هو إنما يقتل صبرا، و لم يقل أحد: أن هذه الكلمه قد ألغت هذا الحكم، مع أنه من موارد القتل على الكفر لمن هو من قريش أيضا.

هذا ما وعدنى ربى:

عن عبد اللّه بن مغفل قال: رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه على ناقته، و هو يقرأ سوره الفتح، يرجّع صوته بالقراءه.

قال معاويه بن قره: لو لا أن يجتمع الناس حولى لرجّعت كما رجّع عبد اللّه بن مغفل، يحكى قراءه النبى (صلى اللّه عليه و آله).

قال شعبه: فقلت لمعاويه: كيف كان ترجيعه؟

قال: ثلاث مرات (۱).

و عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الفتح: (هذا ما وعدنى ربى) ثم قرأ: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (۲)) (۳).

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ عن البخارى فى التفسير، و فضائل القرآن، و التوحيد، و المغازى، و عن مسلم فى الصلاه، و النسائى، و الحاكم، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۹۷.

۲- الآيه ۱ من سوره النصر.

۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ عن الطبرانى.

قالوا: و نزل یوم فتح مکه: وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً (۱).

فارتجت مکه من قول أصحاب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً) (۲).

و نقول:

۱- قد تحدثنا عن بعض ما یرتبط بقراءته (صلی اللّه علیه و آله) سوره الفتح عن قریب، فلا ضروره للإعاده، فنحن نکتفی بما ذکرناه هناک ..

۲- بالنسبه إلی ما ادّعوه فی ترجیعه (صلی اللّه علیه و آله) فی قراءه السوره المذکوره نقول:

إنه لا شک فی أنه ترجیع لا یصل إلی حد ما نراه من ترجیع غنائی یقوم به القراء فی زماننا، و قد وصف ابن قتیبه لنا قراءه بعض قراء زمانه، و إذ بها تشبه ما نراه فی هذا الزمان.

فقد قال فی معرض حدیثه عن حمزه بن حبیب الزیات، و هو أحد القراء السبعه:

(.. هذا إلی نبذه فی قراءته مذاهب العرب، و أهل الحجاز لإفراطه فی المد، و الهمز و الإشباع، و إفحاشه فی الإضجاع و الإدغام. و حمله المتعلمین علی المرکب الصعب، و تعسیره علی الأمه ما یسر اللّه.

و قد شغف بقراءته عوام الناس و سوقهم، و لیس ذلک إلا لما یرونه من

۱- الآیه ۸۱ من سوره الإسراء.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۱۱۴ عن تفسیر القمی.

مشقتها، و صعوبتها ..

إلى أن قال: و رأوه عند قراءته مائل الشدقين، دارّ الوريدين، راشح الجبينين، توهموا: أن ذلك لفضيله فى القراءه، و حذق فيها.

و ليس هكذا كانت قراءه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا خيار السلف، و لا التابعين، و لا القراء العالمين، بل كانت قراءتهم سهله رسله) (۱).

و قد تحدثنا فى موضع آخر عن موضوع التغنى بالقرآن، و أن ذلك ليس فقط لم يثبت عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، بل النصوص تثبت خلافه ..

۳- إن الآيات القرآنيه التى نزلت، و التى رددها المسلمون حتى ارتجت مكه، تبين: أن المعيار عند صاحب هذا الفتح هو انتصار الحق على الباطل، و ليس المهم فتح البلاد، و امتلاک أزمّه الأمر و النهى فى العباد، و لا أى شى ء آخر من أمور الدنيا .. إلا إذا كان يقوى هذا الحق و يحميه، و يزهق الباطل و يضعفه، و يبطل أى حركه فيه ..

۱- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه ص ۵۸- ۶۳.

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه علیه و آله و جوار أم هانی

اشاره

أين نزل النبى صلّى اللّه عليه و آله فى مكه؟!:

روى عن ابن عباس أنه قال: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه يوم الإثنين (١).

و عن أبى جعفر قال: كان أبو رافع قد ضرب لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قبه بالحجون (أى عند شعب أبى طالب) من أدم، فأقبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى انتهى إلى القبه، و معه أم سلمه، و ميمونه زوجتاه (٢).

و عن أسامه بن زيد أنه قال: يا رسول اللّه! أنّى تنزل غدا؟ تنزل فى دارك؟

قال: (و هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار)؟

و كان عقيل ورث أبا طالب هو و أخوه طالب، و لم يرثه جعفر و لا

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ٢٣٠ عن الواقدى، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨۵ و راجع: مجمع البيان ج ١٠ ص ۵۵۶ و البحار ج ٢١ ص ١٠۵ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٩.

علی، لأنهما کانا مسلمین، و کان عقیل و طالب کافرین، أسلم عقیل بعد (۱).

و عن أبی هریره: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال: (منزلنا إن شاء اللّه تعالی- إذا فتح اللّه- بخیف بنی کنانه، حیث تقاسموا علی الکفر).

یعنی بذلک: المحصب.

و ذلک أن قریشا و کنانه تحالفت علی بنی هاشم و بنی المطلب أن لا یناکحوهم و لا یبایعوهم حتی یسلموا إلیهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۲).

و عن أبی رافع قال: قیل للنبی (صلی اللّه علیه و آله): ألا تنزل منزلک من الشعب؟

فقال: (و هل ترک لنا عقیل منزلا)؟

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ و ۲۳۱ و قال فی هامشه: أخرجه البخاری ۳/ ۵۲۶ فی الحج (۱۵۸۸) (۳۰۵۸، ۴۲۸۲، ۶۷۶۴)، و مسلم فی الحج (۴۳۹، ۴۴۰) و أبو داود حدیث (۲۰۱۰) و فی الفرائض باب (۱۰) و ابن ماجه (۲۷۳۰) و الطحاوی فی معانی الآثار ۴/ ۴۹، و أحمد ۵/ ۲۰۲ و الدار قطنی ۳/ ۶۲. و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۵ و الطبقات الکبری لابن سعد ج ۱ ق ۱ ص ۷۹ و المصنف للصنعانی ج ۶ ص ۱۵ و ج ۱۰ ص ۳۴۴.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۱ عن البخاری و أحمد، و قال فی هامشه: أخرجه البخاری (۴۲۸۴) (۱۵۸۹)، و مسلم فی الحج (۳۵۵) و البیهقی فی الدلائل ۵/ ۹۳ و أحمد ۲/ ۲۶۳، ۳۲۲، ۳۵۳، و الطبرانی فی الکبیر ۱۱/ ۶۲ و انظر مجمع الزوائد ۳/ ۲۵۰. و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۵.

و كان عقيل قد باع منزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و منزل إخوته من الرجال و النساء بمكه، فقيل لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله):

فانزل فى بعض بيوت مكه غير منازلك.

فأبى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قال: (لا أدخل البيوت).

و لم يزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا، و كان يأتى المسجد لكل صلاه من الحجون (۱).

و عن عطاء: لما هاجر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى المدينه لم يدخل بيوت مكه، فاضطرب بالأبطح، فى عمره القضيه، و عام الفتح، و فى حجته (۲).

هذا منزلنا يا جابر:

عن جابر- رضى اللّه عنه- قال: كنت ممن لزم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فدخلت معه يوم الفتح، فلما أشرف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من أذاخر، و رأى بيوت مكه، وقف عليها، فحمد اللّه و أثنى عليه، و نظر إلى موضع قبته، فقال:

(هذا منزلنا يا جابر، حيث تقاسمت قريش علينا فى كفرها).

قال جابر: فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينه: (منزلنا إذا فتح اللّه علينا مكه فى خيف بنى كنانه، حيث تقاسموا على الكفر).

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۱ عن الواقدى و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۹.
۲- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۹.

و کنا بالأبطح، و جاه شعب أبی طالب، حیث حصر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و بنو هاشم ثلاث سنین (۱).

و نقول:

إننا هنا نشیر إلی الأمور التالیه:

الحکمه فی اختیار موضع النزول:

قال الصالحی الشامی:

(الحکمه فی نزول النبی (صلی اللّه علیه و آله) بخیف بنی کنانه، الذی تقاسموا فیه علی الشرک، أی تحالفوا فیه علی إخراج النبی (صلی اللّه علیه و آله) و بنی هاشم إلی شعب أبی طالب، و حصروا بنی هاشم و بنی المطلب فیه، کما تقدم ذلک فی أبواب البعثه، لیتذکر ما کان فیه من الشده، فیشکر اللّه تعالی علی ما أنعم علیه من الفتح العظیم، و تمکنه من دخول مکه ظاهرا علی رغم من سعی فی إخراجه منها، و مبالغه فی الصفح عن الذین أساؤوا، و مقابلتهم بالمن و الإحسان، و ذلک فضل اللّه یؤتیه من یشاء) (۲).

غیر أننا نقول:

إن الأمر لا یقتصر علی ما ذکر آنفا، فهناک أمور أخری نشیر إلیها فی الفقرات التالیه:

۱- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ عن الواقدی و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۳ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۵ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۸.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷.

النبى صلّى اللّه عليه و آله يصل الماضى بالحاضر:

قد عرفنا فيما سبق: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد نزل فى نفس الموقع الذى حصره فيه أهل الكفر هو و سائر بنى هاشم، حينما تظاهروا عليه و عليهم بالإثم و العدوان، و قد مكثوا فيه حوالى ثلاث سنوات يقاسمون الآلام، و لا يقدرون على الاتصال بأحد من الناس، إلا خفيه، و قد منع الناس من إقامه أيه صله بهم، حتى صله البيع و الشراء لأبسط الأشياء، فضلا عن منعهم الناس من مجالستهم، و من التزوج منهم، و التزويج إليهم، و ما إلى ذلك.

و ها هو (صلى اللّه عليه و آله) قد عاد إلى مكه، و معه أكثر من عشره آلاف مقاتل .. و أصبح محاصروه بالأمس هم أسراه، و طبيعى أن يتوقعوا محاصرتهم من قبله، جزاء لهم على ما كسبت أيديهم.

نعم، لقد أصبح من لم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منه، أو يقيم معه أيه صله و لو عابره، موضع الحفاوه و التكريم، و التبجيل و التعظيم، و يتلهف الناس للاقتراب منه، و التماس البركه به، و بكل شى ء ينسب إليه، و يتمنون أن تشملهم منه نظره أو لفته، حتى لو كانت عابره ..

بل إن أعداءه بالأمس، الذين تشهد تلك الشعاب التى نزل فيها على شده ظلمهم له، و بغيهم عليه، يتوافدون إليه فى نفس المكان الذى اضطهدوه فيه بالأمس، لتقديم فروض الولاء، و التفنن فيما يزجونه إليه من مدح و ثناء. فيتذكرون ما ارتكبوه فى حقه، و فى حق الشيوخ و الأطفال و النساء من صحبه و أهله، فهل يخجلون من أنفسهم؟! أو هل يندمون؟! و هل يتوبون إلى اللّه و يستغفرون؟!

و هل يفيدهم ذلك فى إعاده النظر و المقارنه بين ما كانوا عليه، و ما آلت أمورهم إليه؟! فيضعون الأمور فى نصابها، و يتأكد لديهم أن اللّه هو الراعى، و الحامى، و المدبر لنبيه، و المعين و الناصر لعباده و أوليائه ..

أين نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!:

و قال الصالحى الشامى أيضا:

(لا مخالفه بين حديث نزوله (صلى اللّه عليه و آله) بالمحصب، و بين حديث أم هانئ: أنه (صلى اللّه عليه و آله) نزل فى بيت أم هانئ. لأنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يقم فى بيت أم هانئ، و إنما نزل به حتى اغتسل و صلى، ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته عند شعب أبى طالب. و هو المكان الذى حصرت فيه قريش المسلمين قبل الهجره كما تقدم) (١).

إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر:

و عن إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر نقول:

إن هذا الكلام لا يمكن أن يصح:

أولا: لأننا قدمنا فى هذا الكتاب الكثير الكثير من الدلائل و الشواهد على إيمان أبى طالب (عليه السلام) .. و قد كتب فى إثبات إيمانه عشرات المؤلفات، بأقلام العلماء من السنه و الشيعه، بالإضافه إلى بحوث كثيره جدا كتبت حول هذا الموضوع.

ثانيا: إن المسلم يرث الكافر بلا ريب، و لكن الكافر لا يرث المسلم،

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٨.

فعلی (علیه السلام) یرث أبا طالب، لأنهما کانا مسلمین، و لا یرثه عقیل لأنه کان کافرا حین موت أبی طالب المؤمن .. فراجع کتابنا: (ظلامه أبی طالب)، ففیه بعض ما یفید فی هذا المجال.

إن قلت: لعلهم قد جروا فی هذا الإرث علی أحکام الجاهلیه و قوانینها ..

قلت:

ألف: إن الذین ذکروا هذا الأمر لا یقصدون بکلامهم أحکام الجاهلیه.

ب: لم یکن لأهل الجاهلیه أحکام و قوانین فی هذا الأمر، بل کان هناک ظلم و تعد علی المؤمنین، فلو فرضنا: أن عقیلا کان قویا بحیث استطاع أخذ أموال النبی (صلی اللّه علیه و آله) و علی و جعفر (علیهما السلام)، فهل کان قویا إلی حد أنه یأخذ حصه أخواته و أخیه طالب، الذین لم یکونوا قد أسلموا بعد، حسب قول هؤلاء الرواه؟!

و لماذا رضی سائر أقارب النبی (صلی اللّه علیه و آله) و علی و جعفر (علیهما السلام) بتسلط خصوص عقیل علی أموال أبیه، و علی أموال ابن عمه- أعنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)- دونهم.

ثالثا: إن عقیلا- لم یبع خصوص ما ورثه هو من أبیه، بل باع أیضا منزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و منزل إخوته من الرجال و النساء، کما صرحت به النصوص المتقدمه.

فإن کان علی و جعفر (علیهما السلام) قد أسلما، و سلمنا جدلا أنهما لا یرثان- و سلمنا علی مضض أیضا بموت أبی طالب علی الشرک- فإن رسول

اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن من ورثه أبى طالب .. فلما ذا يبيع عقيل أملاكه، و لماذا رضى العباس من عقيل بأن يفعل ذلك، و العباس أقرب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) منه، فكيف لم يعترض عليه؟!

كما أن أم هانى أخت على (عليه السلام) كانت هى و أخواتها- كما يزعمون- على الشرك أيضا، فلما ذا باع عقيل منزلها و منازل و رباع أخواتها؟! و لماذا باع منزل طالب أيضا؟!

فلما ذا لم يمنعوه من إتمام هذا البيع، و لماذا تركوا أهل مكه يشترون من هذا البائع ما ليس له؟!

رابعا: كان بإمكان النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن ينزل فى أحد بيوت مكه على سبيل العاريه، أو الشراء، فلما ذا لم يفعل ذلك؟!

بل لقد كان يمكنه أن ينزل فى بيت عمه العباس، أو فى أى بيت آخر من بيوت المؤمنين الذين كانوا فى مكه، و ما أكثرهم!! و سيدخل ذلك عليهم السرور بلا ريب.

و قد نزل على أبى أيوب حين هاجر (صلى اللّه عليه و آله) إلى المدينه مده شهر أو أشهر أو سنه.

خامسا: إن قول الرسول (صلى اللّه عليه و آله): (لا أدخل البيوت) ثم لم يدخل بيتا أبدا لا فى عمره القضاء، و لا فى عام الفتح، و لا فى حجه الوداع، يشير إلى أن الأمر ليس لأجل عدم وجود بيت ينزل فيه، بل هو يتعدى ذلك ليكون قرارا إلهيا نبويا، و قد بدا بمثابه قاعده يلتزم بها ..

و أما دخوله بيت أم هانى فلم يكن دخول سكنى، بل دخول تكريم لها و لأخيها على (عليه السلام).

الإخبار بالغیب عن موضع نزوله صلّی اللّه علیه و آله:

إن الحدیث المتقدم عن اختیار موضع نزوله (صلی اللّه علیه و آله) فی مکه یدل علی أن القرار بذلک لم یکن ولید ساعته، بل یدخل ضمن خطه کانت قد رسمت منذ وقت طویل، حیث إنه (صلی اللّه علیه و آله) کان قد أخبر جابرا بذلک فی المدینه، قبل مده، فلما سمعه جابر یذکر ذلک فی مکه تذکّر ما کان فی المدینه.

و إذا کان (صلی اللّه علیه و آله) لا ینطق عن الهوی، و لا یفعل إلا ما یریده اللّه سبحانه، و یرضاه، فالنتیجه هی أن ذلک لا بد من أن یکون من مفردات السیاسه الإلهیه فی تربیه أهل الإیمان، و تقدیم العبر و العظات للناس جمیعا، مؤمنهم و کافرهم، فیقیم الحجه علی الکافر لیکبته بها، و یرسخ یقین المؤمن لیسعده به، و یبعث فیه نفحه أخری من الوعی للحقائق و یثبّته بالقول الثابت و الصادق.

لا ینزل النبی صلّی اللّه علیه و آله بیوت مکه:

کأن هؤلاء الناس حین یذکرون امتناع النبی (صلی اللّه علیه و آله) عن النزول فی بیوت مکه، یریدون الإیحاء بأن السبب فی ذلک: أنه لم یکن له (صلی اللّه علیه و آله) بیت ینزل فیه، لأن عقیلا کان قد باع الرباع و المنازل.

و الحقیقه هی: أن هذا یدخل فی سیاق تزویر الحقائق الذی طالما شاهدناه فی المواضع المختلفه .. إذ عدم وجود بیت یملکه النبی (صلی اللّه علیه و آله) لا یعنی أن یتخذ قرارا بعدم دخول أی بیت من بیوت مکه، و لو کضیف علی عمه العباس إن لم یکن یرید شراء بیت فیها .. تماما کما جری له

(صلى اللّه عليه و آله) حينما هاجر إلى المدينه، فإنه نزل على أبى أيوب الأنصارى .. و بقى عنده شهرا، أو سبعه أشهر، أو سنه (۱).

و لنفترض: أن عقيلا- قد باع البيوت، لكن أم هانى كان لها بيت تسكن فيه، و بيت عمه العباس لا يزال على حاله، و لم يبعه عقيل، و كذلك بيوت سائر بنى هاشم. ألم يكن يمكنه أن ينزل فى أحدها؟! ألم يكن العباس و غيره من المؤمنين الذين كانوا فى مكه، و ما أكثرهم، فى غايه اللهفه لنيل هذا الشرف العظيم؟! و هو نزول النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى بيوتهم، و إذا كان (صلى اللّه عليه و آله) قد أكرم أم هانى، فأكل عندها .. فلما ذا لا يكرمها بالنزول فى بيتها أياما يسيره؟!

فإن كانت لا تزال على شركها، و لا يريد أن تكون لها منه عليه، فلما ذا أكل و صلى و اغتسل عندها؟! (۲) ألا يدل ذلك على أنها كانت مسلمه؟!

و الخلاصه: إن ذلك كله يدل على أن ما يذكرونه من الاستناد إلى ما فعله عقيل من بيع البيوت و الرباع لم يكن هو السبب فى اتخاذ هذا القرار.

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يدخل دور مكه:

و فى سياق آخر نقول:

بالنسبه لما تقدم: من أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لا يدخل دور مكه، لا فى الفتح و لا فى عمره القضاء، و لا فى حجه الوداع: فقد روى عن

۱- راجع: البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۷۸ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۵ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۶۴.

۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷.

الإمام الصادق (علیه السلام) أنه کره المقام بمکه، و ذلک أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أخرج عنها، و المقیم بها یقسو قلبه (١).

و روی أیضا عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال: (إذا قضی أحدکم نسکه فلیرکب راحلته، و لیلحق بأهله، فإن المقام بمکه یقسی القلب) (٢).

و عن الإمام الصادق (علیه السلام): أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نهی أهل مکه أن یؤاجروا دورهم، و أن یعلقوا علیها أبوابا. و قال:

سَواءً الْعاکِفُ فِیهِ وَ الْبادِ (٣).

و فی حدیث آخر: لم یکن ینبغی أن یصنع علی دور مکه أبوابا، لأن للحاج أن ینزل فی دورهم فی ساحه الدار، حتی یقضوا مناسکهم.

و إن أول من جعل لدور مکه أبوابا معاویه) (۴).

و عن جعفر بن عقبه، عن أبی الحسن الرضا (علیه السلام): إن علیا (علیه السلام) لم یبت بمکه بعد أن هاجر منها حتی قبضه اللّه عز و جل إلیه.

قال: قلت: و لم ذلک؟

١- البحار ج ٩۶ ص ٨٠ و سفینه البحار ج ٨ ص ٩٢ و ٩٣ و عن علل الشرائع ص ۴۴۶.
٢- البحار ج ٩۶ ص ٨١ و سفینه البحار ج ٨ ص ٩٣ و عن علل الشرائع ص ۴۴۶.
٣- الآیه ٢۵ من سوره الحج. و الحدیث فی سفینه البحار ج ٨ ص ٩٣ عن قرب الإسناد و البحار ج ٩۶ ص ٨١ عن قرب الإسناد ص ۶۵.
۴- البحار ج ٩۶ ص ٨٢ عن علل الشرائع ص ٣٩۶ و سفینه البحار ج ٨ ص ٩٣.

قال: يكره أن يبيت بأرض هاجر منها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و كان يصلى العصر و يخرج منها و يبيت بغيرها (۱).

و لسنا بحاجه إلى التذكير: بأن امتناع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من المبيت بمكه لم يكن استجابه لحنق شخصى فرض عليه هذا القرار، بل هو- كما أشرنا إليه- قرار يرضاه اللّه و يريده، و هو من مظاهر طاعه اللّه سبحانه .. و قد كان (صلى اللّه عليه و آله) قد ذكر هذا القرار و هو فى المدينه قبل الفتح، و قد ذكره مره أخرى فى مكه ..

و فى جميع الأحوال نقول:

إن التحدى الذى واجهه الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن لشخصه، إنما هو لنبوته و لرسوليته، و لذلك أخرج من مكه.

و حين فتح مكه، فإن أهلها انقادوا له لأنه قوى، لا مجال لمقاومته، و لم تقبل قلوبهم نبوته و رسوليته، إلا على سبيل الإقرار اللسانى .. و لذلك احتاج إلى أن يتألفهم على هذا الدين، و يصبر على الكثير من الأذايا و البلايا التى أوصلوها إليه بنحو أو بآخر. و كان كثير منهم يتخذ سبيل النفاق، فهو يظهر الإسلام، ثم يكيد له و لأهله الحقيقيين المخلصين.

أى أن محمدا (صلى اللّه عليه و آله) كرسول، لم يدخل مكه بعد .. بل ما جرى هو مجرد نسيم هب على مكه، لا بد من العمل على أن يتحول إلى ريح تقل سحابا ثقالا بماء الحق و الصدق الذى ينعش الأرواح، و تحيا به النفوس ..

۱- سفينه البحار ج ۸ ص ۹۳ عن علل الشرائع ص ۳۹۶ و عن عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۸۴ و البحار ج ۹۶ ص ۸۲ عنهما.

فدخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی منازل یستولی علیها أولئک الذین حاربوه لربما یستتبع الکثیر من التخمینات و الحیثیات التی تثیر مخاوف أهل مکه و شکوکهم، و لکنه إذا لم یدخل منزلا، و اکتفی بخیمه تنصب له، فإن ذلک سوف یطمئنهم إلی أن هـذا النبی (صلی اللّه علیه و آله) لا یریـد المقام فی البلاد و لا یرغب فی الهیمنه علی العباد، و إنما یریـد أن یفسح الطریق أمام الناس للتعرف علی الإسلام، و أن یمنع أعداءه من التعرض له بفنون من المکر و الکید لیمنعوه من الوصول إلی العقول و القلوب ..

إنه لا یریـد أموالا، و لا بلادا، و لا دارا، و لا عقارا، بل یرید لهم العیش الرغید و السعید فی بلادهم و دیارهم، و بین أهلهم، فهو حتی فی أحرج ساعه تواجههم، یقدم لهم الدلیل تلو الدلیل علی أنه لا ـ مطمع له بشی ء من دنیاهم، و أنه یتعامل معهم بالإنصاف، و بالرحمه، و الإیثار، لا بمنطق المنتصر الحانق الذی یتعامل بالنقمه، و یرید أخذ الثار.

تکریم النبی صلّی اللّه علیه و آله لأم هانی:

عن ابن عباس قال: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال لأم هانئ یوم الفتح: (هل عندک من طعام نأکله)؟

قالت: لیس عندی إلا کسر یابسه، و إنی لأستحی أن أقدمها إلیک. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۲۲ ۱۳۹
تکریم النبی صلی الله علیه و آله لأم هانی: ..... ص : ۱۳۹

فقال: (هلمّی بهنّ) فکسّرهنّ فی ماء.

و جاءت بملح فقال: (هل من أدم)؟.

فقالت: ما عندی یا رسول اللّه إلا شی ء من خل.

فقال: (هلمیه)، فصبّه علی الطعام، و أکل منه، ثم حمد اللّه، ثم قال:

(نعم الأدم الخلّ، يا أم هانئ لا يفقر بيت من أدم فيه خلّ) (١).

و نقول:

ما أروع و أجمل هـذا التكريم النبوى العفوى، و ما أجلّ هـذه المبادره للإعلان عن صافى الموده، و جميل الوفاء و الإخاء لامرأه فاضـله و نبيله، يريد أن يعلن للناس كلهم، و للأجيال اللاحقه، بعظيم احترامه و تقديره لها و لفضـلها و نبلها، فيخصـها بشـرف لم ينله أحد من رجالات مكه و عظمائها، فيدخل منزلها، و يصـلى و يأكل عندها .. و يعاملها بعفويه ظاهره، و موده طافحه بالإجلال و التعظيم، و الموده و التكريم ..

و قد تجلت وحده الحال فى قوله (صلى اللّه عليه و آله) لها: هل عندك من طعام نأكله؟!

و لم يكن لديها إلا كسـر يابسه من خبز، و إلا شى ء من خلّ، جعله (صلى اللّه عليه و آله) إداما .. ثم أثنى على هذا الإدام، و بيّن أن له قيمه كامنه فى عمق ذاته، فقال: (نعم الإدام الخل).

ثم شفع ذلك ببشاره نبويه، من شأنها أن تدخل السرور و الرضا على قلب هذه المرأه الجليله، فقال: (يا أم هانى، لا يفقر بيت من أدم فيه خلّ).

على عليه السّلام و أم هانى:

و فى الروايات حـديث عن إجاره أم هانى لرجلين من المشـركين، و قبول النبى (صـلى اللّه عليه و آله) ذلك منها. و نحن نـذكر أولا هذه النصوص، ثم

١- مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ عن الطبرانى.

نشیر إلی بعض ما یمکن أن یقال حولها، فنقول:

بلغ علیا (علیه السلام): أن أم هانی بنت أبی طالب آوت ناسا من بنی مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، و قیس بن السائب، (و عند الواقدی عبد اللّه بن ربیعه)، فقصد (علیه السلام) نحو دارها مقنّعا بالحدید، فنادی:

(أخرجوا من آویتم).

فجعلوا یذرقون کما تذرق الحباری، خوفا منه.

فخرجت إلیه أم هانئ- و هی لا تعرفه- فقالت: یا عبد اللّه، أنا أم هانئ، بنت عمّ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أخت علی بن أبی طالب، إنصرف عن داری.

فقال أمیر المؤمنین (علیه السلام): (أخرجوهم).

فقالت: و اللّه لأشکونّک إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

فنزع المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشتد حتی التزمته، و قالت:

فدیتک، حلفت لأشکونک إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

فقال لها: (إذهبی، فبری قسمک، فإنه بأعلی الوادی).

قالت أم هانئ: فجئت إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) و هو فی قبه یغتسل، و فاطمه (علیها السلام) تستره، فلما سمع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کلامی، قال: (مرحبا بک یا أم هانئ و أهلا).

قلت: بأبی أنت و أمی، أشکو إلیک ما لقیت من علی (علیه السلام) الیوم.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قد أجرت من أجرت).

فقالت فاطمه (علیها السلام): (إنما جئت یا أم هانئ تشتکین علیا

(علیه السلام) فی أنه أخاف أعداء اللّه و أعداء رسوله)؟!

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قد شکر اللّه لعلی (علیه السلام) سعیه، و أجرت من أجارت أم هانئ، لمکانها من علی بن أبی طالب) (۱).

و عند الواقدی: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لم یکن حین تکلمت أم هانئ مع فاطمه (علیها السلام) ..

ثم جاء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فأجار لأم هانی من أجارت، ثم طلب من فاطمه (علیها السلام) أن تسکب له غسلا، فاغتسل، ثم صلی ثمان رکعات (۲).

و عن الحارث بن هشام قال: لما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه، دخلت أنا و عبد اللّه بن أبی ربیعه دار أم هانئ، ثم ذکر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أجاز جوار أم هانئ.

قال: فانطلقنا، فأقمنا یومین، ثم خرجنا إلی منازلنا، فجلسنا بأفنیتها لا یعرض لنا أحد، و کنا نخاف عمر بن الخطاب، فو اللّه إنی لجالس فی ملاءه مورّسه (۳) علی بابی ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب، فإذا معه عده من المسلمین، فسلم و مضی.

و جعلت أستحی أن یرانی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أذکر رؤیته

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۳۱ و ۱۳۲ عن إعلام الوری و راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۹ و ۸۳۰.

۲- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۰.

۳- مورسه: مصبوغه بلون أحمر.

إيـاى فى كل موطن مع المشـركين، ثم أذكر بره و رحمته و صـلته، فألقاه و هو داخل المسـجد، فلقينى بالبشـر، فوقف حتى جئته فسلمت عليه، و شهدت بشهاده الحق، فقال: الحمد للّه الذى هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام.

قال الحارث: فو اللّه ما رأيت مثل الإسلام جهل (۱).

و عن أم هانئ- رضـى اللّه عنها- قالت: لما كان عام يوم الفتـح فرّ إلىّ رجلان من بنى مخزوم فأجرتهما، قالت: فـدخل علىّ علىّ فقال: أقتلهما.

قـالت: فلما سـمعته يقول ذلك أغلقت عليهما باب بيتى، ثم أتيت رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) و هو بأعلى مكه، فلما رآنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) رحّب و قال: (ما جاء بك يا أم هانئ).

قالت: قلت: يا رسول اللّه، كنت أمنت رجلين من أحمائى، فأراد على (عليه السلام) قتلهما.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (قد أجرنا من أجرت).

ثم قام رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) إلى غسـله، فسترته فاطمه (عليها السـلام)، ثم أخذ ثوبا فالتحف به، ثم صـلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ثمان ركعات سبحه الضحى (۲).

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۴۹ و ۱۵۰ عن الواقدى و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۱ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۲.

۲- سـبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۱ و فى هامشه عن صـحيح مسـلم (صلاه المسافرين) (۸۲) و عـن أبى داود (۲۷۶۳) و عن مسند أحمد ج ۶ ص ۳۴۱ و ۳۴۲ و ۳۴۳ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۷۵ و مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۴۵ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۹۳ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

لکن فی الحلبیه و غیرها: فوجدته یغتسل من جفنه فیها أثر العجین، و فاطمه ابنته تستره بثوب، فسلمت علیه، فقال: من هذه؟

إلی أن قال: و فی الروایه الأولی: فلما اغتسل أخذ ثوبه و توشح به، ثم صلی ثمانی رکعات من الضحی.

ثم أقبل علی، فقال: مرحبا یا أم هانی، ما جاء بک؟.

فأخبرته الحدیث.

فقال: (أجرنا من أجرت الخ ..) (۱).

و قیل: إن الرجلین هما: الحارث بن هشام، و زهیر بن أمیه بن المغیره (۲).

و عنهما: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) اغتسل یوم فتح مکه فی بیتها، و صلی ثمان رکعات، قالت: لم أره صلی صلاه أخف منها، غیر أنه یتم رکوعها و سجودها (۳).

و أطلقوا علی صلاته هذه اسم (صلاه الفتح). و کان الأمراء یصلونها إذا فتحوا بلدا. و لا یفصل بینهما. و تصلی بغیر إمام.

قال السهیلی: و لا یجهر فیها بالقراءه (۴).

و سموها أیضا صلاه الضحی، و صلاه الإشراق، و قد اختلفوا فی

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۳ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴.

۲- راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴.

۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۱ و ۲۳۲ عن البخاری، و البیهقی، و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴ عن المواهب اللدنیه، و البخاری.

۴- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۹.

أمرها بین منکر و مثبت. فراجع (۱).

و عن معاویه بن وهب، قال: لما کان یوم فتح مکه ضربت علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خیمه سوداء من شعر بالأبطح، ثم أفاض علیه الماء من جفنه یری فیها أثر العجین، ثم تحری القبله ضحی، فرکع ثمان رکعات، لم یرکعهما رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قبل ذلک و لا بعد (۲).

و أما الحدیث عن أنها (رحمها اللّه) قد ذهبت إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و هو بأعلی مکه، فوجدته یغتسل و فاطمه (علیها السلام) تستره (۳). و یؤیده ما روی عنها: من أن أبا ذر ستره لما اغتسل (۴). فیحمل علی أن ذلک قد تکرر منه. و یحتمل أن یکون نزل فی بیتها بأعلی مکه، و کانت هی فی بیت آخر فی مکه، فجاءت إلیه فوجدته یغتسل الخ .. (۵).

و نقول:

إننا نعلق علی ما تقدم بما یلی:

الأمان .. و الجوار:

تقدم: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد اعلن بالأمان لأهل مکه، و عین مواضع یلجأ إلیها المستأمنون، مثل: المسجد، و دار أبی سفیان، و رایه

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۳ فإنه ذکر شطرا من اختلافاتهم فی هذا الأمر.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۱۳۵ عن الکافی ج ۱ ص ۱۲۵ و ۱۲۶.

۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۸ عن مسلم.

۴- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۸ عن ابن خزیمه

۵- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۸.

أبى رويحه، و إلقاء السلاح، و دخول الإنسان داره و إغلاق بابه، و ما إلى ذلك ..

و لكننا نقرأ هنا: أن عليا (عليه السلام) يلاحق هذين الرجلين إلى دار أخته أم هانى ليقتلهما.

و نقرأ أيضـا: أن أم هـانى قـد أجارتهما، و لكن عليا (عليه السـلام) لـم يقتنع منها بـذلك، حتى قبل رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) نفسه جوارها ..

فالإعلان السابق لا يشير إلى وجود حرب و قتال، بل هناك أمان و سلام.

و حادثه على (عليه السـلام) و أم هانئ تدل على: أن حاله الحرب كانت قائمه، و أن الحاكم هو أعرافها و قوانينها .. فكيف نوفق بين هاتين الحالتين المتخالفتين؟!

و يمكن أن نجيب بما يلى:

أولا: لماذا لم يلجأ هذان الرجلان إلى أى من تلك المواضع التى حددها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لطالبى الأمان؟!

ألا يدل ذلك: على أنهما كانا فى حاله قتاليه، احتاجا إلى الخروج منها إلى جوار أم هانى؟!

ثانيا: إننا نعرف مـدى طاعه على (عليه السـلام) لأوامر رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله)، و مـدى دقته فى تنفيـذها مما جرى فى خيبر، حيث قال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): اذهب و لا تلتفت.

فسار (عليه السلام) قليلا ثم وقف و لم يلتفت، و سأل النبى (صلى اللّه

علیه و آله): علام أقاتلهم؟! الخ .. (۱).

فملاحقته لهذین الرجلین یدل علی: أنهما کانا محاربین، و یدل علی ذلک أیضا ثناء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی علی (علیه السلام): (قد شکر اللّه سعیه، و أجرت من أجارت أم هانی لمکانها من علی) (۲).

و عند الحلبی: (قد آمنا من آمنت، و أجرنا من أجرت، فلا نقتلهما) (۳).

ثم هو یقول: (فلا نقتلهما). و هو تعبیر یشیر إلی أن التصمیم علی قتلهما کان من قبل النبی (صلی اللّه علیه و آله) نفسه.

من الذین آوتهم أم هانی؟!:

ذکرت بعض الروایات: أن الرجلین اللذین آوتهما أم هانی هما الحارث بن هشام، و زهیر بن أبی أمیه.

و بعضها ذکرت: الحارث و عبد اللّه بن ربیعه.

و ذکرت ثالثه: الحارث، و قیس بن السائب.

۱- صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۲۱ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۳۳ و الخصائص للنسائی ص ۶ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۶۲ و السنن الکبری ج ۹ ص ۱۰۷ و تذکره الخواص ص ۲۴ و أسد الغابه ج ۴ ص ۲۸ و مشکاه المصابیح (ط دهلی) ص ۵۶۴ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۱۸۴ فما بعدها و ذخائر العقبی (ط مکتبه القدسی) ص ۷۴ و راجع: الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج ۲ ص ۱۸۴ و ۱۸۸.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۱۳۱ و ۱۳۲ عن إعلام الوری.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۳.

و الظاهر: أنها (رحمها اللّه) آوت الجميع، و ربما كان معهم غيرهم أيضا و ذلك لروايه الطبرسى المتقدمه، التى تقول: (آوت ناسا من بنى مخزوم، منهم الحارث الخ ..).

لقاء على عليه السّلام بأم هانى:

و اللافت هنا: أن عليا (عليه السلام) يأتى إلى دار أخته مقنعا بالحديد، و لا يعرّف أخته بنفسه فى بادئ الأمر، و لكنه لا يقتحم الدار، و لعله لأنه لا يريد أن يروع أخته، بل ينادى من خارج الدار: أخرجوا من آويتم!!

فخرجت إليه أخته، فلم يبادر إلى تعريفها بنفسه، بل تركها تعرّف هى بنفسها، بأنها بنت عم النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و أخت على (عليه السلام)، ثم تأمره بالانصراف عن دارها ..

و لكن عليا (عليه السلام) لا يزال مصرا على موقفه، و يعيد النداء:

أخرجوهم.

فلم تضعف، و لم تتراجع، بل قالت له: و اللّه، لأشكونك إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و فى هذه اللحظه ينزع على (عليه السلام) المغفره عن رأسه، فعرفته أخته، فجاءته تشتد حتى التزمته.

فنلاحظ: أن عليا (عليه السلام) قد أجرى الأمور على طبيعتها، و فى أيه حاله أخرى، و فى أى بيت أو شخص آخر، و هو (عليه السلام) رغم أنه كان يواجه أخته لم يتراجع عن أداء واجبه الشرعى مراعاه لها، أو انسياقا مع عاطفته تجاهها، كما أنه أراد لها أن تبر بقسمها الذى أطلقته.

و هی تری أنها محقه فی إعطائها الأمان لأولئک المشرکین فلم یمنعها من ممارسه حقها فی الدفاع عنهما، بل کان هو الذی دلها علی مکان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالتحدید، و طلب منها أن تذهب إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و تشکوه عنده، لیأتی القرار بالعفو من مصدره الأساس، و هو رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله). و بذلک یسقط التکلیف عن أمیر المؤمنین بصوره تلقائیه ..

خوف الجبناء:

لقد أظهرت بعض الروایات المتقدمه: مدی خوف أولئک الظالمین من سیف عدل علی (علیه السلام)، رغم أن عددهم کان وافرا، حتی جعلوا یذرقون کما یذرق الحباری خوفا من رجل واحد، و لم یجرؤوا علی الخروج إلی ساحه المواجهه؟

فبماذا قوی علی (علیه السلام) علیهم؟! ألیس بإیمانه الراسخ باللّه، و اعتزازه و ثقته بربه و دینه؟! و عزوفه عن زخارف هذه الدنیا؟! و طلبه لما عند اللّه الذی هو خیر و أبقی؟!

لم تصرح أم هانی بما تطلب:

و فی روایه الطبرسی: أن أم هانی لم تصرح لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بما تشکوه من علی (علیه السلام)، بل هی بمجرد أن ذکرت له: أنها لقیت من علی (علیه السلام) أمرا شدیدا علیها، قال لها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قد أجرت من أجرت).

ألا یشیر إلی أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان عارفا بتفاصیل ما یجری، من

دون حاجه إلى إخبار أحد؟! كما أن فيه إشاره لأم هانى بأن تثق بالغيب، و تيقن بأنه (صلى اللّه عليه و آله) يستمد معرفته من الوحى الإلهى، الذى يسدده و يرعاه ..

موقف الزهراء عليها السّلام من أم هانى:

و لم تكن الزهراء (عليها السلام) بصدد تأنيب أم هانى لشكواها عليا (عليه السلام)، و إنما أرادت أن تطمئن إلى سلامه أهداف أم هانى من هذه الشكوى، و أنها لم تكن بصدد الدفاع عن أعداء اللّه، و لا لأنه أخاف أعداء اللّه، بل هى تسعى كما يسعى أخوها على (عليه السلام) إلى دفع شر أولئك الأشرار بأقل قدر ممكن من الخسائر.

و إنما قلنا ذلك: لأننا نعلم أن أم هانى المؤمنه باللّه، و التى تلجأ إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، لا يمكن أن تشتكى ناصر رسول اللّه و من يخيف أعداءه و أعداء اللّه.

و قد كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد أوضح لها: أن عليا (عليه السلام) يسعى إلى رضا اللّه تعالى، فكان أن تصرفت بنحو لم يغضب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، بل هى قد فعلت ما هو حقها، و المتوقع منها ..

أم هانى لا تجير على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و النقطه التى تحتاج إلى بيان هى: أن أم هانى لم تجر أولئك المشركين لتحميهم من قرار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و حكمه فيهم.

بل أجارتهم لتحميهم من سائر المقاتلين حتى يصلوا سالمين إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ثم يكون هو الذى يحكم فيهم بما يرضى اللّه سبحانه.

و الشاهد على ما نقول: شكواها لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفسه.

و لكنّ أبا سفيان حين ذهب إلى المدينه يطلب تأكيد عهد الحديبيه بعد نقضه طلب من الزهراء (عليها السلام) أن تجير بين الناس، لأنه أراد ذلك منها ليحمى به أولئك القتله للنساء، و الصبيان، و الضعفاء من حكم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيهم.

فهو جوار ضد حكم و قرار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى الظالمين و الناكثين .. و ليس لحمايتهم من الناس إلى أن يصلوا إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ليكون هو الحاكم فيهم.

ما مثلك يجهل الإسلام:

و ذكروا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد قال للحارث بن هشام: (ما مثلك يجهل الإسلام).

و يبدو أنهم أرادوا بهذا الكلام التنويه برجاحه عقل الحارث، و سلامه تفكيره، و سداد رأيه، باعتبار ثناء حظى به على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من بين الكثير من أقرانه.

غير أننا نرى: أن هذا الكلام لا يقصد منه الثناء عليه بقدر ما يقصد به تقريعه، و تأنيبه على اتباعه لأهوائه، و على ضعفه أمام شهواته و انقياده لميوله و رغباته، و ترك ما يحكم به عقله، و ما ترشده إليه فطرته، و تقوده إليه الدلائل الظاهره، و الحجج القاهره ..

خوف المشركين من عمر:

و قـد تحـدث الحارث بن هشام: بأنه بعد أن أجاز النبی (صـلی اللّه علیه و آله) جوار أم هانی، خرج أولئک النفر إلی منازلهم، و جلسوا بأفنیتها، لا یعرض لهم أحد، لکنهم کانوا یخافون من عمر .. ثم مر بهم عمر فی نفر من المسلمین، فسلم و مضی ..

و نقول:

إن هـذا الثناء التبرعی علی عمر قد یفهم هنا علی أنه ذم له، من حیث دلالته علی أن عمر یتطفل علی الناس، و یبادر إلی أذیتهم، حتی مع علمه بأن رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) قـد أجاز جوار بعض الناس فیهم، فهو إذن إنسان متهور، لا یبالی بما یصـدر عنه، و لاـ یراعی أبسـط قواعـد التعامـل الصـحیح و الموزون حتی مع رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) .. أو أن ذلـک کان علی الأقل هو الانطباع الشائع فیهم عن عمر بن الخطاب.

رنه إبلیس .. و حدیث نائله و ..:

عن ابن عبـاس قـال: لمـا فتـح رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) مکه رنّ (۱) إبلیس رنه، فـاجتمعت إلیه ذریته، فقـال: إیأسوا أن تردّوا أمه محمد إلی الشرک بعد یومکم هذا، و لکن أفشوا فیها- یعنی مکه- النوح و الشعر (۲).

و قیل: إنه رن ثلاث رنات: رنه حین لعن، فتغیرت صورته عن صوره

۱- رنّ: صوّت و صاح.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۲ عن أبی یعلی، و أبی نعیم.

الملائكه، و رنه حين رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يصلى قائما بمكه، و رنه حين افتتح (صلى اللّه عليه و آله) مكه، فاجتمعت ذريته فقال: إيأسوا أن تردوا أمه محمد إلى الشرك الخ .. (۱).

و عن مكحول: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما دخل مكه تلقته الجن يرمونه بالشرر، فقال جبريل (عليه السلام): تعوّذ يا محمد بهؤلاء الكلمات:

(أعوذ بكلمات اللّه التامات التى لا يجاوزهن بر و لا فاجر، من شر ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها، و من شر ما بث فى الأرض، و ما يخرج منها، و من شر الليل و النهار، و من شر كل طارق يطرق إلا بخير، يا رحمن) (۲).

و عن ابن أبزى قال: لما فتح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه جاءت عجوز حبشيه شمطاء، تخمش وجهها، و تدعو بالويل، فقال (صلى اللّه عليه و آله): (تلك نائله، أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبدا) (۳).

و نقول:

ألف: أما بالنسبه للحديث عن رنه إبليس، فقد ورد فى ذيله: أن إبليس قال لذريته: إيأسوا من أن تردوا أمه محمد إلى الشرك، و لكن أفشوا فيها- يعنى مكه- النوح و الشعر.

و نحن نشك فى صحه ذلك، إذ ليس فى النوح و الشعر ما يصلح لأن

۱- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۱ و ۸۴۲.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۲ عن ابن أبى شيبه.
۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۲ عن البيهقى فى دلائل النبوه ج ۵ ص ۷۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۱.

یکون بـدیلا- حسب منطق إبلیس لعنه اللّه- عن الشـرک بـاللّه، مهمـا بالغنا فی الحـدیث عما یوجبه الشـعر من الفساد و الإفساد، فلذلک نقول:

إن الصـحیح هو ما روی عن الإمام الباقر (علیه السـلام): إن إبلیس رن أربع رنات: یوم لعن، و یوم أهبط إلی الأرض، و یوم بعث النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و یوم الغدیر (۱).

و هـذا الحدیث هو الأولی بالصـحه، و الأقرب إلی الاعتبار، فإن یوم الغدیر قد جعل إبلیس ییأس من طمس الحق، لأن ولایه أمیر المؤمنین (علیه السلام) هی سبب بقاء هذا الدین، و بها تمت النعمه علی الخلق، حسبما نصت علیه الآیات الکریمه، فراجع کتابنا: (الغدیر .. و المعارضون) ففیه بعض ما یفید فی هذا الموضوع.

ب: بالنسبه لحـدیث رمی الجن للنبی (صـلی اللّه علیه و آله) بالنار حین دخول مکه، فنزل جبرئیل و علّم النبی (صـلی اللّه علیه و آله) أن یتعوذ بکلمات اللّه التامات، نقول:

روی: أنه (صـلی اللّه علیه و آله) کـان یعوّذ الحسـنین، فیقول: أعیـذکما بکلمات اللّه التامات، من کل شـیطان و هامه، و من کل عین لامه.

و کان إبراهیم یعوذ بها إسماعیل و إسحاق (علیهم السلام) (۲).

علی أن هذه الروایه إنما رویت عن مکحول، الذی لم یکن فی زمان

۱- البحار ج ۳۷ ص ۱۲۱ عن قرب الإسناد ص ۷.

۲- البحار ج ۴۳ ص ۲۸۲ عن حلیه الأولیاء، و سنن ابن ماجه، و السمعانی فی الفضائل.

رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فلما ذا لم یروها صحابه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أنفسهم؟

فلعلهم کانوا قد شاهدوا ذلک بأنفسهم، لکی یصفوا لنا الجن، و أشکالهم، و سماتهم!! و لنعرف إن کان الشرر قد أصاب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، أم لم یصبه؟!

و بعد .. فیا لیتهم ذکروا لنا کیف انصرف الجن عنه (صلی اللّه علیه و آله)؟!

و هل تصدی أحد من المسلمین لهم حتی أجبرهم علی الإنصراف؟! أم أن تلک العوذه التی جاءه بها جبرئیل (علیه السلام) هی التی أوجبت انصرافهم؟!

ج: و أما حدیث مجی ء نائله فی صوره عجوز شمطاء (عریانه)، فقد ذکروا نفس هذا الحدیث بالنسبه للعزی أیضا.

و ذکروا: أن خالدا ضربها بسیفه فقطعها نصفین فماتت.

و یذکرون مثل ذلک أیضا: عن مناه، و أن سعید بن زید قتلها أیضا ..

و قد ناقشنا هذه القضیه فی قصه قتل العزی، و طرحنا العدید من الأسئله التی لن تجد لها جوابا مقنعا و مقبولا ..

علی أننا نستغرب: أن لا یکون حدیث نائله قد تداولته الرواه، و نقله لنا العشرات ممن حضروا و شاهدوها، و هی عاریه. و هو أمر لافت للأنظار، مثیر للفضول .. و کان من المناسب أیضا أن یذکروا لنا بعض صفاتها، و ترکیبتها الجسدیه، فإن للجن أحوالا تختلف عن أحوال الإنس لا محاله ..

الفصل الخامس: ما جرى لأبی قحافه

اشاره

إسلام أبی قحافه:

عن أسماء بنت أبی بکر الصدیق قالت: لما کان عام الفتح، و نزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بذی طوی، قال أبو قحافه لابنه له- قال البلاذری: اسمها أسماء، و قال محمد بن عمر تسمی: قریبه- کانت من أصغر ولده: یا بنیه، أشرفی بی علی أبی قبیس- و قد کف بصره- فأشرفت به علیه.

فقال: أی بنیه!! ماذا ترین؟

قالت: أری سوادا مجتمعا کثیرا، و أری رجلا یشتد بین ذلک السواد مقبلا و مدبرا.

فقال: ذلک الرجل الوازع (۱)، ثم قال: ما ذا ترین؟

قالت: أری السواد قد انتشر و تفرق.

فقال: و اللّه إذن انتشرت الخیل، فاسرعی بی إلی بیتی.

فخرجت سریعا حتی إذا هبطت به الأبطح لقیتها الخیل، و فی عنقها طوق لها من ورق، فاقتلعه إنسان من عنقها.

۱- الوازع: الموکّل بإصلاح الصفوف فی الحرب.

فلما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المسجد، خرج أبو بكر بأبيه يقوده، و كان رأس أبى قحافه ثغامه (۱)، فلما رآه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال: (هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه)؟

فقال أبو بكر: يا رسول اللّه، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه.

فأجلسه بين يدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فمسح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) صدره، و قال: أسلم تسلم، فأسلم.

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشدكم باللّه و الإسلام طوق أختى، فو اللّه ما جاء به أحد. ثم قال الثالثه فما جاء به أحد.

فقال: يا أخيه، احتسبى طوقك، فو اللّه إن الأمانه فى الناس اليوم لقليل (۲).

و قال البلاذرى: و رمى بعض المسلمين أبا قحافه فشجه، و أخذت قلاده أسماء ابنته، فأدركه أبو بكر و هو يستدمى، فمسح الدم عن وجهه (۳).

و روى البيهقى بسند جيد قوى، عن ابن وهب قال: أخبرنى ابن جريج، عن أبى الزبير، عن جابر: أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قحافه،

۱- الثغام: شجر أبيض الزهر واحدته: ثغامه. يقال: صار الرأس ثاغما. أى أبيض.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۲ و ۲۳۳ عن الواقدى، و أحمد و الطبرانى، و البيهقى، و دلائل النبوه للبيهقى ج ۴ ص ۹۵ و الرياض النضره ج ۱ ص ۶۵ و ۶۶ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۸ و ۸۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۴ و ۸۲۵ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ و ۹۵ و تاريخ مدينه دمشق ج ۳۰ ص ۲۳ و مسند أحمد ج ۶ ص ۳۴۹.
۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳.

فأتی به رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فلما وقف به علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال: غیروه، و لا تقربوه سوادا (۱).

و روی مسلم عن جابر نحوه، لکنه لم یذکر من الذی جاء بأبی قحافه (۲).

قال ابن وهب: و أخبرنی عمر بن محمد، عن زید بن أسلم: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) هنأ أبا بکر بإسلام أبیه (۳).

و عن أنس قال: کأنی أنظر إلی لحیه أبی قحافه کأنه ضرام عرفج (۴) من شده حمرته، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (لو أقررت الشیخ فی بیته لأتیناه)- تکرمه لأبی بکر- (۵).

و عن أنس أیضا قال: جاء أبو بکر بأبیه أبی قحافه إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم فتح مکه یحمله حتی وضعه بین یدیه، فقال لأبی بکر:

(لو أقررت الشیخ فی بیته لأتیناه)- تکرمه لأبی بکر-.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۴ ص ۹۶ و المستدرک علی الصحیحین ج ۳ ص ۲۴۴ و تلخیص المستدرک للذهبی (مطبوع معه) نفس الجزء و الصفحه. و مسند أحمد ج ۶ ص ۳۴۹ و الریاض النضره ج ۱ ص ۶۵ و ۶۶.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ عن مسلم، و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۸ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۹۵.

۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۲۴۴ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۸.

۴- العرفج: شجر صغیر سریع الإشتعال بالنار. و هو نبات الصیف.

۵- المستدرک علی الصحیحین ج ۳ ص ۲۴۵ و تلخیص المستدرک للذهبی بهامشه.

فأسلم و رأسه و لحيته كالثغامه، فقال: غيروهما.

قال قتاده: هو أول مخضوب فى الإسلام (۱).

و الثغامه: نبت أبيض الثمر و الزهر، يشبه بياض الشيب.

و فى نص آخر: غيروا السواد، و لا تتشبهوا باليهود و النصارى.

و فى روايه: اليهود و النصارى لا يصبغون، فخالفوهم (۲).

و عند ذلك قال أبو بكر للنبى (صلى اللّه عليه و آله): و الذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب أقر لعينى من إسلامه، و ذلك أن إسلام أبى قحافه كان أقر لعينك (۳).

عن محمد بن عمر بن سالم، بن الجعابى، عن أبى شعيب عبد اللّه بن الحسن الحرانى، عن جده أحمد بن أبى شعيب، عن محمد بن سلمه، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أنس: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لأبى بكر: لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه.

و روى الحاكم أيضا: عن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن أبى بكر: أنه

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۳ عن أحمد، و ابن حبان.
۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۸ و فيه أحاديث أخرى عن الخضاب.
۳- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۸ و راجع: الإصابه ج ۴ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۹ و حياه الصحابه ج ۲ ص ۳۴۴ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۴ عن الطبرانى، و البزار، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۳۱ و عن المصنف لابن أبى شيبه ج ۴ ص ۱۴۲ و ۹۵ و نصب الرايه ج ۶ ص ۲۸۱ و ۲۸۲ و المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۳۹ و الحاكم و صححه على شرط الشيخين، و عن أبى يعلى، و أبى بشر سفويه فى فوائده، و عمر بن شبّه.

(صلى اللّه عليه و آله) قال له: هلا تركت الشيخ حتى آتيه.

فقلت: بل هو أحق أن يأتيک.

فقال: إنا لنحفظه لأيادى ابنه عندنا (۱).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هى:

الحديثان الأخيران:

إننا نبدأ بالحديثين الأخيرين، حيث نلاحظ ما يلى:

أولا: قال الذهبى معقبا على روايه أبى بكر: (القاسم لم يدرک أباه، و لا أبوه أبا بكر) (۲).

و هذا صحيح، فإن محمدا ولد عام حجه الوداع سنه عشر من الهجره، و توفى أبوه فى جمادى الآخره سنه ثلاث عشره من الهجره.

كما أن محمد بن أبى بكر توفى سنه ۳۸ ه، و توفى ولده القاسم سنه ۱۰۸ ه أو ۱۰۹ ه (۳) و هو ابن سبعين سنه، أو اثنتين و سبعين، فيكون قد ولد سنه وفاه أبيه، أو نحوها.

و قال ابن سعد: إن القاسم قد توفى سنه ۱۱۲ ه و عمره سبعون سنه،

۱- المستدرک على الصحيحين ج ۳ ص ۲۴۴ و تلخيص المستدرک للذهبى بهامش نفس الجزء و الصفحه و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۵۰ عن البزار.
۲- تلخيص المستدرک ج ۳ ص ۲۴۴.
۳- صفه الصفوه ج ۲ ص ۹۰.

فیکون عمره حین وفاه والده حوالی أربع سنین (۱).

ثانیا: إن الجعابی لا یمکن أن یروی عن أبی شعیب، لأن الجعابی ولد سنه ۲۸۵ ه و توفی أبو شعیب سنه ۲۹۲ ه.

و الغریب فی الأمر هنا: سکوت الذهبی عن هذا الحدیث، بل هو قد وافق الحاکم علی تصحیحه، لکن الحاکم قال: إنه صحیح علی شرط الشیخین.

أما الذهبی فصححه علی شرط البخاری (۲).

ثالثا: بالنسبه لأیادی أبی بکر عند رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نقول:

قد تقدم بعض الحدیث عن ذلک، حین الکلام حول هجره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و عن شرائه الراحلتین من أبی بکر بالثمن، فراجع فصل: هجره النبی (صلی اللّه علیه و آله).

رابعا: إن من المعیب جدا أن یزعم هؤلاء: أن آیه: وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزی (۳) قد نزلت فی أبی بکر (۴). ثم یقولون: إنه قد کانت لأبی بکر أیاد عند رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لم یستطع أن یجازیه علیها.

۱- الطبقات الکبری ج ۵ ص ۷۴.

۲- راجع: المستدرک للحاکم و تلخیصه للذهبی ج ۳ ص ۲۴۴.

۳- الآیه ۱۹ من سوره اللیل.

۴- راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۳۵۸- ۳۶۰ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۹۹ و العثمانیه ص ۳۵ و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۳ ص ۲۷۳.

أبو بكر يريد طوق أخته:

و أما ما ذكرته الروايه: من أن أبا بكر طلب من الناس أن يرجعوا لأخته طوقها .. و أنه ناشـدهم اللّه ثلاثا، فلم يجبه أحـد، ثم قال: إن الأمانه في الناس اليوم قليل .. ففيه أكثر من مورد يحتاج إلى بحث.

فأولا: إن أموال المشـركين ليست من قبيل الأمانات عند المسـلمين، بحيث يجب عليهم ردّها لأصحابها، بل هي غنائم إن أخذت من محـارب منهم. و إن أخـذت من قبـل أن يعلموا بمقتضـى الأمـان الـذى أعطـاهم النبى (صـلى اللّه عليه و آله) إيـاه، أى قبل دخولهم فى البيوت و إغلاق الأبواب، و قيل: دخول المسجد، أو دار أبى سفيان، أو اللجوء إلى رايه أبى رويحه.

و أقصـى مـا يمكـن أن يقـال: هـو أن أمرهـا فى كيفيه تقسـيمها، و فى إرجاعهـا إلى أصـحابها، إن اقتضت المصـلحه ذلـك، أو تسويغها لآخذيها ..

يرجع إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا يحق لأبى بكر و لا لغيره أن يطالب من أخذها بها ..

ثانيا: هل يمكن أن يرضـى القائلون بعداله الصـحابه باتهام أبى بكر لأحد أصـحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالخيانه، أو بقله الأمانه؟!

ثالثـا: من أين حصـل أبو قحـافه على الورق (أى الفضه)، ليصـنع منه طوقـا لابنته، و هو رجل فقير لا مال له؟! و من أين يكون له المال، و هو إنما كان صيادا ثم صار ينش الذباب عن مائده ابن جدعان بشبع بطنه، و ستر عورته (۱).

۱- تلخيص الشافى ج ۳ ص ۲۳۸، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۳۰، و الإفصاح ص ۱۳۵ و راجع الغدير ج ۸ ص ۵۱.

و لم نسمع أن حاله قد تغیر إلی الأفضل، و بماذا و کیف؟!

و حتی لو کان یملک أموالا، فهل یمکن أن یلبس ابنته الصغیره طوق فضه، ثم یترکها تتجول فی أزقه مکه، و لا یسلبها سالب من کل أولئک الناس المعدمین الذین کانت مکه تعج بهم؟! مع العلم بأنه لم یکن لأبی قحافه قبیله تمنعه، و لم یکن قادرا علی ملاحقه المعتدی بسبب عماه.

رابعا: إنه لم یثبت وجود بنت صغیره لأبی قحافه فی فتح مکه، بل لا یعرف لأبی قحافه بنت إلا أم فروه، التی کانت تحت تمیم الداری، ثم أنکحها أبو بکر الأشعث بن قیس.

و قد زعم الحلبی الشافعی: أن أم فروه هی صاحبه الطوق المأخوذ فی فتح مکه (۱)، ثم احتمل أن یکون المقصود: بنتا أخری اسمها عریبه، زعموا أنها کانت لأبی قحافه (۲).

أربعه أسلمواهم و آباؤهم:

و قال بعضهم: لم یکن أحد من الصحابه، المهاجرین و الأنصار، أسلم هو و والده، و جمیع أبنائه و بناته غیر أبی بکر (۳).

و قال بعضهم: (لا یعرف فی الصحابه أربعه أسلموا، و صحبوا النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و کل واحد أبو الذی بعده إلا فی بیت أبی بکر: أبو قحافه، و ابنه أبو بکر، و ابنه عبد الرحمن، و ابن عبد الرحمن محمد، و یکنّی

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۹.

۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۹.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۹.

بأبی عتیق) (۱).

و فی نص آخر: أربعه رأوا النبی (صلی اللّه علیه و آله)، کلهم ابن الذی قبله، و هم من الذکور الذین أسلموا (۲).

و نقول:

إن هذا الکلام غیر دقیق، فهناک: (حارثه أبو زید، فإنه أسلم- کما ذکره الحافظ المنذری- و رأی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و ابنه زید، و ابنه أسامه، و جاء أسامه بولد فی حیاته (صلی اللّه علیه و آله) (أی یحتاج إلی إثبات کونه (صلی اللّه علیه و آله) رأی ذلک المولود).

إلا أن یقال: کان من شأنهم إذا ولد لأحدهم مولود جاء به إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فیحنکه، و یسمیه) (۳).

و کذلک الحال بالنسبه لأیاس بن عمرو، بن سلمه، بن لال.

و زعم الحلبی: أنه لا اتفاق علی صحبه هؤلاء (۴). فراجع.

إسلام أبوی أبی بکر:

عن عائشه قالت: ما أسلم أبو أحد من المهاجرین إلا أبو أبی بکر (۵).

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۹.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق.

۴- المصدر السابق.

۵- تاریخ الخلفاء ص ۱۰۰ و تاریخ مدینه دمشق ج ۳۰ ص ۲۴ و تاریخ الإسلام للذهبی (عهد الخلفاء الراشدین) ص ۱۰۶.

و عن على (عليه السلام): أنه قال فى أبى بكر: أسلم أبواه جميعا، و لم يجتمع لأحد من الصحابه المهاجرين أن أسلم أبواه غيره (۱).

و نقول:

أولا: قال مسدد: لم يكن فى المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمار بن ياسر (۲).

ثانيا: ذكر التاريخ لنا عشرات من المهاجرين أسلم آباؤهم أيضا ..

و يكفى أن نذكر:

۱- عمار بن ياسر، فإنه أسلم هو و أبوه ياسر، و أمه سميه ..

۲- عبد اللّه بن عمرو و أمه زينب بنت مظعون، أسلم هو و أبواه.

۳- على (عليه السلام)، فإنه كان مسلما هو و أبوه أبو طالب، و أمه فاطمه بنت أسد.

۴- عبد اللّه بن الزبير، و أمه أسماء بنت أبى بكر ..

۵- سلمه بن أبى سلمه بن عبد الأسد، و أمه أم سلمه ..

إلى عشرات آخرين، ذكرهم العلامه الأمينى فى كتاب الغدير، فيمكن الرجوع إليه.

آيات فى بر أبى بكر بأبويه:

روى عن على (عليه السلام) و عن ابن عباس (رحمه اللّه) أن قوله تعالى:

۱- الرياض النضره ج ۱ ص ۶۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۶ ص ۱۹۴ و عن الواحدى، و نور الأبصار.

۲- تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۵۷.

وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّی إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِینَ سَنَهً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّیَّتِی إِنِّی تُبْتُ إِلَیْکَ وَ إِنِّی مِنَ الْمُسْلِمِینَ (۱). قد نزل فی أبی بکر.

فقد کان حمله و فصاله ثلاثین شهرا، حملته أمه تسعه أشهر، و أرضعته واحدا و عشرین شهرا، أسلم أبواه جمیعا، و لم یجتمع لأحد من المهاجرین أن أسلم أبواه غیره، فأوصاه اللّه تعالی بهما، و لزم ذلک من بعده.

فلما نبئ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و هو ابن أربعین سنه، صدّق أبو بکر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و هو ابن ثمان و ثلاثین سنه، فلما بلغ أربعین سنه قال: (ربّ أوزعنی أن أشکر نعمتک الّتی أنعمت علیّ و علی والدیّ) و استجاب اللّه له، فأسلم و والداه و أولاده کلهم (۲).

و نقول:

إن للعلامه الأمینی ملاحظات علی هذا الحدیث المزعوم نشیر إلیها و إلی غیرها فی ضمن النقاط التالیه:

أولا: إن کون أم أبی بکر أرضعته واحدا و عشرین شهرا، و حملت به

۱- الآیه ۱۵ من سوره الأحقاف.
۲- الجامع لأحکام القرآن ج ۱۶ ص ۱۹۳ و ۱۹۴ و الکشاف ج ۴ ص ۳۰۳ و فتح القدیر ج ۵ ص ۲۰ و الریاض النضره ج ۱ ص ۶۸ و تفسیر الخازن ج ۴ ص ۱۳۲ و تفسیر النسفی (مطبوع بهامش الخازن) ج ۴ ص ۱۳۲ و عن مرقاه الوصول ص ۱۲۱ و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰ و ۴۱ عن ابن عساکر، و عن ابن مردویه.

تسعه أشهر .. لا يختص بأبى بكر، فإن سائر الناس تحمل أمهاتهم بهم تسعه أشهر، و لعل كثيرات منهن يرضعن أبناءهن واحدا و عشرين شهرا، فلا خصوصيه تستحق التنويه بهذا الأمر، و لذلك نقول:

إن الأقرب فى معنى الآيه هو: الإخبار عن أمر له آثار تشريعيه، و من حيث هو خصوصيته فى التكوين، و هو ما أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام): من أن ضم هذه الآيه إلى قوله تعالى: وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ (۱).

أو قوله تعالى: وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ (۲).

ينتج: أن أقل مده الحمل سته أشهر (۳).

ثانيا: إن أبا بكر أسلم فى سنه سبع من البعثه، أى بعد أن تجاوز سن الأربعين بعده سنوات، حسبما قدمناه فى تاريخ إسلامه .. و أما أبوه فلم

۱- الآيه ۱۴ من سوره لقمان.

۲- الآيه ۲۳۳ من سوره البقره.

۳- راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۴ ص ۱۵۷ و تيسير الوصول ج ۲ ص ۹ و ۱۱ و الموطأ ج ۲ ص ۱۷۶ و عمده القارى ج ۲۱ ص ۱۸ و البرهان ج ۱۴ ص ۱۷۴. و راجع: المصنف للصنعانى ج ۷ ص ۳۵۰ و ۳۵۲ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۴۴۲ و تذكره الخواص ص ۱۴۸ و الدر المنثور ج ۱ ص ۲۸۸ و ج ۶ ص ۴۰ و المناقب للخوارزمى ص ۹۴ و مختصر جامع بيان العلم ص ۲۶۵ و الرياض النضره ج ۳ ص ۱۴۲ و كفايه الطالب ص ۲۲۶ و تفسير النيسابورى ج ۶ ص ۱۲۰ و ذخائر العقبى ص ۸۲ و التفسير الكبير للرازى ج ۲۸ ص ۱۵ و الأربعين للرازى ص ۴۶۶ و كنز العمال ج ۵ ص ۴۵۷ و ج ۶ ص ۲۰۵ و عن ابن أبى حاتم، و العقيلى، و ابن السمان، و عبد بن حميد، و جامع بيان العلم ص ۳۱۱.

يسلم إلا بعد سنه الفتح .. أى بعد أكثر من عشرين سنه من البعثه النبويه الشريفه. و حيث كان لأبى بكر- كما يقال- ست و خمسون سنه أو أكثر ..

و أما أمه فأسلمت بعد البعثه أيضا بسنوات، فما معنى قولهم: إنه حين بلغ أبو بكر أربعين سنه قال: (ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك الّتى أنعمت علىّ و على والدىّ)؟!. مع أنه قد أسلم هو و أبواه بعد هذا السن بسنوات عديده.!!

و ما معنى قولهم: إن اللّه تعالى قد استجاب لأبى بكر، فأسلم والداه، و أولاده كلهم؟!

ثالثا: قد تقدم عدم صحه ما صرحت به الروايه: من أنه لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبى بكر ..

و نضيف إلى ما تقدم أيضا ما يلى:

۱- ما معنى قولهم: (فأوصاه اللّه بهما، و لزم ذلك من بعده)؟! فهل لم تكن الوصيه بالوالدين موجوده قبل ذلك التاريخ؟! ..

۲- قالت عائشه ردا منها على مروان: ما أنزل اللّه فينا شيئا من القرآن غير أنه أنزل عذرى (۱).

فإن قيل: هى تقصد: أنه لم ينزل اللّه فى ذمهم شيئا من القرآن ..

فالجواب: إن عذرها الذى استثنته يراد به آيات حديث الإفك، و إنما

۱- الدر المنثور ج ۶ ص ۴۱ عن البخارى، و صحيح البخارى (ط ۱۳۰۹ ه) ج ۳ ص ۱۲۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۱۵۹ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۱ و راجع: الغدير ج ۸ ص ۲۴۷.

یقصد بها: التبرئه و المدح و الثناء علی من نزلت فیه لا الذم له ..

۳- هناک نصوص کثیره تقول: إن هذه الآیه قد نزلت فی الإمام الحسین (علیه السلام)، و قد ولد لسته أشهر (۱). فراجع.

أبو بکر یضرب أباه:

روی من طریق ابن جریج: أن أبا قحافه سب النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فصکه أبو بکر ابنه صکه، فسقط منها علی وجهه.

ثم أتی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فذکر له ذلک، فقال: أو فعلته؟! لا تعد له.

فقال: و الذی بعثک بالحق نبیا، لو کان السیف منی قریبا لقتلته، فنزل قوله تعالی:

لاٰ تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ یُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ کٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِیرَتَهُمْ أُولٰئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمٰانَ وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ یُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا رَضِیَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولٰئِکَ حِزْبُ اللّٰهِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۲).

۱- تفسیر البرهان ج ۴ ص ۱۷۲ و ۱۷۳ و ۱۷۴.

۲- الآیه ۲۲ من سوره المجادله، و راجع الحدیث فی: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۶ عن المنذر، و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۷ ص ۳۰۷ و تفسیر الآلوسی ج ۲۸ ص ۳۶ و الکشاف ج ۴ ص ۴۹۷ و مرقاه الوصول ص ۱۲۱.

و نقول:

أولا: روى: أن هـذه الآيه نزلت فى الجرّاح، الـذى كان يتصـدى لابنه أبى عبيـده يوم بـدر، فكان أبو عبيـده يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيده فقتله (۱).

ثانيا: قال سفيان عن هذه الآيه: إنها نزلت فى من يخالط السلطان (۲).

ثالثا: إن قتل إنسان لا يتوقف على وجود سيف بالقرب منه، فيمكنه أن يقتله بغير السيف كالخنق، أو ضرب رأسه على صخره، أو بإلقائه من شاهق. كما أن بإمكانه استحضار السيف، لو كان قاصدا لذلك الفعل.

رابعـا: إن مـا صـدر من أبى بكر لاـ يتناسب مع ما ادّعاه: من أنه لو كان السـيف قريبا منه لقتل أباه، فإن هـذا الحرص على إلحاق الأذى لا يتناسب مع مجرد صكه أوجبت سقوط المصكوك على الأرض.

خامسـا: يقول اللّه تبـارك و تعـالى: وَ إِنْ جاهَـداکَ عَلى أَنْ تُشْـرِکَ بِى مـا لَيْسَ لَـکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِى الـدُّنْيا مَعْرُوفاً (۳). فما معنى أن يقدم أبو بكر على مخالفه هذه الأوامر الإلهيه الصارمه؟!

سادسا: إن الآيه المـذكوره قـد نزلت بعـد بدر و أحد. و آيه: .. رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْـكُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً

۱- الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۶ عن ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و الحاكم، و أبى نعيم فى الحليه، و البيهقى فى سننه، و ابن عساكر.
۲- الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۶ عن ابن مردويه.
۳- الآيه ۱۵ من سوره لقمان.

تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّیَّتِی إِنِّی تُبْتُ إِلَیْکَ وَ إِنِّی مِنَ الْمُسْلِمِینَ (۱) قد نزلت فی أوائل بعثه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، أی قبل أکثر من عشر سنوات (۲).

سابعا: إن سوره المجادله مدنیه، و لم یأت أبو قحافه إلی المدینه فی کل تلک السنوات.

ثامنا: إن ما ذکر فی هذه الروایه لا یتناسب مع ما زعموه: من بره بوالدیه الذی بلغ إلی حد أن اللّه تعالی أنزل فیه آیات الثناء، و هی آیات سوره الأحقاف: وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ ...

أسلم تسلم:

و نکاد نلمس قدرا کبیرا من عدم الإنسجام بین ما زعمته الروایات:

من أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أظهر استعداده للذهاب إلی منزل أبی قحافه، الذی کان لا یزال علی شرکه، تکرمه لابنه، و لأیادی ابنه عنده، و بین قوله لأبی قحافه: (أسلم تسلم)، المتضمن للتهدید بالعقوبه علی ما کان یقترفه من جرائم إذا استمر علی شرکه ..

أی أن هذه الکلمه تعنی: أن الأمان الذی أعلنه النبی (صلی اللّه علیه و آله) لأهل مکه لا یشمل أبا قحافه لو أصر علی ما هو علیه ..

و قد یفهم من هذا: أن أبا قحافه کان له دور سیئ فی مناهضه هذا الدین، و فی الکید للإسلام و المسلمین.

۱- الآیه ۱۵ من سوره الأحقاف.

۲- التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۶ و تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ج ۴ ص ۳۳۰.

مفارقات لا علاج لها:

و یلاحظ هنا: وجود العدید من المفارقات فی إسلام أبی قحافه.

فروایه تزعم: أن عمر بن الخطاب هو الذی جاء بأبی قحافه إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و أخری تقول: إن أبا بکر هو الذی جاء بأبیه.

و فی حین نجد روایه تقول: إن أبا بکر لم یعلم بإسلام أبیه حتی بشره به رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۱)

هناک روایات أخری تتحدث: عن أن أبا بکر هو الذی جاء بإبیه، و أسلم أبوه بحضوره.

و روایه تقول: إنه جاء بأبیه یحمله حتی وضعه بین یدی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و أخری تقول: أخذ بید أبیه فأتی به.

الأمانه الیوم قلیل:

ثم إن قول أبی بکر: (.. فو اللّه إن الإمـانه فی النـاس الیوم لقلیـل) لا یخلو عن مجازفه .. خصوصا مع إضافه کلمه (الیوم) التی قد تفهم علی أن الأمانه کانت موجوده لدی المشرکین، و أهل الجاهلیه، و قد تناقصت و قلّت بمجی ء الإسلام ..

علی أن من الواضح: أن خیانه رجل للأمانه لا یعنی أن الباقین لا أمانه لهم ..

۱- المحاسن و المساوئ ج ۱ ص ۵۷.

بل ربما كانت الأمانه قليله، ثم تنامت و زادت أضعافا كثيره عما كانت عليه فى الجاهليه، و إن لم تبلغ حد الإستقطاب التام.

فما معنى: أن يحكم أبو بكر، بل هو يقسم للناس: بأن الأمانه قد قلّت فيهم، بمجرد أن سالب طوق أخته لم يبادر إلى الإقرار به؟!

يضاف إلى ذلك كله: أنه إذا كان فى الـذين نفروا مع الرسول (صـلى اللّه عليه و آله) إلى مكه المسـلم و غير المسـلم، و من هو حـديث عهـد بالإسـلام، فلاـ يمكن أن نتوقع منهم الاـلتزام التام بحـدود الشـريعه، و بالأحكام العقليه و الأخلاقيه، و ما تقضـى به الفطره.

إسلام أبى طالب أقر لعينيه من إسلام أبيه:

و تعود نفس الترنيمه السابقه لتردد من جديد و تؤكد إصرار هؤلاء الناس على نسبه الشرك إلى أبى طالب رضوان اللّه عليه.

و قـد ذكرنا فى الفصول المتقدمه فى الأجزاء الأولى من هذا الكتاب فصولا أثبتنا فيها إيمان أبى طالب بما لا مجال للريب فيه إلا لمكابر جاحد و شانئ ..

أبو قحافه أول مخضوب فى الإسلام:

و قد ذكرت بعض الروايات عن قتاده: أن أبا قحافه أول مخضوب فى الإسلام (١).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ٢٢٣ عن أحمد، و ابن حبان.

و نقول:

۱- إن قتاده لم یکن فی زمن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لنکتفی بقوله فی تحدید الشخص الذی کان أول مخضوب فی الإسلام. علی اعتبار أنه إنما یتحدث عما عاینه و شاهده.

۲- إننا نکاد نطمئن إلی أن الخضاب قد کان قبل فتح مکه بزمان .. فإنه کان فی زمان قله المسلمین، و ضعفهم، فأرید من خلال أمر المسلمین به الإیحاء بالقوه للأعداء، و بعث الرهبه فی قلوبهم. و کان المسلمون فی فتح مکه أکثر من عشره الآف مقاتل، فإن کان ثمه خضاب فهو فی عمره القضاء أو قبلها ..

و یؤید ذلک: الروایات التالیه:

۱- ما ورد: من أن الخضاب تفرح به الملائکه، و یستبشر به المؤمن، و یغیظ به الکافر (۱).

۲- عن أبی عبد اللّه (علیه السلام): أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال عن الخضاب بالسواد: نور و إسلام، و إیمان، و محبه إلی نسائکم، و رهبه فی قلوب عدوکم (۲).

۳- عن أبی عبد اللّه (علیه السلام): الخضاب بالسواد مهابه للعدو، و أنس للنساء (۳).

۱- البحار ج ۷۳ ص ۹۷ و ۹۹ عن ثواب الأعمال ص ۲۱ و الخصال ج ۲ ص ۹۰ و مکارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ۷۹.
۲- البحار ج ۷۳ ص ۱۰۰ و مکارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ۷۹.
۳- البحار ج ۷۳ ص ۱۰۰ و مکارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ۸۰.

۴- عن الإمام السجاد (علیه السلام): أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أصحابه فی غزوه غزاها أن یخضبوا بالسواد، لیقووا به علی المشرکین (۱).

۵- عن أبی الحسن (علیه السلام) قال: فی الخضاب ثلاث خصال:

مهیبه فی الحرب، و محبه إلی النساء، و یزید فی الباه (۲).

۶- سئل أمیر المؤمنین (علیه السلام) عن قول النبی (صلی اللّه علیه و آله): (غیروا الشیب و لا تتشبهوا بالیهود)، فقال:

إنما قال (صلی اللّه علیه و آله) ذلک، و الدین قلّ. و أما الآن و قد اتسع نطاقه و ضرب بجرانه فامرؤ و ما اختار (۳).

و واضح: أن الدین کان قبل فتح مکه، أی فی عمره القضاء و الحدیبیه و قبلهما، أضعف و أقل منه فی فتح مکه، فالأمر بالخضاب فی عمره القضاء أولی.

۱- البحار ج ۷۳ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و مکارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ۸۰.
۲- البحار ج ۷۳ ص ۱۰۲ و مکارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ۸۱.
۳- نهج البلاغه (بتحقیق عبده) ج ۴ ص ۵ و الوسائل (ط أهل البیت) ج ۲ ص ۸۷ و البحار ج ۷۳ ص ۱۰۴ و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۸ ص ۱۲۲ و مکارم الأخلاق.

ص: ۱۸۰

الفصل السادس: طواف النبی صلّی اللّه علیه و آله و تحطیم الأصنام

اشاره

طواف النبی صلّی اللّه علیه و آله بالبیت:

قالوا: دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه بغیر إحرام، و علیه السلاح، و مکث فی منزله ساعه من النهار حتی اطمأن الناس، فاغتسل، ثم دعا براحلته القصواء، فأدنیت إلی باب قبته، و عاد للبس السلاح و المغفر علی رأسه، و قد حف الناس به، فرکب راحلته و الخیل تمعج (۱) بین الخندمه إلی الحجون.

فلما انتهی (صلی اللّه علیه و آله) إلی الکعبه، فرآها و معه المسلمون، تقدّم علی راحلته، و استلم الرکن بمحجنه (۲)، و کبّر، فکبّر المسلمون بتکبیره، فرجّعوا التکبیر، حتی ارتجت مکه تکبیرا، حتی جعل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یشیر إلیهم أن اسکتوا، و المشرکون فوق الجبال ینظرون.

و طاف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالبیت، آخذا بزمام الناقه محمد بن مسلمه، فأقبل علی الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبیت (۳).

۱- معجت الخیل: کانت سریعه السیر سهله.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۲۴۴ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۸.

۳- المحجن: العصا المنعطفه الرأس کالصولجان.

تحطيم الأصنام فى المسجد الحرام:

عـن ابن عمر، و سـعيد بن جـبير، و ابن عبـاس: أن رسـول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) دخـل مكه يـوم فتـح مكه، و حـول الكعبه ثلاثمائه و سـتون صـنما مرصـعه بالرصاص (۱). (و فى الحلـبيه و غيرهـا: لكـل حى مـن أحيـاء العرب صـنم. قـد شـد إبليس (أو الشياطين) أقدامها بالرصاص (و النحاس) (۲).

فأخذ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كفا من حصى فرماها فى عام الفتح، و قال: جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (۳) فما بقى صنم إلا خر لوجهه، فأمر بها، فأخرجت من المسجد، فطرحت فكسرت (۴)).

و كان هبل أعظمها، و هو و جاه الكعبه، و إساف و نايله حيث ينحرون و يذبحون الذبائح، و فى يد رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) قوس (عود) (مخصره) و قد أخذ بسيه القوس (۵)، فجعل رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) كلما مر بصنم منها يشير إليه، و يطعن فى عينه (أو فى بطنه) و يقول: جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۴ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۷ عن إرشاد المفيد ص ۶۳ و عن الخرائج و الجرائح.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۵ و ۸۶ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ عن أبى نعيم.

۳- الآيه ۸۱ من سوره الإسراء.

۴- البحار ج ۲۱ ص ۱۱۷ عن إرشاد المفيد ص ۶۳ و عن الخرائج و الجرائح.

۵- سيه القوس: ما عطف من طرفيها.

فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه. و فى لفظ: لقفاه، من غير أن يمسه (۱).

و قال الكلبى: فجعل ينكب لوجهه إذا قال ذلك، و أهل مكه يقولون:

ما رأينا رجلا أسحر من محمد (۲).

و فى ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعى:

ففى الأصنام معتبر و علم لمن يرجو الثواب أو العقابا قال أئمه المغازى: فطاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) سبعا على راحلته، يستلم الركن الأسود بمحجنه كل طواف، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته (۳).

و عند ابن أبى شيبه عن ابن عمر، قال: فما وجدنا مناخا فى المسجد حتى أنزل على أيدى الرجال، ثم خرج بها.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۴ عن أبى نعيم، و البيهقى، و ابن إسحاق، و ابن منده، و الواقدى، و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۴ ص ۷۱ و عن البخارى فى المظالم، باب هل تكسر الدنان التى فيها الخمر، و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۵ و ۸۶ و البحار ج ۲۱ ص ۹۲ و ۱۰۶ و ۱۱۶ عن مجمع البيان ج ۶ ص ۴۳۵ و عن أمالى ابن الشيخ ص ۲۱۴.
۲- البحار ج ۲۱ ص ۹۲ و ۱۱۰ عن مجمع البيان ج ۶ ص ۴۳۵ و عن سعد السعود ص ۲۲۰.
۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ و البحار ج ۹۶ ص ۲۱۰.

قالوا: و جاء معمر بن عبد اللّه بن نضله، فأخرج الراحله فأناخها بالوادی.

ثم انتهی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی المقام، و هو لاصق بالکعبه، و الدرع علیه، و المغفر، و عمامته بین کتفیه، فصلی رکعتین.

ثم انصرف إلی زمزم، فاطلع فیها، و قال: (لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب (علی سقایتهم) لنزعت منها دلوا).

فنزع له العباس بن عبد المطلب- و یقال الحرث بن عبد المطلب- دلوا، فشرب منه، و توضأ (۱)، و المسلمون یبتدرون وضوء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یصبونه علی وجوههم، و المشرکون ینظرون إلیهم، و یتعجبون، و یقولون: ما رأینا ملکا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به (۲).

زاد فی الحلبیه قوله: (لا تسقط قطره إلا و فی ید إنسان، إن کان قدر ما یشربها شربها، و إلا مسح بها جلده، و المشرکون یقولون: ما رأینا ملکا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به) (۳).

و أمر بهبل فکسر و هو واقف علیه، فقال الزبیر بن العوام لأبی سفیان بن حرب: یا أبا سفیان، قد کسر هبل، أما إنک قد کنت منه یوم أحد فی غرور، حین تزعم أنه أنعم.

فقال أبو سفیان: دع عنک هذا یابن العوام، فقد أری لو کان مع إله

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۲.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۷ و ۸۸ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۵.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۸.

محمد غیره لکان غیر ما کان (۱).

ثم انصرف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فجلس ناحیه من المسجد و الناس حوله (۲).

و عن أبی هریره قال: کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم الفتح قاعدا، و أبو بکر قائم علی رأس رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالسیف (۳).

إحالات علی ما سبق:

اشاره

ثم إن النصوص المتقدمه قد تضمنت أمورا کنا قد تحدثنا عنها فیما سبق، فلا حاجه إلی إعاده البحث فیها، و التحلیل لمضامینها، و هی التالیه:

ألف: المسلمون یتدرون وضوء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

تحدثنا مرات و مرات عن تبرک المسلمین برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و بفضل وضوئه، و تأثیر ذلک علی عتاه المشرکین، فراجع غزوه الحدیبیه، و راجع أیضا ما جری لأبی سفیان حین جاء إلی المدینه بعد نقضهم عهد الحدیبیه یطلب تجدید العهد، و الزیاده فی المده، و مواضع کثیره أخری.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۷ عن روضه الأحباب.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۲.

۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ عن البزار و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۶ و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۶.

ب: ما رأينا و لا سمعنا ملكا بلغ هذا:

و أما قول المشركين، و هم يرون تبرک الصحابه بفضل وضوء نبيهم:

(ما رأينا و لا سمعنا ملكا قط بلغ هذا)، فقد تحدثنا حين ذكرنا مقاله أبى سفيان حين قدم المدينه، و قد رأى مثل ذلک، و ثم حين رأى ما يشبهه فى مرّ الظهران، فلا بأس بالرجوع إلى تلک الموارد و سواها.

ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ثم إننا قد تحدثنا فى بعض فصول هذا الكتاب، و بالتحديد فى غزوه الحديبيه: عن أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن يرضى بأن يقوم الناس على رأسه بالسيف، و ذكرنا بعض الشواهد على ذلک فلا بأس بالرجوع إلى ذلک المورد للاطلاع على ما ذكرناه.

د: المشركون فوق الجبال ينظرون:

و أخيرا نقول:

قد سبق فى عمره القضاء الإشاره إلى أن المشركين كانوا ينظرون من أعالى الجبال إلى المسلمين حين دخلوا مكه، فأمرهم (صلى اللّه عليه و آله) أن يظهروا لهم بعض القوه.

و قد تكرر نفس هذا المشهد فى فتح مكه حيث كان المشركون يراقبون من أعالى الجبال المحيطه بالكعبه حركه النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين فيها ..

و قد أظهر المسلمون التكبير حتى ارتجت مكه من ذلک، و هذا التكبير

يرعب أهل الشرك، و يمثل طعنه لهم فى أكثر المواضع حساسيه و ألما لهم، لأنه يستهدف أساس الشرك، و حبه قلبه.

ثم شاهدوا طوافه (صلى اللّه عليه و آله) على راحلته، و استلامه الركن بالمحجن حسبما تقدم ..

و الأشد عليهم، و الأكثر ألما، و الأعظم أثرا: أنهم قد شاهدوا تحطيم أصنامهم على يد على (عليه السلام) الذى رأوه يصعد على كتفى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و من ثم على ظهر الكعبه ..

و هم يعرفون عليا (عليه السلام) حق المعرفه، فى مكه قبل الهجره، و فى شعب أبى طالب، و سواه، و حين الهجره فى مبيته على الفراش ليله الغار، و بعد الهجره فى ساحات الجهاد، فى بدر و أحد و الخندق، و ذات السلاسل، يضاف إلى ذلك جهاده لحلفائهم من اليهود فى خيبر و بنى النضير و قريظه و سواها، و هو يقتل شجعانهم، و فراعنتهم، و يبير كيدهم، و يبطل أحدوثتهم ..

تأسى عمر برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

قد تقدم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد استلم الحجر الأسود، و لم يزل المسلمون يستلمونه تأسيا برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى يومنا هذا.

و لكن عمر بن الخطاب، و إن كان قد استلم الحجر أيضا، و لكنه قد اطلق فى هذا المورد كلاما خطيرا، لم تزل آثاره ظاهره إلى يومنا هذا ..

فقد ذكروا: أنه حج فى أمرته، فلما افتتح الطواف و استلم الحجر

الأسود و قبله، قال: قبلتک و إنی لأعلم أنّک حجر، لا تضـر و لا تنفع، و لکن کان رسول اللّه بک حفیا، و لو لا أنی رأیته (صلی اللّه علیه و آله) یقبلک ما قبلتک!! (أو ما یقرب من هذه الکلمات).

و کان علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) حاضرا، فقال له: بلی و اللّه، إنه لیضر و ینفع.

قال: و بم قلت ذلک یا أبا الحسن؟!

قال: بکتاب اللّه تعالی.

قال: أشهد أنک لذو علم بکتاب اللّه، فأین ذلک من الکتاب؟

قال: قول اللّه عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَهِدْنا .. (۱).

ثم ذکر کیف أخذ اللّه تعالی علی العباد میثاقهم بالعبودیه، و ألقمها الحجر الأسود .. إلی أن تقول الروایه:

فقال عمر: لا عشت فی أمه لست فیها یا با الحسن (۲).

و لکن اعتراض أمیر المؤمنین (علیه السـلام)، و اعترف عمر، لم ینه القضـیه، بل بقی العمریون یصـرحون: بأنه حجر لا یضـر و لا ینفع، و ینهون الناس عن استلامه (۳).

و الأحادیث حول أن اللّه تعالی أودع الحجر مواثیق الخلائق، و أنه

۱- الآیه ۱۷۲ من سوره الأعراف.

۲- راجع: البحـار ج ۹۶ ص ۲۱۶ و ۲۱۷ و راجـع ص ۲۲۱ و ۲۲۷ و ۲۲۸ عن علل الشـرایع ص ۴۹ و راجـع ص ۴۲۶ و تفسیر العیاشی ج ۲ ص ۳۸.

۳- راجع: البحار ج ۹۶ ص ۲۱۷ و ۲۱۸ عن علل الشرایع ص ۴۲۵.

يشهد لمن وافاه بالموافاه كثيره (۱).

و هـذا الموقف من عمر قـد أعطى الانطباع لدى الكثيرين من أتباعه و محبيه بأن القيمه الحقيقيه للبناء، و الحجر و الشـجر، و كل مـا هو جسم مـاديه و ليست معنويه، فلاـ قـداسه لهـا فى نفسـها، و لا تكتسب قـداسه من إضافاتها إلى ما هو مقـدس، كما أنها لا تزيدها تلك الإضافات قداسه، و لا تعطيها قيمه معنويه زائدا على ما لها من قيمه ما ديه.

و خلاصه الأمر: إن كلمه عمر الآنفه الـذكر قد أفرغت تقبيله للحجر من أى مضـمون معنوى، و رفد روحى، و توهج مشاعرى، و جعلته عملا خاويا، وجافا، لا يتضمن سوى المحاكاه الفارغه لفعل صدر عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و رغم أن إجـابه على (عليه السـلام) قـد تضـمنت العـوده إلى أغـوار المضـمون الروحى، و أوغلت فى مـداه العقائـدى، و معنـاه الإيمـانى، حين شـرحت كيف أن اللّه سـبحانه قـد أودع الحجر الأسود مواثيق الخلائق منـذ عالم الـذر، فإن ذلك لم يمنع محبى الخليفه الثانى من الإصـرار على المنحى الذى نحاه عمر بن الخطاب .. و سـعوا إلى التنظير له بعد تعميمه و توسـعته، حتى اعتبروا التبرك بالأمـاكن المقـدسه، أو بـأى شــى ء يرتبـط برسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله و بآثاره، من الشـرك، الـذى يسـتحق فاعله العقوبه بأقصى مدى .. فما ظنك بالتبرك بآثار الأوصياء و الأولياء و الصالحين!!

و قد ضربوا بعرض الحائط مئات النصوص التى تحدثت عن توجيه

۱- البحار ج ۹۶ ص ۲۱۵- ۲۲۸.

النبی (صلی اللّه علیه و آله) نفسه للناس من الصحابه و التابعین إلی التبرک بآثار الأنبیاء و المرسلین، و جمیع عباد اللّه الصالحین، و مفردات ما جری من ذلک عبر الأجیال ..

و قد جمع العلامه الأحمدی طائفه من هذه النصوص فی کتابه (التبرک) و جمع غیره أیضا الکثیر منها فراجع.

استلام الرکن بالمحجن:

و قد ذکرت الروایات المتقدمه: أنه (صلی اللّه علیه و آله) استلم الحجر، ثم طاف بالبیت.

و تقدم أیضا: أنه کان یستلم الرکن بمحجنه.

فهل المراد بالرکن هنا: الرکن الیمانی؟ أم رکن الحجر الأسود؟!

لقد صرحت الروایه المتقدمه: بأن المراد به الرکن الأسود.

و لکن قد یقال: لعل الرکن الذی استلمه (صلی اللّه علیه و آله) بالمحجن هو الیمانی، الذی یستحب استلامه .. فإذا أطلق الکلام فی استحباب استلام الرکن، فالیمانی هو المتبادر إلی الذهن.

و فی البحار و غیره أطلق القول: بأنه (صلی اللّه علیه و آله) قد استلم الرکن بالمحجن .. الأمر الذی یرجح احتمال إراده الیمانی ..

و لکن الرواه أضافوا کلمه: (الأسود) إلی الروایه التی ذکرت آنفا اجتهادا منهم، أو لحاجه فی أنفسهم.

و لکن هذا یبقی مجرد احتمال.

استلم الحجر ثم ركب راحلته:

كما أن ظاهر عباره الروايه التى تقدمت: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد استلم الحجر قبل الطواف .. ثم طاف و هو راكب، و صار يستلم الركن بمحجنه ..

فإذا صح هذا، فيرد السؤال عن سر عودته إلى الركوب، و ترجيحه الطواف كذلك على الطواف ماشيا!

و قد يقال فى الجواب: إن المراد هو التشريع العملى للطواف فى حال الركوب، فإن الناس قد يصعب عليهم قبول بعض مفردات التشريع، و يرون أنها مظنه النقص، بل هى عندهم مظنه الخطر .. فإذا رأوا النبى (صلى اللّه عليه و آله) يمارسها بنفسه، فإن تأسيهم به يهوّن الأمر عليهم.

و ذلك نظير قصر الصلاه، و إفطار المريض، و الإفطار فى السفر، فإنك تجد تحرّجا من الناس فى الإقدام على ذلك، و يصعب عليهم فعله، و لأجل ذلك جاء التعبير بنفى (الجناح) فى قوله تعالى: وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِی الْأَرْضِ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاهِ .. (۱).

و لعل جميع الآيات التى عبرت ب (لا جناح)، وارده فى موارد توهم الحرمه فيها، أو التحرج من مباشره الفعل الوارد بعدها (۲).

و يمكن أن يضاف إلى ذلك أيضا: أن ثمه تعمدا من رسول اللّه (صلى

۱- الآيه ۱۰۱ من سوره النساء.

۲- راجع الآيات: ۱۵۸ و ۲۲۹ و ۲۳۰ و ۲۳۳ و ۲۳۴ و ۲۳۵ و ۲۳۶ و ۲۴۰ و ۲۸۲ من سوره البقره، و ۲۳ و ۲۴ و ۱۰۲ من سوره النساء.

اللّه علیه و آله) أن یراه مشرکو مکه، الـذین کـانوا ینظرون إلی مـا یجری حتی من علی الجبال المحیطه، و الحشود المجتمعه، و هو فی حاله متمیزه، یمارس أمرا لعلهم لم یعهدوه من ذی قبل، و هو الطواف علی الراحله .. و هو أمر شـرعه اللّه بالوحی الذی لا یزالون یجحدونه و ینکرونه، رغم ما یرونه من آیات باهره و معجزات ظاهره، و دلالات للعقل قاهره.

محاوله اغتیال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

قـال ابن هشـام: حـدثنی بعض أهـل العلم: أن فضاله بن عمیر بن الملوح اللیثی أراد قتل رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله)، و هو یطوف بالبیت عام الفتح؛ فلما دنا منه قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (أفضاله)؟

قال: نعم.

قال: (ماذا کنت تحدث به نفسک)؟

قـال: لا ـ شـی ء، کنت أذکر اللّه، فضـحک رسـول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) ثم قـال: (إسـتغفر اللّه). ثم وضع یـده علی صـدره فسکن.

و کان فضاله یقول: و اللّه ما رفع یده عن صدری حتی ما خلق شی ء أحب إلی منه.

و رجع فضاله إلی أهله، قال: فمررت بامرأه کنت أتحدث إلیها.

فقالت: هلم إلی الحدیث.

فقال: لا. و انبعث فضاله یقول:

قالت هلم إلی الحدیث فقلت لایأبی علی اللّه و الإسلام

إذ ما رأیت محمدا و قبیله بالفتح یوم تکسر الأصنام

لرأيت دين اللّه أضحى بيناو الشرک يغشى وجهه الإظلام (۱) و نقول:

ليس غريبا أن نرى بين الفينه و الفينه من يتآمر على حياه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أو من يحدث نفسه بقتله صلوات اللّه و سلامه عليه و على آله الطاهرين ..

و قد ظهرت هذه المحاولات فى المشركين، و فى اليهود، و المنافقين، و فى جميع تلک المحاولات كانت تظهر لهم الرعايه الإلهيه له (صلى اللّه عليه و آله).

و قد كان الشيطان ينسيهم ذلک، و يزين لهم تكرار المحاوله، قال تعالى:

أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ (۲).

و قال: وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ (۳).

و قد يترک الشيطان أولئک الناس إلى غيرهم، ليزين هذا الأمر لفريق أو لشقى جديد، فتواجهه أو تواجههم الخيبه، و يقيم اللّه عليه أو عليهم الحجه.

تبقى الإشاره هنا: إلى هؤلاء الذين تنتهى بهم شقوتهم و عنادهم للحق

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶، و قال: ذكره أبو عمر فى الدرر، و لم يذكر فى الإستيعاب، و هو على شرطه، و ذكره القاضى فى الشفاء بنحوه. و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷.

۲- الآيه ۸ من سوره فاطر.

۳- الآيه ۲۴ من سوره النمل، و الآيه ۳۸ من سوره العنكبوت.

و أهله إلى حد التفكير باغتيال سيد الرسل، مع ما يرونه من آيات باهره، و معجزات قاهره، فإنك تراهم يدّعون لأنفسهم أحوالا رائعه و مميزه، و درجات عاليه من الإيمان و الإخلاص كما هو الحال بالنسبه لدعاوى فضاله الآنفه الذكر، و لكن النفس لا تسكن إلى صحه دعاواهم تلك، فلا بد أن يبقى الريب بهم، و الحذر منهم. فإن هذا هو القرار الحازم، حتى لو كان لابد من السكوت عن الجهر باتهامهم.

فهذا هو الخيار الحكيم، و الرأى الصحيح و السليم، و لا حول و لا قوه إلا باللّه العلى العظيم.

أين كان مقام إبراهيم عليه السّلام؟!:

و قد ادعت الروايات المتقدمه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) بعد أن طاف صار إلى خلف مقام إبراهيم، و كان لاصقا بالكعبه، فصلى ركعتين. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲۲ ۱۹۴ أين كان مقام إبراهيم عليه السلام؟!: ..... ص : ۱۹۴

و نقول:

إن دعوى لصوق المقام بالكعبه لا تصح، فإن المقام كان حينئذ بعيدا عن الكعبه، و النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى أرجعه إلى موضعه الملاصق للكعبه.

و المقام هو حجر فيه آثار قدمى إبراهيم الخليل (عليه السلام)، حيث إن اللّه تعالى أمره أن يؤذّن فى الناس بالحج، فأخذ (عليه السلام) ذلك الحجر فوضعه بحذاء البيت، لاصقا به، بحيال الموضع الذى هو فيه اليوم.

ثم قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره اللّه عز و جل به، فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر، فغرقت رجلا إبراهيم فيه، فقلع (عليه السلام)

رجليه من الحجر قلعا.

فلما كثر الناس، و صاروا إلى الشر و البلاء ازدحموا عليه، فرأوا أن يضعوه فى هذا الموضع الذى هو فيه اليوم، ليخلو المطاف لمن يطوف بالبيت.

فلما بعث اللّه عز و جل محمدا (صلى اللّه عليه و آله) رده إلى الموضع الذى وضعه فيه إبراهيم (عليه السلام)، فما زال فيه حتى قبض رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و فى زمن أبى بكر، و أول ولايه عمر.

ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فأيكم يعرف موضعه فى الجاهليه؟

فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقدر.

قال: و القدر عندك؟

قال: نعم.

قال: فأت به.

فجاء به، فأمر بالمقام فحمل ورد إلى الموضع الذى هو فيه الساعه (۱).

لقد كدت تركن إليهم:

و عن ابن أبى يعفور، عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال: سألته عن قول اللّه وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا (۲).

قال: لما كان يوم الفتح أخرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أصناما

۱- البحار ج ۹۶ ص ۲۳۲ عن علل الشرايع ص ۴۲۳.

۲- الآيه ۷۴ من سوره الإسراء.

من المسجد، و كان منها صنم على المروه، و طلبت إليه قريش أن يتركه، و كان استحيا، فهمّ بتركه، ثم أمر بكسره، فنزلت هذه الآيه (۱).

و نقول:

أولا: إن ما ذكرته الروايه من مناسبه نزول الآيه تعارضه روايات أخرى حول هذا الموضوع، و لعل من بينها ما هو أصح و أولى بالقبول.

۱- فمنها ما روى فى مصادر شيعه أهل البيت (عليهم السلام) ما يدل على أن هذه الآيه قد نزلت بإياك أعنى و اسمعى يا جاره، فلاحظ ما يلى:

ألف: روى عن الإمام الرضا (عليه السلام): إن هذه الآيه مما نزل بإياك أعنى، و اسمعى يا جاره، خاطب اللّه تعالى بذلك نبيه (صلى اللّه عليه و آله)، و أراد أمته (۲).

ب: و عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا عنى بذلك غيره (۳).

۲- و منها ما دل على أنها نزلت فى من أراد أن يصرف النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن التنويه بشأن على (عليه السلام).

و نشير هنا: إلى أن هذه الروايات لا تتنافى مع سابقاتها و ذلك ظاهر، و من هذه الروايات:

۱- نور الثقلين ج ۳ ص ۱۹۸ و البرهان (تفسير) ج ۲ ص ۴۳۴ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۴ و تفسير العياشى ج ۲ ص ۳۰۶ و مجمع البيان المجلد الثالث ج ۶ ص ۴۳۱.
۲- نور الثقلين ج ۳ ص ۱۹۷ و ۱۹۸ و البرهان (تفسير) ج ۲ ص ۴۳۴.
۳- نور الثقلين ج ۳ ص ۱۹۸.

ألف: عن عبـد اللّه بن عثمـان البجلی، عن رجـل: أن النبی (صـلی اللّه علیه و آله) اجتمعـا (۱) عنـده و ابنتیهما، فتکلموا فی علی (علیه السلام). و کان (۲) من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یلین فی بعض القول، فأنزل اللّه: .. لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلًا إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَیاهِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَیْنا نَصِیراً (۳) ثم لا تجد لک مثل علی ولیا (۴).

ب: عن أبی جعفر (علیه السلام): وَ إِنْ کادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ (۵) فی علی بن أبی طالب (علیه السلام) (۶).

ج: و عن أبی الحسن موسـی بن جعفر، عن أبیه صـلوات اللّه علیهما: أن القوم أرادوا النبی (صـلی اللّه علیه و آله) لیربط رایه (۷) فی علی (و لیمسک عنه بعض الإمساک، حتی إن بعض نسائه ألحـن علیه فی ذلک، فکاد یرکن إلیهم بعض الرکون، فأنزل اللّه عز و جـل: وَ إِنْ کادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنا غَیْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوکَ خَلِیلًا وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلًا.

۱- أی اجتمع عنده أبو بکر و عمر و ابنتاهما. و الواو فی قوله: و ابنتیهما للمعیه.

۲- کذا فی المصدر.

۳- الآیتان ۷۴ و ۷۵ من سوره الإسراء.

۴- نور الثقلین ج ۳ ص ۱۹۸ و ۱۹۹ و البرهان (تفسیر) ج ۲ ص ۴۳۴.

۵- الآیه ۷۳ من سوره الإسراء.

۶- البرهان (تفسیر) ج ۲ ص ۴۳۴.

۷- لم أفهم معنی هذه العباره و لعلها محرفه أو مصحفه. لکن العباره التی بعدها توضح المراد.

قال محمـد بن العباس: (المخاطب بـذلک ظ) رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله). و لکن فی التخویف لأمته، لئلا یرکن أحد من المؤمنین إلی أحد من المشرکین (۱).

۳- أما روایات أهل السـنه فهی مختلفه فی ما بینها، و لکنها هی الأخری متفقه علی خلاف ما ورد فی تلک الروایه التی نتحـدث عنها أیضا.

و مع غض النظر عن ذلک کله نقول:

ألف: روی: أن هذه الآیه نزلت قبل الهجره، حین جاء أمیه بن خلف، و أبو جهل إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و طلبوا منه أن یستلم آلهتهم، لکی یدخلوا معه فی دینه. و کان یشتد علیه فراق قومه فرقّ لهم. فنزلت الآیه (۲).

ب: عن سعید بن جبیر: کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) یستلم الحجر، فقالوا: لا ندعک تستلمه حتی تستلم آلهتنا.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): و ما علیّ لو فعلت، و اللّه یعلم منی خلافه، فنزلت (۳).

ج: عن ابن شـهاب: أن المشـرکین کانوا یقولون لرسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) إذا طاف: اسـتلم آلهتنا کی لا تضرک، فکاد یفعل، فنزلت (۴).

۱- البرهان ج ۲ ص ۴۳۴.
۲- الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن إسحاق، و ابن أبی حاتم، و ابن مردویه.
۳- راجع: مجمع البیان المجلد الثالث ج ۶ ص ۴۳۱ و الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن جریر، و ابن أبی حاتم.
۴- الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن أبی حاتم.

د: عن جبیر بن نفیر: أن قریشا طلبوا منه (صلی اللّه علیه و آله) أن یطرد الذین اتبعوه من سقاط الناس و موالیهم، لیکونوا هم اصحابه، فرکن إلیهم، فنزلت (۱).

ه: عن ابن عباس: أن ثقیفا قالوا لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله):

أجّلنا سنه، حتی نهدی لألهتنا، فإذا قبضنا الذی یهدی للآلهه أحرزناه، ثم أسلمنا، و کسرنا الآلهه، فهمّ أن یؤجلهم، فنزلت (۲).

ثانیا: إن الآیات تقول: إنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یرکن، بل هو لم یقترب من الرکون إلیهم، لأن تثبیت اللّه له کان حاصلا فعلا و من أول الأمر .. و ذلک بقرینه کلمه (لو لا) الداله علی نفی الحصول.

فکل الروایات المفیده لرکونه (صلی اللّه علیه و آله)، أو مقاربته للرکون لا تصح، لأنها تنافی ظاهر الآیه الکریمه.

ثالثا: إن الحدیث فی الآیه إنما هو عن أمر أنزل و أوحی إلیه من اللّه تعالی، و هم یریدون منه (صلی اللّه علیه و آله) أن یفتری علی اللّه غیره ..

و هذا لا ینطبق علی مورد الروایه السابقه، لأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لم یقل لهم: إن اللّه أوحی إلیه أن أترک الصنم علی المروه، بل هو- حسب ما تقوله الروایه- قد همّ بترکه، لأنه استحیا منهم.

رابعا: إن هذه السوره مکیه، و قد ذکرنا فی ثنایا هذا الکتاب: أن السور

۱- الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن أبی حاتم، و مجمع البیان المجلد الثالث ج ۶ ص ۴۳۱.

۲- الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن جریر، و ابن مردویه، و مجمع البیان المجلد الثالث ج ۶ ص ۴۳۱.

کانت تنزل دفعه واحده، ثم تبدأ تطبیقاتها بالحصول تدریجا إلی أن تنزل (بسم اللّه الرحمن الرحیم) مره أخری، فیعرف الناس: أن السوره السابقه قد انتهت، و أن سوره جدیده قد بدأت (۱).

۱- راجع: الدر المنثور ج ۱ ص ۷ و ج ۳ ص ۲۰۸ عن أبی داود، و البزار، و الدار قطنی فی الافراد، و الطبرانی، و الحاکم، و صححه، و البیهقی فی المعرفه و فی شعب الإیمان، و فی السنن الکبری، و عن أبی عبید، و الواحدی، و فتح الباری ج ۹ ص ۳۹ و تفسیر القرآن العظیم ج ۱ ص ۱۶ و نیل الأوطار ج ۲ ص ۲۲۸ و مستدرک الحاکم ج ۱ ص ۲۳۱ و ۲۳۲ و صححه علی شرط الشیخین، و تلخیص المستدرک للذهبی، بهامشه، و أسباب النزول للواحدی ص ۹ و ۱۰ و السنن الکبری ج ۲ ص ۴۲ و ۴۳ و محاضرات الأدباء المجلد الثانی، الجزء ۴ ص ۴۳۳ و الإتقان ج ۱ ص ۷۸ و بحوث فی تاریخ القرآن و علومه ص ۵۶ و ۵۷ و راجع ص ۵۵ عن بعض من تقدم، و الجامع لأحکام القرآن ج ۱ ص ۹۵ و عمده للقارئ ج ۵ ص ۲۹۲ و نصب الرایه ج ۱ ص ۳۲۷ و المستصفی ج ۱ ص ۱۰۳ و فواتح الرحموت بهامشه ج ۲ ص ۱۴ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۳۴ و التفسیر الکبیر ج ۱ ص ۲۰۸ و غرائب القرآن، بهامش الطبری ج ۱ ص ۷۷ و المصنف للصنعانی ج ۲ ص ۹۲ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۳۱۰ و ج ۲ ص ۱۰۹ عن أبی داود و البزار و کنز العمال ج ۲ ص ۳۶۸ عن الدار قطنی فی الافراد و التمهید فی علوم القرآن ج ۱ ص ۲۱۲ عن الحاکم و الیعقوبی، و سنن أبی داود ج ۱ ص ۲۰۹ و المنتقی ج ۱ ص ۳۸۰ و تبیین الحقائق ج ۱ ص ۱۱۳ و کشف الأستار ج ۳ ص ۴۰ و مشکل الآثار ج ۲ ص ۱۵۳ و تفسیر العیاشی ج ۱ ص ۱۹ و عنه فی التمهید فی علوم القرآن ج ۱ ص ۲۱۲ و بحوث فی تاریخ القرآن و علومه ص ۵۶ و مصباح الفقیه [کتاب الصلاه] ص ۲۷۶ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱ ص ۹۵.

و حتی لو قلنا بما یقوله أولئک الناس: من أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان یقول: ضعوا هذه الآیه فی مکان کذا من سوره کذا (۱)، فإننا لا نری مبررا

۱- الجامع الصحیح للترمذی ج ۵ ص ۲۷۲ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۳ و الإتقان ج ۱ ص ۶۲ و البرهان للزرکشی ج ۱ ص ۲۴۱ عن الترمذی، و الحاکم. و التمهید ج ۱ ص ۲۱۳ و تاریخ القرآن للصغیر ص ۸۱ عن: مدخل إلی القرآن الکریم لدراز ص ۳۴. لکن فی غرائب القرآن للنیسابوری، بهامش جامع البیان للطبری ج ۱ ص ۲۴ و مناهل العرفان ج ۱ ص ۲۴۰ هکذا: (ضعوا هذه السوره فی الموضع الذی یذکر فیه کذا). و مستدرک الحاکم ج ۲ ص ۳۳۰ و ۲۲۱ و تلخیصه للذهبی بهامشه و غریب الحدیث ج ۴ ص ۱۰۴، و البرهان للزرکشی ج ۱ ص ۲۳۴ و ۲۳۵ و راجع ص ۶۱ و غرائب القرآن بهامش جامع البیان ج ۱ ص ۲۴ و فتح الباری ج ۹ ص ۱۹ و ۲۰ و ۳۹ و ۳۸، و کنز العمال ج ۲ ص ۳۶۷ عن أبی عبید فی فضائله، و ابن أبی شیبه، و أحمد، و أبی داود، و الترمذی، و ابن المنذر، و ابن أبی داود، و ابن الأنباری معا فی المصاحف، و النحاس فی ناسخه، و ابن حبان، و أبی نعیم فی المعرفه، و الحاکم و سعید بن منصور، و النسائی، و البیهقی، و فواتح الرحموت بهامش المستصفی ج ۲ ص ۱۲ عن بعض من ذکر، و الدر المنثور ج ۳ ص ۲۰۷ و ۲۰۸ عن بعض من ذکر، و عن أبی الشیخ، و ابن مردویه و مشکل الآثار ج ۲ ص ۱۵۲ و البیان ص ۲۶۸ عن بعض من تقدم، و عن الضیاء فی المختاره، و منتخب کنز العمال بهامش مسند أحمد ج ۲ ص ۴۸ و راجع: بحوث فی تاریخ القرآن و علومه ص ۱۰۳ و مناهل العرفان ج ۱ ص ۳۴۷ و مباحث فی علوم القرآن ص ۱۴۲ عن بعض من تقدم، و تاریخ القرآن للصغیر ص ۹۲ عن أبی شامه فی المرشد الوجیز .. و جواهر الأخبار و الآثار بهامش البحر الزخار ج ۲ ص ۲۴۵ عن أبی داود و الترمذی و سنن أبی داود ج ۱ ص ۲۰۹ و السنن الکبری للبیهقی ج ۲ ص ۴۲ و أحکام القرآن للجصاص ج ۱ ص ۱۰ و مسند أحمد ج ۱ ص ۵۷ و ۶۹.

لبقاء هذه الآيات معلقه فی الهواء، فی حین أن عشرات السور تنزل علیه، ثم بعد عشرین سنه تنزل آیه أو أکثر، فیقول: ضعوها فی السوره الفلانیه فی الموضع الفلانی.

خامسا: ما هی خصوصیه الصنم الذی کان علی المروه حتی تطلب قریش من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یترکه؟! و لماذا لم تطلب منه أن یترک لها هبلا أو غیره مما هو بنظرها أهم و أعظم من سائر الأصنام؟!

صنم لکل قبیله، و حیّ، و بیت!!:

و قد صرحت الروایات: بأن ثلاث مائه و ستین صنما کانت موجوده فی المسجد الحرام، و بأنه کان لکل قبیله و لکل حی صنم، بل کان فی کل بیت صنم أیضا.

و قد نعی اللّه تعالی علی لسان یوسف (علیه السلام) علی المشرکین هذا الأمر بالذات، فقال: .. أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَیْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (۱).

و للعلامه الطباطبائی رحمه اللّه إشارات لطیفه فی معنی هذه الآیه، لا بأس بمراجعتها (۲).

و نکتفی هنا بالقول: بأن هناک أمورا ثلاثه وقع فیها أولئک الناس، لا یقبلها عقل، و لا ترضاها فطره، و هی:

۱- عباده غیر اللّه من مخلوقات اللّه تعالی العاقله، ممن لا یملک لنفسه نفعا و لا ضرا، مثل البشر، و الملائکه و الجن ..

۱- الآیه ۳۹ من سوره یوسف.

۲- المیزان (تفسیر) ج ۱۱ ص ۱۷۵- ۱۷۸.

۲- عباده الأحجار، و الأشجار، و سواها مما لا يعقل، و لا يبصر و لا يسمع، و لا يضر، و لا ينفع.

۳- التعدد و التفرق فی الأرباب. فإن تفرق الأرباب یعنی:

أولاـ إما اعتقادهم لجامعیه کل واحد منها لصفات الألوهیه غیر المحدوده و المطلقه فی کل شی ء .. فیصبح تعددها عبثا مع نشوء أسئله کثیره عن حالها لو تعارضت إراداتها فیما بینها فی جمیع أنحاء التصرفات، و أسئله عن وحده إدراکها للمصالح أو المفاسد، و عن شمول قدرتها علی التصرف بکل شی ء، حتی فی موارد تعلق إرادات الأرباب الأخری أیضا، بل هناک أسئله عن حالها، لو تعلقت إرادتها بإلغاء سائر الأرباب.

ثانیا: و إما اعتقاد إطلاق القدره و سائر صفات الألوهیه فی رب واحد، أو أرباب بعینها، و عدم صلاحیه ما عداه أو ما عداها، بسبب ما تعانیه- بنظره- من نقص و عجز، و جهل، و فقر، و ما إلی ذلک ..

و هذا یعنی: أن یکون لکل واحد رب یخصه، ثم هو ینکر ما عداه؛ فهو لا یعترف بأرباب سائر القبائل، و لا بالأرباب التی یعبدها سائر الناس فی بیوتهم، و أحیائهم، و بلادهم. و بذلک تصبح نفس تلک الأرباب سببا للضعف، و التفرّق، و التلاشی، و التمزق للوحده الإجتماعیه، و ماده للخلاف، و التناحر، و التباین، و التدابر فیما بین الناس.

کف حصی یرمی به الرسول صلّی اللّه علیه و آله:

و عن أخذ النبی (صلی اللّه علیه و آله) کفا من حصی، ثم رمیه له باتجاه الأصنام، و قراءته الآیه الشریفه نقول:

إن هذا الفعل يختزن التعبير عن رفض الباطل عملا، فضـلا عن القول، و قد كان رمى الجمرات فى منى يعطى معنى رفض الباطل عملا، فضـلا عن القول بالإضافه إلى دلالات أخرى لا مجال لشـرحها الآن، غير أن الناس استمروا على تداول هذه الطريقه للتعبير عن هذا المعنى فى مواقفهم الرافضه لأقوال أو أفعال بعينها ..

غير أن ما يميز هذه الواقعه هو:

أولا: أنها قد صدرت من نبى كريم، شأنه هدايه البشر إلى ما يرضى اللّه تبارك و تعالى.

ثانيا: إن رمى هذه الحصيات قد رافقه ظهور المعجزه، و هو أن تلك الأصنام قد خرت لوجهها.

ثالثا: إنه رمى يتجاوز مجرد إعلان الرفض و الإدانه إلى كونه إظهارا و تجسـيدا لانتصار الحق، و زهوق الباطل، بصوره حقيقيه، و واقعيه، و عمليه.

رابعا: إن هـذه الواقعه قد بينت مدى معاناه هذا النبى الكريم و العظيم (صـلى اللّه عليه و آله) مع قومه، الذين لم تنفع جميع تلك الآيـات و المعجزات فى ردعهم عن جحودهم، و عن تعمـد الإـفتراء و التجنى، و الإتهـام له بالسـحر، و الكهـانه، و الشـعر، و بغير ذلك مما هم على يقين من زيفه و بطلانه ..

كما أن كل ما عاينوه من ألطاف و تأييدات إلهيه لهذا النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله)، و انتصارات له تصل إلى حد الإعجاز لم يستطع أن يردعهم عن غيهم، و عن تعمد الباطل فى حقه.

فهم حـتى حين يرون بـأم أعينهم كيـف تتبخر آخر آمـالهم، و تتلاشـى حـتى أضـغاث أحلاـمهم، و يرون الكرامه تلو الكرامه، و المعجزه إثر

المعجزه، و يسقط من يدهم آخر حجر، و ينمحى عن صفحه الواقع العملى للشرك آخر أثر .. ما فتئوا يقولون: ما رأينا أسحر من محمد!!

فهل ترى قوما أسوأ رأيا و محضرا منهم؟! و هل هناك أصبر من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

على عليه السّلام يكسر أصنام الكعبه:

قال الصالحى الشامى: عن على (عليه السلام) قال: انطلق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى أتى بى الكعبه، فقال: (اجلس)، فجلست بجنب الكعبه، فصعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على منكبى، فقال:

(انهض)، فنهضت، فلما رأى ضعفى تحته قال: (اجلس)، فجلست.

ثم قال: (يا على، اصعد على منكبى)، ففعلت، فلما نهض بى خيّل إلى لو شئت نلت أفق السماء.

فصعدت فوق الكعبه، و تنحى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال:

(ألق صنمهم الأكبر)، (و فى نص آخر: لما ألقى الأصنام، لم يبق إلا صنم خزاعه) و كان من نحاس موتد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (عالجه)، و يقول لى: (إيه إيه) جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً.

فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه.

زاد فى سائر المصادر قوله:

حتى إذا استمكنت منه، قال لى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): اقذف به، فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير. ثم نزلت، فانطلقت أنا و رسول

اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نستبق حتی توارینا بالبیوت، خشیه أن یرانا أحد من الناس، أو من قریش (۱).

قال الحاکم: فما صعدت حتی الساعه (۲).

و قیل: إن هذا الصنم کان من قواریر صفر، و قیل: من نحاس (۳).

و فی نص آخر: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قال لعلی (علیه السلام): ارم به، فحمله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حتی صعد فرمی به فکسره،

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶ عن ابن أبی شیبه، و الحاکم، و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۶ و مناقب الإمام علی لابن المغازلی ص ۴۲۹ و التبصره لابن الجوزی ص ۴۴۲ و مناقب الأخیار ص ۳ و مسند أحمد ج ۱ ص ۸۴ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۵ و ج ۲ ص ۳۶۷ و تلخیص المستدرک بهامشه، و المصنف لابن أبی شیبه ج ۱۴ ص ۴۸۸ و نظم درر السمطین ص ۱۲۵ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۶ عن خصائص العشره للزمخشری و بدایع الأمثال ص ۱۴۸ و ینابیع الموده ص ۱۳۹ و ۴۲۰ و راجع: و تاریخ بغداد ج ۱۳ ص ۳۰۲ و المناقب للخوارزمی ص ۷۳ و خصائص الإمام علی (علیه السلام) للنسائی (ط التقدم بمصر) ص ۳۱ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۱۱۹ و تذکره الخواص ص ۳۱ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۴ و مفتاح النجا ص ۲۷ و ذخائر العقبی (ط مکتبه القدس) ص ۸۵ و منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۵ ص ۵۴ و فرائد السمطین، و تفریح الأحباب ص ۳۱۶ و بذل القوه للسندی الحنفی ص ۲۲۴ و کنز العمال (ط حیدرآباد) ج ۵ ص ۱۵۱ و غالیه المواعظ ج ۲ ص ۸۸.
۲- مستدرک الحاکم ج ۲ ص ۳۶۷ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۶ عن الطبرانی، و أحمد، و الترمذی، و الصالحانی، و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۶.
۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۶ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۶.

فجعل أهل مكه يتعجبون، و يقولون: ما رأينا أسحر من محمد (۱).

(ثم إن عليا (عليه السلام) أراد أن ينزل، فألقى نفسه من صوب الميزاب، تأدبا و شفقه على النبى (صلى اللّه عليه و آله).

و لما وقع على الأرض تبسم، فسأله النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن تبسمه.

فقال لأنى ألقيت نفسى من هذا المكان الرفيع، و ما أصابنى ألم.

قال: كيف يصيبك ألم و قد رفعك محمد، و أنزلك جبريل)؟! (۲).

و فى نص آخر: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان بمنزل خديجه، فدعا عليا (عليه السلام) فى إحدى الليالى، فذهبا إلى الكعبه فكسرا الأصنام، فلما أصبح أهل مكه قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ الخ .. (۳).

و فى نص آخر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: يا على، اصعد على منكبى، و اهدم الصنم.

فقال: يا رسول اللّه، بل اصعد أنت، فإنى أكرمك أن أعلوك.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): إنك لا تستطيع حمل ثقل النبوه، فاصعد أنت ..

إلى أن قال: ثم نهض به.

قال على (عليه السلام): فلما نهض بى، فصعدت فوق ظهر الكعبه

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶.
۲- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ عن الزرندى، و الصالحانى، و مناقب الإمام على لابن المغازلى ص ۲۰۲.
۳- إحقاق الحق (الملحقات) ج ۸ ص ۶۸۹.

الخ .. (۱).

و جاء فی نص آخر قوله (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام): لو أن ربیعه و مضر جهدوا أن یحملوا منی بضعه و أنا حی ما قدروا، و لکن قف یا علی، فضرب بیده إلی ساقیه، فرفعه حتی تبین بیاض إبطیه، ثم قال: ما تری یا علی؟

قال: أری أن اللّه قد شرفنی بک، حتی لو أردت أن أمس السماء لمسستها الخ .. (۲).

و فی نص آخر: قال علی (علیه السلام): أرانی کأن الحجب قد ارتفعت، و یخیل إلیّ أنی لو شئت لنلت أفق السماء.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): طوبی لک تعمل للحق، و طوبی لی أحمل للحق (۳).

علی علیه السّلام یکسر الأصنام:

و قال بعض الشـعراء، و قد نسب القندوزی الحنفی هذا الشعر إلی الإمام الشافعی، و نسبه عطاء اللّه بن فضل اللّه الحسینی الهروی فی الأربعین إلی حسان بن ثابت:

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۶.
۲- المنـاقب لابن المغازلی ص ۲۰۲ و المناقب المرتضویه ص ۱۸۸ و البحار ج ۳۸ ص ۸۶ و کشف الیقین ص ۴۴۷ و الطرائف ص ۸۰ و العمده لابن البطریق ص ۳۶۴ و ۳۶۵.
۳- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۶ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۱۸ ص ۱۶۲.

قیل لی قل فی علیّ مدحاذکره یخمد نارا مؤصده

قلت لا أقدم فی مدح امرئ ضل ذو اللب إلی أن عبده

و النبی المصطفی قال لناللیه المعراج لما صعده

وضع اللّه بظهری یده فأحسّ القلب أن قد برده

و علی واضع أقدامه فی محل وضع اللّه یده (۱)

و فی حدیث یزید بن قعنب عن فاطمه بنت أسد: أنها لما ولد علی (علیه السلام) فی جوف الکعبه، و ارادت أن تخرج به هتف بها هاتف: یا فاطمه سمیه علیا، فهو علی ..

إلی أن قال عن علی (علیه السلام): و هو الذی یکسر الأصنام، و هو الذی یؤذن فوق ظهر بیتی الخ .. (۲).

و فی بعض المصادر: أنه (علیه السلام) جمع الحطب، و أوقد نارا، ثم وضع قدمه علی عضد النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و صار یأخذ الأصنام عن جدار الکعبه، و یلقیها فی النار (۳).

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۷ و ینابیع الموده (ط إسلامبول) ص ۱۳۹ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۸ ص ۶۸۳ و ج ۱۸ ص ۱۶۳.

۲- إحقاق الحق (الملحقات) ج ۵ ص ۵۷ عن بشائر المصطفی، و عن تجهیز الجیش للدهلوی العظیم آبادی.

۳- أنیس الجلیس للسیوطی (ط سنه ۱۲۹۱ ه) ص ۱۴۸ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۱۸ ص ۱۶۷.

و نقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمه وقفات، و محاكمات هى التاليه:

تحطيم الأصنام قبل الهجره، و يوم الفتح:

و رد فى الروايه الأولى المتقدمه عن على (عليه السلام): أنه بعد أن ذكر تكسير الأصنام، قال:

و نزلت من فوق الكعبه، و انطلقت أنـا و النـبى (صـلى اللّه عليه و آله) نسـعى حتى تواريـنـا بـالبيوت، و خشـينا أن يرانـا أحـد من قريش، أو من الناس (۱).

قال الحلبى الشافعى: (و هذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكه، فليتأمل) (۲).

و نقول:

و هى ملاحظه صـحيحه، فإن هذه الروايه تتحدث عن تحطيم الأصنام قبل الهجره إلى المدينه، و أنه (صلى اللّه عليه و آله) انطلق إليها من منزل خديجه، كما فى بعض الروايات، و هذا معناه:

أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) و عليا (عليه السلام) قد حطما الأصنام مرتين:

الأولى: فى مكه، و بصوره سريه، كما فعل إبراهيم الخليل (عليه السلام) بأصنام قومه الذين قالوا: من فعل هذا بآلهتنا .. و كذلك قال المكيون، فاستحق على (عليه السلام) بذلك أن يقول فى حقه النبى (صلى اللّه عليه

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۶.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۶.

و آله): إنه أول من حطم الأصنام بعد إبراهيم الخليل (عليه السلام).

و الثانيه: في فتح مكه، أمام أعين مشركى مكه أنفسهم.

و لعل الرواه قد خلطوا بين الواقعتين .. و الأمر في ذلك سهل.

لماذا التعرض للأصنام سرا؟!

و يرد سؤال: لماذا يتعرض النبى (صلى اللّه عليه و آله) للأصنام سرا قبل الهجره؟ مع علمه بأن ذلك لا يرغم أهل مكه على تغيير موقفهم، بل قد يزيدهم ذلك إصرارا على غيهم، و على مناصره أصنامهم، و التشدد فى المحافظه عليها.

و يمكن أن يجاب: بأن المقصود: هو تقديم العبره لهم بصوره عمليه، و إقامه الحجه عليهم بها، ليحيا من حيى عن بينه، و يهلك من هلك عن بينه .. و لعله يكون من بينهم من يستفيق من سكرته، و يثوب إلى رشده، فيدرك عجز تلك الأصنام عن الدفاع عن نفسها، فكيف تتمكن من الدفع عن غيرها؟!

فما يدّعى لها من قدرات و آثار، ما هى إلا مزاعم ليس فقط لا تستند إلى برهان، بل لقد أثبت البرهان بوارها و بطلانها.

و هذا البرهان و الحجه ليس مجرد معادله ذهنيه، و افتراضات تجريديه، بل هو عمل جوارحى، و فعل مباشر يستهدف الأصنام نفسها .. و لا يستهدف غيرها، ليقال لعلها لم تنتصر له، لأنها كانت غاضبه عليه، فتركته نهبا للبلاء، و حجبت رعايتها له، و لطفها به.

و هذا هو نفس الدرس الذى أراد إبراهيم (عليه السلام) أن يلقنه

لقومه حين حطم أصنامهم.

و قد جاءت كلمه قوم إبراهيم (عليه السلام): (من فعل هذا بآلهتنا)؟

متوافقه مع قول أهل مكه .. و هى كلمه مهمه، لأنها تتضمن اعترافا بوجود من هو أقوى من هذه الآلهه، و إقرارا بعجزها عن منعه من إلحاق الأذى بها، و حاجتها إلى غيرها ليحميها منه.

و بما أن عمل هذا القوى قد كان بصوره سريه، فذلك يعنى: أنه يتجنب الاصطدام بالناس العاديين، و هذا يدل على: أن قدراته ليست ذاتيه و لا مطلقه، فهو إذن ليس من جنس الآلهه، لكى يلتمس لها بعض العذر فى عجزها عن مواجهته و ردعه.

على عليه السّلام ينوء بثقل النبوه:

تقدم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى طلب من على (عليه السلام) أن يجلس، ليصعد (صلى اللّه عليه و آله) على ظهره .. و إذ به (عليه السلام) ينوء بثقل النبوه ..

و هنا سؤلان:

أولهما: ألم يكن النبى (صلى اللّه عليه و آله) يعلم بأن للنبوه ثقلا- ينوء به على (عليه السلام)؟! فإن كان يعلم بذلك، فما هى الحكمه فى أن يطلب منه على (عليه السلام) أن يجلس أولا، ليصعد هو على ظهره؟!

ثانيهما: هل للنبوه ثقل؟! و ما هو نوعه، و حقيقته؟! و هل هو ثقل مادى كسائر الأثقال؟!

و نقول فی الجواب علی السؤال الأول:

إننا ننزه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عن أن ینسب إلیه عدم المعرفه بأن للنبوه ثقلا ینوء به علی (علیه السلام) .. و لذلک نرجح الروایات الأخری التی صرحت: بأن علیا (علیه السلام) آثر أن یصعد النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی ظهره، لأنه یجل النبی و یکرمه عن أن یصعد هو علی ظهره، فأخبره (صلی اللّه علیه و آله) بأن ثقل النبوه یمنع من ذلک.

غیر أن ذلک لا یمنعنا من أن نقول أیضا:

إن علیا (علیه السلام) کان یعلم بأن للنبوه ثقلا ینوء به مثله. و لعله أراد من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یصرّح بذلک، لیعلم الناس: أن صعوده علی ظهر النبی (صلی اللّه علیه و آله)، لا یتنافی مع إجلاله و تعظیمه له ..

أو لعله نظر إلی قانون البداء، الذی ربما یکون له تأثیره فی مثل هذا المورد، فی صوره حدوث أمر یقتضی إظهار معنی فی علی (علیه السلام)، أو فی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، أو فی سیاق آخر، فینشأ عنه تمکین علی (علیه السلام) من القیام بثقل النبوه، أو یقضی بتخفیف ذلک الثقل، بحیث یتمکن علی (علیه السلام) من النهوض به.

و أما بالنسبه للسؤال الثانی، فنقول:

إنه لیس بإمکاننا تحدید ماهیه هذا الثقل، غیر أننا نقول:

لا ریب فی أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) یرکب الراحله، و البغله، و الفرس، و غیرها، و لکنه یعلن: أنه لو اجتمعت ربیعه و مضر علی أن یحملوا بضعه منه و هو حی لما قدروا علی ذلک.

و هذا معناه: أن للنبوه فی مضمونها المعنوی خصوصیه تحتم التدخل

الإلهی فی قدره البشر، لتعجزهم عن حمل النبی (صلی اللّه علیه و آله)، لأن ذلک قد یثیر خطرات تسی ء إلی معنی النبوه، و نحن و إن ننزه علیا (علیه السلام) عن مثل هذه الخطرات، لأنه نفس النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی طهره و صفائه .. و لکننا لا نستطیع أن ننزه عنها غیر علی (علیه السلام) ممن رأوا ذلک و سمعوه.

هل خیّل إلی علی علیه السّلام؟!:

إن التخییل لعلی (علیه السلام) هو إراءته عین الواقع، فلا تخییل للإمام المعصوم خارج دائره إراءه الحقائق، فالتعبیر بکلمه (خیل إلیّ) إن کان یراد به الرفق ببعض ضعفاء النفوس، الذین قد لا یتمکنون من فهم الأمور بصوره معقوله و مقبوله، فهو مقبول .. و إن کان الأمر علی خلاف ذلک، فلا بد من الإعراض عن هذه الروایه و الأخذ بالروایات التی استبعدت کلمه (خیل إلیّ)، و ذکرت أنه لو أراد أن ینال السماء لنالها، و قد تقدمت.

و مما یشیر إلی أن القضیه حقیقیه، و لیست مجرد تخییل قول النبی (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام): (رفعک محمد، و أنزلک جبریل)، فإن من یکون هذا حاله، لو أراد أن ینال السماء لنالها، من دون شک و لا شبهه.

تعمل للحق، و أحمل للحق:

و حین قال النبی (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام): طوبی لک تعمل للحق، و طوبی لی أحمل للحق .. فإنه یکون قد أوضح لکل قریب و بعید: أن مباشره تحطیم الأصنام لم یکن عملا أملته روح التشفی

و الإنتقام، أو دعته إليه الرغبه فى جمع كل ثمرات الإنتصار، و الحرص على الإمساك بجميع خيوط المجد و الفخار ..

و إنما أملاه عليه واجب الدين و الحق، و الإخلاص للّه تعالى.

لماذا لم يباشر النبى صلّى اللّه عليه و آله تحطيم الأصنام؟!:

ثم إن ما يدعو إلى التأمل هنا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) تولى بنفسه مع أخيه على (عليه السلام) هذا العمل مع أنه كان من الممكن أن يوكل هذا الأمر إلى بعض من كان معه من المسلمين .. فلما ذا كان ذلك؟ و ما الحكمه فيه؟!.

و نقول:

لعل نفس مبادره نبى اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و وصيه (عليه السلام) إلى تحطيم مظاهر الشرك فى بيت اللّه تعالى، يقطع الطريق على أى تأويل أو اتهام لأحد فى أن يكون هو الذى بادر إلى تحطيم الأصنام، أو أنه بالغ و تجاوز الحد فى إجراء التوجيهات التى صدرت له من قبله (صلى اللّه عليه و آله) بشأنها ..

و قد يدّعى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يتخذ موقفا حادا منها، و إنما كان كل همه هو التسلط على مكه، و قهر قريش، و كسر عنفوانها. و لعله كان لا يمانع فى أن يعتقد الناس بأنها تقرب إلى اللّه زلفى.

أو لا يمانع فى اقتنائها للذكرى، أو لأى سبب آخر.

فجاءت مبادرته لتحطيمها بنفسه، لتدل على أن وجودها كله مبغوض للّه تبارك و تعالى، و لا يجوز الاحتفاظ بها تحت أى عنوان من العناوين.

لو نزع دلوا من زمزم:

و أما ما ينسب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) من أنه قال: لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب (على سقايتهم) لنزعت منها دلوا .. فهو غير ظاهر المعنى.

فأولا: إن مجرد أن ينزع النبى (صلى اللّه عليه و آله) دلوا من ماء لا يوجب نزع السقايه من بنى عبد المطلب، و لا أن تصبح الأمور على درجه الفلتان و التسيب، بحيث يغلبون على سقايتهم.

و يجاب عن ذلك: بما قاله بعض الإخوه من أنه يحتمل أن يتخذ المسلمون من عمل النبى (صلى اللّه عليه و آله) سنه، فينتزع من يشاء منهم دلوا منها، أو دلاء، فتذهب السقايه من أربابها.

ثانيا: قد يقال: لو أوجب نزع الدلو من زمزم ذلک لكان أخذ المفتاح من بنى شيبه- سواء أخذ بالقوه، أو بالحسنى- يوجب نزع حجابه البيت منهم ..

فإن كان (صلى اللّه عليه و آله) قد عالج ذلک بإعلانه أن الحجابه لبنى شيبه، و أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ المفتاح منهم .. فإنه يمكنه أن يعالج أمر زمزم بنفس الطريقه، فينزع دلوا من زمزم، ثم يعلن عدم جواز مزاحمه بنى عبد المطلب فى أمر السقايه ..

إلا أن يقال: إن ثمه فرقا بين الأمرين، فإن أخذه (صلى اللّه عليه و آله) لمفتاح الكعبه معناه: إرجاع أمر ولايه الكعبه إلى صاحبها الحقيقى، و الاعتراف بولايته على الكعبه معناه: الإعتراف بولايته على كل ما عداها.

لأنها تمثل محوريه لا مجال لإنكارها فى هذا الأمر. فاقتضت المصلحه أن

یتعامل مع بنی شیبه بهذه الطریقه.

و لیس الأمر فی السقایه من زمزم بهذه المثابه ..

و لأجل ذلک لم یکن من المصلحه أن یکتفی بالطلب إلی حامل المفتاح أن یفتحه له .. بل کانت المصلحه فی أخذ المفتاح منه، ثم یکون هو الذی یعطیه إیاه بنحو تکون شرعیه حجابته للکعبه مستنده إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) دون سواه.

علی أن فرقا آخر بین الحجابه و السقایه، و هو: أنه لا یمکن التعدی علی موضوع الحجابه، و لا مجال لغلبه الناس علیها، لأنها مرهونه بمفتاح الکعبه، الذی یکون لدی شخص بعینه، أما السقایه، فیمکن لکل أحد أن یستقی من بئر زمزم، فیمکن الغلبه علی الماء.

النداء بتکسیر الأصنام فی البیوت:

قالوا: و لم یکن رجل من قریش فی مکه إلا و فی بیته صنم، إذا دخل مسحه، و إذا خرج مسحه تبرکا به (۱).

و قالوا: و نادی منادی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بمکه: من کان یؤمن باللّه و الیوم الآخر فلا یدعن فی بیته صنما إلا کسره أو حرقه (۲).

قال: فجعل المسلمون یکسرون تلک الأصنام.

و کان عکرمه بن أبی جهل لا یسمع بصنم فی بیت من بیوت قریش إلا

۱- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۷۰ و ۸۷۱.

۲- الطبقات الکبری لابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۹۹ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۸ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۳ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۷۰ و ۸۷۱.

مشی إلیه حتی یکسره. و کان أبو تجراه یعملها فی الجاهلیه و یبیعها (۱).

عکرمه یکسر الأصنام:

و نقول:

إن مـا زعموه من أن عکرمه کـان یکسـر الأصـنام فی بیوت مکه یثیر لـدی البـاحث أکثر من سؤال حول ما إذا کان هـذا الرجل، الذی یزعمون أنه قاتل المسلمین یوم الفتح، و فر من المعرکه، مخلصا فی فعله هذا أو أنه یتزلف للمسلمین به، و یخطط للوصول إلی منافع و الحصول علی امتیازات یطمـح إلیها .. و هـذا هو الأقرب إلی الاعتبار، إذ کیف انقلب هذا المقاتل للدین و لأهله بین لحظه و أخری إلی ولی حمیم، و متحمس صارم و حازم إلی هذا الحد؟!

۱- راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۷۰ و ۸۷۱.

الفصل السابع: النبی صلّی اللّه علیه و آله فی داخل الکعبه

اشاره

مفتاح الكعبه مع النبی صلّی اللّه علیه و آله:

عن أبی هریره، و علقمه بن أبی وقاص اللیثی، و محمد بن عمر عن شیوخه، یزید بعضهم علی بعض، قال عبد اللّه: کان عثمان بن طلحه قد قدم علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالمدینه مسلما مع خالد بن الولید، و عمرو بن العاص قبل الفتح (۱).

فلما فرغ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من طوافه أرسل بلالا إلی عثمان بن طلحه یأتیه بمفتاح الکعبه، فجاء بلال إلی عثمان، فقال: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یأمرک أن تأتی بالمفتاح (۲).

فقال: نعم، هو عند أمی سلافه.

فرجع بلال إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فأخبره أنه قال: نعم، و أن المفتاح عند أمه.

فبعث إلیها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) رسولا فجاء، فقالت: لا،

۱- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۴ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶ عن الواقدی و ابن أبی شیبه.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶ عن الواقدی، و ابن أبی شیبه، و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۶.

و اللات و العزی، لا أدفعه إلیک أبدا.

فقال عثمان: یا رسول اللّه، أرسلنی أخلصه لک منها، فأرسله، فقال:

یا أمّه ادفعی إلیّ المفتاح، فإن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد أرسل إلیّ، و أمرنی أن آتیه به.

فقالت أمه: لا. و اللات و العزی، لا أدفعه إلیک أبدا.

فقال: لا لات و لا عزی، إنه قد جاء أمر غیر ما کنا علیه، و إنک إن لم تفعلی قتلت أنا و أخی، فأنت قتلتنا. فو اللّه لتدفعنّه، أو لیأتین غیری فیأخذه منک، فأدخلته فی حجزتها (۱)، و قالت: أی رجل یدخل یده ههنا؟ (۲).

و قالت له: أنشدک اللّه أن یکون ذهاب مأثره قومک علی یدیک (۳).

قال الزهری: فأبطأ عثمان و رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قائم ینتظره، حتی إنه لینحدر منه مثل الجمان من العرق، و یقول: (ما یحبسه فیسعی إلیه رجل) انتهی.

فبینما هما علی ذلک و هو یکلمها إذ سمعت صوت أبی بکر و عمر فی الدار، و عمر رافع صوته حین أبطأ عثمان: یا عثمان اخرج.

فقالت أمه: یا بنی خذ المفتاح، فإن تأخذه أنت أحب إلیّ من أن یأخذه تیم و عدی.

فأخذه عثمان، فخرج یمشی به حتی إذا کان قریبا من وجه رسول اللّه

۱- الحجزه: موضع شد الإزار من الوسط.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶ و ۲۳۷ عن الواقدی و ابن أبی شیبه، و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۸ و المغازی للواقدی ج ۳ ص ۸۳۳.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۸.

(صلی اللّه علیه و آله) عثر عثمان فسقط منه المفتاح، فقام رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی المفتاح فحنی علیه بثوبه (۱).

و عند الواقدی: أن عثمان جاء بالمفتاح إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فناوله إیاه (۲).

و عن ابن عمر: أن بنی أبی طلحه کانوا یقولون: لا (یستطیع أن) یفتح الکعبه إلا هم، فتناول رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) المفتاح، ففتح الکعبه بیده (۳).

مفتاح الکعبه أخذ قهرا:

و روی بسند جید عن أبی السفر، قال: لما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه دعا شیبه بن عثمان بالمفتاح- مفتاح الکعبه- فتلکأ، فقال لعمر: (قم فاذهب معه، فإن جاء به و إلا فاجلد رأسه).

فجاء به فأجاله فی حجره (۴).

و قال أبان: و حدّثنی بشیر النبال، عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) قال:

لما کان فتح مکه قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (عند من المفتاح)؟

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۷ عن عبد الرزاق و الطبرانی، و فی هامشه عن: أبی داود (۲۰۲۷)، و عن المطالب العالیه (۴۳۶۴). و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۸ و ۹۹ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۳.

۲- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۳.

۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۷ عن الفاکهی، و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۸.

۴- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۷ عن ابن أبی شیبه.

قالوا: عند أم شيبه.

فدعا شيبه، فقال: (اذهب إلى أمک، فقل لها: ترسل بالمفتاح).

فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا و ترید أن تأخذ منا مكرمتنا؟

فقال: لترسلنّ به أو لأقتلنک، فوضعته فی ید الغلام، فأخذه. و دعا عمر، فقال له: (هذا تأويل رؤیای من قبل).

ثم قام (صلى اللّه علیه و آله) ففتحه و ستره، فمن یومئذ یستر، ثم دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فیه المفتاح، و قال: رده إلى أمک (۱).

و فی نص آخر: أن رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) بعث علیا (علیه السلام) إلى عثمان بن طلحه، فأبى أن یدفع المفتاح إلیه، و قال: لو علمت أنه رسول اللّه (صلى اللّه علیه و آله) لم أمنعه منه، فصعد إلى السطح، فتبعه علیّ (علیه السلام) و لوى یده، و أخذ المفتاح منه قهرا، و فتح الباب (۲).

فلما نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. (۳). أمره (صلى اللّه علیه و آله) أن یدفع المفتاح إلیه، متلطفا به، (و یعتذر إلیه. و قال له: قل له: خذوها یا بنی طلحه بأمنه اللّه، فاعملوا فیها بالمعروف، خالده تالده الخ ..) (۴).

فجاء علی (علیه السلام) بالمفتاح متلطفا، فقال له: أكرهت و آذیت، ثم جئت ترفق؟!

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۳۲ عن إعلام الورى.

۲- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۷ و ۸۸ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۸.

۳- الآیه ۵۸ من سوره النساء.

۴- راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۸.

فقال (علیه السلام): لأن اللّه أمرنا بردها علیک.

فأسلم، فأقره النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی یده (۱).

و فی نص آخر: أنه بعد أن أخذ علی (علیه السلام) المفتاح قهرا، و دخل النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی الکعبه، فصلی رکعتین ثم خرج. سأله العباس أن یعطیه المفتاح، فنزلت الآیه: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها .. (۲).

و ستأتی روایات أخری حول نزول هـذه الآیه فی بنی شـیبه، و ذلک حین الحدیث عن إعطائهم حجابه البیت و مفتاح الکعبه، و ذلک بعد خطبه النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی باب الکعبه، فانتظر ..

إزاله الصور و التماثیل من داخل الکعبه:

روی: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) دخل البیت فی فتح مکه، و لم یدخله فی حج و لا عمره. و دخل وقت الظهر (۳).

و فی حدیث صفیه بنت شیبه: وجد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ عن مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۴۰۴ و ۴۰۵.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ عن مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۴۰۴ و ۴۰۵.

۳- راجع: البحـار ج ۲۱ ص ۱۳۶ و ۱۳۲ و ۱۳۳ و فی هوامشه عن تهـذیب الأحکام للطوسـی ج ۱ ص ۲۴۵ و عن المناقب لابن شهر آشوب، و إعلام الوری، و راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۳.

البیت حمامه من عیدان، فکسرها بیده، ثم طرحها (۱).

و فی حدیث جابر: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما دخل البیت رأی فیه تمثال إبراهیم، و إسماعیل، و إسحاق. و قد جعلوا فی ید إبراهیم الأزلام یستقسم بها، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قاتلهم اللّه، لقد علموا ما کان إبراهیم یستقسم بالأزلام).

ثم دعا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بزعفران فلطخه بتلک التماثیل (۲).

و رووا: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أمر عمر بن الخطاب- و هو بالبطحاء- أن یأتی الکعبه فیمحو کل صوره فیها، فلم یدخلها حتی محیت الصور، و کان عمر قد ترک صوره إبراهیم.

فلما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) رأی صوره إبراهیم (و عند الدیار بکری: رأی فیها صور الملائکه، و غیرهم، فرأی إبراهیم مصورا فی یده الأزلام یستقسم بها)، فقال: (یا عمر، ألم آمرک ألا تدع فیها صوره؟

قاتلهم اللّه، جعلوه شیخا یستقسم بالأزلام).

زاد الحلبی و غیره قوله: ما کانَ إِبْراهِیمُ یَهُودِیًّا وَ لا نَصْرانِیًّا وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً مُسْلِماً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۳)، ثم أمر بتلک الصور

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۹ عن ابن إسحاق، و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۷ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۹ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۷ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۶.
۳- الآیه ۶۷ من سوره آل عمران.

فطمست (۱).

ثم رأی صوره مریم، فقال: (امسحوا ما فیها من الصور، قاتل اللّه قوما یصورون ما لا یخلقون) (۲).

و حسب نص آخر: أنه (صلی اللّه علیه و آله) رأی الصور و هی صور الملائکه، و صور إبراهیم و إسماعیل فی أیدیهما الأزلام یستقسمان بها، أی و إسحاق، و بقیه الأنبیاء، و صوره مریم، فقال: (قاتل اللّه قوما یصورون ما لا یخلقون، قاتلهم اللّه، لقد علموا أنهما لم یستقسما بالأزلام قط) (۳).

و عن ابن عباس- رضی اللّه عنهما- و عن عکرمه: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما قدم مکه أبی أن یدخل البیت و فیه الآلهه، یعنی الأصنام، فأمر بها فأخرجت: صوره إبراهیم، و إسماعیل فی أیدیهما الأزلام، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قاتلهم اللّه لقد علموا أنهما لم یستقسما بها قط).

زاد ابن أبی شیبه: ثم أمر بثوب فبلّ و محا به صورهما (۴).

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۷ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۵.
۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۷ و ۲۳۸ عن أبی داود، و ابن سعد، و الواقدی، و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۶ و ۸۷ و راجع: قرب الإسناد ص ۶۱ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۱.
۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۷.
۴- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۸ عن البخاری و ابن أبی شیبه و فی هامشه عن: البخاری (۳۳۵۲) و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۶۵ و عن المصنف لابن أبی شیبه ج ۱۴ ص ۴۸۷ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۵ ص ۷۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۶ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۵۶.

و عن أسامه بن زيد: أنه (صلى اللّه عليه و آله) دعا بدلو من ماء فضرب به الصور (۱).

و فى نص آخر: أن الذى جاء بذنوب (۲) الماء هو الفضل بن العباس، و أنه جاء به من زمزم، فطمس به الصور (۳).

و عن ابن عمر: أن المسلمين تجردوا فى الأزر و أخذوا الدلاء، و انجروا على زمزم يغسلون الكعبه ظهرها و بطنها، فلم يدعوا أثرا من المشركين إلا محوه و غسلوه (۴).

و عن الواقدى قوله: أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان أن يقدما البيت، و قال لعمر: لا تدع صوره حتى تمحوها إلا صوره إبراهيم.

فلما دخل (صلى اللّه عليه و آله) و رآها قال: يا عمر، ألم آمرك ألا تدع فيها صوره إلا محوتها.

فقال عمر: كانت صوره إبراهيم.

قال: فامحها (۵).

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۷۰ عن مسند الطيالسى، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۷ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۴.

۲- الذنوب: الدلو الكبير.

۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۷۲ عن الأزرقى.

۴- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۷۲ عن ابن أبى شيبه.

۵- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۳۴ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۷ عن سبط بن الجوزى.

صلاه النبی صلّی اللّه علیه و آله داخل الکعبه و خارجها:

و رووا: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أقبل یوم الفتح من أعلی مکه، علی ناقته القصواء، و هو مردف أسامه، و معه بلال، و عثمان بن طلحه، حتی أناخ فی المسجد عند البیت، و قال لعثمان: ائتنی بالمفتاح.

فذهب إلی أمه، فأبت أن تعطیه إیاه.

فقال: لتعطینّه أو لأخرجن هذا السیف من صلبی. فلما رأت ذلک أعطته إیاه، فجاء به، ففتح عثمان له الباب، قالوا:

۱- فدخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و أسامه، و بلال، و عثمان بن طلحه.

و زاد بعضهم: الفضل بن عباس، و لم یدخلها أحد معهم، فاغلقوا علیهم الباب (۱).

۲- و لما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) الکعبه کبر فی زوایاها، و أرجائها، و حمد اللّه تعالی، و قد اختلفوا فی أمر صلاته فی الکعبه.

۱- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۸ و ۲۳۹ عن مصادر کثیره ذکرت الحدیث یزید بعضهم، أو ینقص و هم: البخاری، و مسلم، و مالک، و موسی بن عقبه، و النسائی، و أبی عوانه، و ابن ماجه، و أحمد، و الطبرانی، و ابن أبی شیبه، و الطحاوی، و ابن قانع، و الأزرقی، و أبی داود، و البزار، و الحاکم، و البهقی .. و فی هامشه عن البخاری فی المغازی ج ۷ ص ۶۱۱. و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۷ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۴ و ۸۳۵ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۷ و ۸۸.

و فی روایه: أنه (صلی اللّه علیه و آله) کبر فی نواحی البیت، و لم یصل (۱).

۳- و فی روایه أخری: أنه صلی رکعتین (۲).

۴- عن عبد الرحمن بن صفوان قال: لما فتح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه انطلقت فوافقت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خرج من الکعبه، و أصحابه قد استلموا البیت من الباب إلی الحطیم، و قد وضعوا

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۹ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۶ و ۸۹ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۷ عن الترمذی.

۲- راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۵ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۸۷ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۸ و ۸۹ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۹ و ۲۴۰ و ۲۴۱ و ذکر تفاصیل و اختلافات الرواه فی العدید من المصادر، و هی التی تقدمت فی الهامش السابق. و قد ذکر الصالحی الشامی: أن صلاه النبی (صلی اللّه علیه و آله) رکعتین داخل الکعبه قد ورد فی روایه یحیی بن سعید عند الشیخین. و فی روایه أبی نعیم الفضل بن دکین عند البخاری و النسائی، و روایه أبی عاصم الضحاک بن مخلد عند ابن خزیمه، و روایه عمر بن علی عند الإسماعیلی، و روایه عبد اللّه بن نمیر عند الإمام أحمد، کلهم عن سیف بن أبی سلیمان عن مجاهد عن ابن عمر: و تابع سیفا عن مجاهد خصیف عند الإمام أحمد، و تابع مجاهدا عن ابن عمر بن أبی ملیکه عند الإمام أحمد و النسائی، و عمرو بن دینار عند الإمام أحمد، و فی حدیث جابر: دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) البیت یوم الفتح، فصلی فیه رکعتین، و رواه الإمام أحمد برجال الصحیح، و الطبرانی عن عثمان بن طلحه. و رواه الإمام أحمد، و الأزرقی عن عبد اللّه بن الزبیر. و رواه الطبرانی بسند جید، و ابن قانع و أبو جعفر الطحاوی من طریقین عن عثمان.

خدودهم على البيت و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) وسطهم، فسألت من كان معه، فقلت: كيف صنع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين دخل الكعبه؟

قال: صلى ركعتين (۱).

۵- روى: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما خرج من البيت صلى ركعتين قبل الكعبه، و قال: هذه القبله (۲).

و عن السائب يزيد قال: حضرت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الفتح صلى فى قبل الكعبه، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره، ثم استفتح بسوره المؤمنين، فلما جاء ذكر موسى و عيسى أخذته سعله فركع (۳).

النبى صلّى اللّه عليه و آله لم يدخل الكعبه إلا يوم الفتح:

إن أول سؤال يواجهنا فى النصوص المتقدمه هو: ما السبب فى أنه

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۱ عن الطبرانى، و رجاله رجال الصحيح، و عن البزار، قال الصالحى الشامى و رواه أبو دادو، و الطحاوى عن عمر بن الخطاب. و البزار عن أبى هريره، و أنس بن مالك، و رواه الطبرانى.

۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۱ و ۲۷۱ و فى هامشه عن: البخارى ج ۱ ص ۶۸۸ (۵۰۴ و ۵۰۵) و مسلم ج ۲ ص ۹۶۶ (۳۸۸ و ۳۸۹/ ۱۳۲۹) (۳۹۰/ ۱۳۲۹) و مالك ج ۱ ص ۳۹۸ (۱۹۳) و عن مسند أحمد و مجمع الزوائد، و الطبرانى فى الكبير، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۵.

۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ و ۲۴۶ عن ابن أبى شيبه فى المصنف.

(صلی اللّه علیه و آله) لم یدخل الکعبه إلا فی یوم الفتح؟!

و یمکن أن یقال فی الجواب: إن الـدخول إلی الکعبه یوم الفتـح من شأنه أن یؤکد لقریش أن أمر الحرم لم یعد إلیها، بل هو قد عـاد إلی أهله رغمـا عن المعتـدین و الغـاصبین. و علی النـاس کلهم أن یلتزموا بمـا یرسـمه لهم من لا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی (۱) ..

فأولی الناس ببیت اللّه، هو نبیه المبعوث لتعلیم الأمه و هدایتها، و هو لم یجعل الدخول و الخروج من البیت شـغله الشاغل، بل إنه لم یـدخل إلیه إلا حین اسـتعاده من أیـدی الأرجاس، لیزیل عنه و منه رجسـهم، و مظاهر شـرکهم، و لیعیـده إلی ما کان علیه من الطهر، و النزاهه، و الخلوص ..

فإن علی الناس کلهم أن لا یتخذوا الدخول إلیه و الخروج منه سنه، أو عاده و طریقه .. و أن لا یجعلوا ذلک من موارد التنافس و التفاخر و التباهی، إذ المطلوب الأهم هو أن تحفظ قـداسه البیت، و یصان عزه، و تتأکد مکانته فی النفوس، و عظمته فی القلوب. و اعتیاد الدخول و الخروج إلیه ربما یکون مضرا بهذا الهدف.

إزاله الصور من داخل الکعبه:

إن ملاحظه الروایـات المتقـدمه التی تتحـدث عن إزاله الصور من داخل الکعبه تثیر علامات اسـتفهام کبیره حول حقیقه ما فعله عمر بن الخطاب فی أمر الصور فی داخل الکعبه، حین أمره النبی (صلی اللّه علیه

۱- الآیتان ۳ و ۴ من سوره النجم.

و آله) بمحوها.

فهل محاها حقا، أم أن الذى محاها هو أسامه، أم الفضل بن العباس؟!

و لو قبلنا: أن عمر قد امتثل أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) و محا الصور، فلما ذا ترك صوره إبراهيم (عليه السلام) و هو يستقسم بالأزلام؟!

و قد حاول الحلبى أن يرفع التنافى بين الروايات، فقال: إن عمر محا الصور كلها باستثناء صوره إبراهيم، و إسماعيل، و مريم و الملائكه (۱).

و أغرب من ذلك: أن نجد الزهرى ينسب إبقاء صوره إبراهيم إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفسه، فيقول: (لما دخل النبى (صلى اللّه عليه و آله) فرأى فيها صور الملائكه و غيرها، و رأى صوره إبراهيم (عليه السلام)، قال: قاتلهم اللّه، جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام.

ثم رأى صوره مريم، فوضع يده عليها، ثم قال: امسحوا ما فيها من الصور إلا صوره إبراهيم) (۲).

و السؤال هنا هو: إذا كان وجود الصور جائزا فما الحاجه إلى محوها؟

و إن كان حراما، فلما ذا ترك صوره إبراهيم (عليه السلام)؟!

و إن كان لا مانع من بقاء الصور لكنه لاحظ عنوانا ثانويا، و هو أنه يخشى من أن تدخل فى اعتقادات الناس، و ينتهى الأمر بهم إلى نوع من الشرك فى العباده، فذلك المحذور موجود من خلال إبقائه صوره إبراهيم (عليه السلام) أيضا.

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۷.

۲- المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۴.

و سؤال آخر، و هو: کیف أبقی صوره إبراهیم (علیه السلام) و هو یستقسم بالأزلام؟ مع أن ذلک أمر مکذوب علی إبراهیم (علیه السلام)؟! و إذا کان قد أزال من الصوره الأشکال التی تشیر إلی الإستقسام، فلما ذا لم یذکر لنا ذلک فی التاریخ و الروایه؟!

و ثمه سؤال آخر أیضا، و هو: لماذا لم تبق صوره إبراهیم (علیه السلام) بعد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟ و من الذی أزالها من الکعبه؟! و لماذا لم یعترض المسلمون و علماء الأمه علی من أبطل و أزال أمرا أبقاه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟!

و أما الجمع بین الروایات الذی قرره الحلبی، فهو لا ینفع شیئا، بعد أن کان أصل إبقاء الصور ممنوعا ..

علی أن إزاله صور الأشخاص، و الملائکه، و غیرهم من ذوی الأرواح أولی من إزاله غیرها، لأن الناس یفتنون بصور الناس و الملائکه أکثر من فتنتهم بصور الأشجار، و الأبنیه، و الأوانی و نحوها.

علی أن مفتاح الکعبه قد کان مع بنی شیبه، و النبی (صلی اللّه علیه و آله) هو الذی أخذه، ففتحها و دخل، فما معنی قولهم: إنه أرسل عمر بن الخطاب لیمحو الصور من داخل الکعبه؟! فهل کان مع عمر مفتاح خاص به؟! أم أن بنی شیبه هم الذین فتحوا باب الکعبه؟!.

إلا أن یقال: إن المراد: أن عمر قد دخل معه (صلی اللّه علیه و آله) إلی الکعبه فوکله بمحو تلک الصور، فمحاها و ترک صوره إبراهیم (علیه السلام).

و لكننا نقول:

إن هذا كلام غير صحيح، فقد ذكروا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين قد اشتغلوا بمحو الصور بواسطه الماء الذى كانوا يأتون به من زمزم ..

يضاف إلى ذلك: أنهم ذكروا أسماء الذين دخلوا مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى الكعبه، و ليس فيهم عمر بن الخطاب .. فما معنى حشر اسمه فى هذا المورد؟! إلا أن يكون الهدف هو ذر الرماد فى العيون، و نسبه فضيله إليه ليس له فيها نصيب.

التكبير فى زوايا الكعبه:

و التكبير فى زوايا الكعبه هو المناسب لموقعيه الكعبه، و شأنها، و مقامها، و هو المنسجم مع الوظيفه التى تؤديها، و الدلالات التى تتكفل بها، فهى رمز التوحيد، و مثال حى لتعظيم اللّه تبارك و تعالى، و هى أهم موقع لتنزيهه عن الأنداد و الشركاء، فكيف إذا كانت قد تعرضت للإهانه و للتدنيس بوضع الأصنام فيها، و رسم صور الأنبياء على جدرانها، و هم يستقسمون بالأزلام؟! افتراء من أولئك الكفره على أقدس الناس فى أقدس مكان، و أفضل بقعه على وجه الأرض.

صلاه النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبه:

إن الروايات المتقدمه: متناقضه فيما بينها، فقد دلت طائفه منها على أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد صلى فى داخل الكعبه ركعتين، و فى بعضها:

أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يصل فيها.

كما أن هناك اختلافات فى نفس دخول النبى (صلى اللّه عليه و آله) إليها، فقد زعموا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) دخل الكعبه بعد هجرته أربع مرات: يوم الفتح، يوم ثانى الفتح، و فى حجه الوداع، و فى عمره القضاء.

و فى كل هذه الدخلات خلاف، إلا الدخول الذى كان يوم فتح مكه (۱).

و قالوا: إن سبب الاختلاف فى صلاته داخل الكعبه هو: تعدد دخوله إليها، حيث صلى فى بعضها، و لم يصل فى بعضها الآخر (۲).

و نقول:

لكن ظاهر النصوص هو: أنها تتحدث عن الدخول الأول إلى الكعبه الشريفه، و هو الذى كان محط أنظار الرواه، و نقله الأخبار.

و حول الصلاه فى داخل الكعبه نقول:

إنهم يقولون: أن المراد بالصلاه هو الدعاء (۳).

و الجواب: أن التعبير: بأنه صلى ركعتين، فى الروايه التى تقول عن بلال: (ذهب عنى أن أسأله كم صلى) تكذب هذا الإحتمال (۴).

ثم إننا نقول:

إن هذه الإختلافات، خصوصا إذا كانت فى أمور التشريع، تحتاج إلى حسم الأمور فيها بصوره تقطع العذر، و تزيل الشبهه. و لا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى أئمه الهدى و مصابيح الدجى، فقد روى الشيخ (رحمه اللّه) عن

۱- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۸۷.

۳- المصدر السابق.

۴- المصدر السابق.

الطاطری، عن محمد بن أبی حمزه، عن معاویه بن عمار، عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) قال:

(سمعته یقول: لا تصلّ المکتوبه فی جوف الکعبه، فإن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لم یدخلها فی حج و لا عمره، و لکن دخلها فی فتح مکه، فصلی فیها رکعتین بین العمودین، و معه أسامه) (۱).

سؤال .. و جوابه:

قد یقال: إذا کان (صلی اللّه علیه و آله) قد دخل الکعبه یوم عمره القضاء، فماذا کان موقفه من الأصنام التی کانت بداخلها؟! هل أزالها؟! أم ترکها؟! و هل یجوز له ترک الأصنام فی الکعبه؟!

و یمکن أن یجاب: بأن المفروض: هو أن لا یتعرض لها فی عمره القضاء، کما لم یتعرض للأصنام التی کانت فی المسجد، و علی الکعبه، لأن أی تعرض لها لابد من أن یعتبره المشرکون نقضا للعهد. و سیعطی المبرر لقریش للتشنیع علیه، و إسقاط مصداقیته بین الناس. فلا بد من أن تترک الأمور إلی الوقت المناسب، و حیث لا یبقی لقریش أی ذریعه.

أبو بکر و عمر لم یدخلا الکعبه:

و قد صرحت الروایات بأسماء الذین دخلوا الکعبه، و أسماء الذین

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۳۶ و ۱۳۲ و ۱۳۳ عن تهذیب الأحکام للطوسی ج ۱ ص ۲۴۵ و عن إعلام الوری، و عن المناقب لابن شهر آشوب. و راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۳.

حطموا الأصنام على ظهر الكعبه، و فى المسجد الحرام، و لم نجد لأبى بكر و لا لعمر ذكرا، لا مع هؤلاء، و لا مع أولئك. فأين كان هذان الرجلان فى هذه اللحظات الحساسه؟!

و ما الذى منعهما من المشاركه فى هذا الأمر الجليل؟! هل كانا لا يرغبان فى خدش مشاعر قومهما فى هذه اللحظات الحرجه بالذات؟! أم أنهما كانا يؤديان واجبا آخر؟!

إننا لو سألنا عن على بن أبى طالب لقيل لنا: إنه كان يلاحق المشركين الذين أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمهم، لينفذ فيهم حكم اللّه تعالى، و قد تمكن من قتل بعضهم ممتثلا بذلك أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. و هو لم يرع فيهم أخته أم هانى ..

أو يقال لنا: إنه حامل رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قائد جيوشه، فالمفروض أن يكون منشغلا بتدبير أمر ذلك الجيش العرمرم.

أو يقال لنا: إنه كان مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قد أصعده (صلى اللّه عليه و آله) على كتفيه إلى ظهر الكعبه ليحطم الأصنام عليها، و قد فعل ذلك ..

و لكن لو سألنا عن أبى بكر و عمر أين هما؟ فما هو الجواب الذى يمكن أن نتوقعه منهما، و عنهما؟!

و لماذا غابا عن الأنظار فى هذه اللحظات الحرجه بالذات؟! أم تراهما قد ذهبا لتفقد الأهل و العشيره، و المنازل و الرباع؟!

أو أنهما يتجاذبان أطراف الحديث مع الخلان و الإخوان؟!

لا ندرى!!

فإن التاریخ لم یفصح لنا عن شی ء فی هذا المجال .. إما خیانه منه!! أو عجزا، و فشلا!! و کلاهما غیر مرضیّ له، و لا مقبول منه.

لا نرید الحدیث عن التناقضات:

و قد أشرنا فی مناسبات عدیده: إلی أن التناقض فیما بین الروایات یدل علی أن واحده منها هی الصحیحه فی مورد الإختلاف، و یحکم علی سائرها بالخطأ أو الکذب فی نفس ذلک المورد.

مع احتمال: أن یکون الجمیع مکذوبا، أو مخطئا، و الصحیح شی ء آخر.

و لکن الحکم علی مورد الإختلاف بالخطأ، أو الکذب، کلا أو بعضا لا یعنی أن سائر الفقرات کذلک، لجواز أن تکون صحیحه أیضا.

أی أن سقوط فقره من الروایه عن الحجیه، لا یعنی سقوط سائر فقراتها عنها ..

و لأجل وضوح هذا الأمر، و تکرر ذکرنا له فی الموارد المختلفه، آثرنا أن نعتمد من الآن فصاعدا علی وعی القارئ لهذه الحقیقه، و نکل إلیه أمر رصد تلک التناقضات و الإختلافات، ثم التعامل معها بصوره صحیحه و واقعیه.

هذا تأویل رؤیای:

تحدثنا فی جزء سابق: عن أن النبی (صلی اللّه علیه و آله)- کما ورد فی القرآن الکریم- کان فی عام الحدیبیه قد أخبر أصحابه بأنه رأی رؤیا مفادها: أن المسلمین یدخلون المسجد الحرام آمنین محلقین .. ثم سار بهم نحو مکه، فصدهم المشرکون فی ذلک العام، و کان عهد الحدیبیه، فثارت

ثائره کثیر من أصحابه (صلی اللّه علیه و آله)، و کان أشدهم عمر بن الخطاب.

ثم کانت عمره القضاء التی دخل المسلمون فیها إلی المسجد الحرام محلقین، قال تعالی: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْیا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِینَ مُحَلِّقِینَ رُؤُسَکُمْ وَ مُقَصِّرِینَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِکَ فَتْحاً قَرِیباً (۱)

و لعل المسلمین قد اعتبروا ما جری فی عمره القضاء هو تأویل تلک الرؤیا (۲).

و لکن الروایه المتقدمه عن الإمام الصادق (علیه السلام) تقول: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) حین تسلم مفتاح الکعبه فی فتح مکه، دعا عمر بن الخطاب، و قال له: (هذا تأویل رؤیای).

فاللافت هنا:

أولا:

دعوته (صلی اللّه علیه و آله) خصوص عمر بن الخطاب، دون کل من عداه، لیسمعه هذا القول .. مما یعنی: أن عمر بن الخطاب کان لا یزال یشکک فی صدق رؤیا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، مع أن رؤیاه (صلی اللّه علیه و آله) من الوحی.

ثانیا: إن الأمن الحقیقی فی مکه قد حصل یوم الفتح، و بلغ ذروته حین

۱- الآیه ۲۷ من سوره الفتح.

۲- الدر المنثور ج ۶ ص ۸۰ و ۸۱ عن ابن مردویه، و ابن جریر، و عن ابن أبی شیبه.

تسلم (صلی اللّه علیه و آله) مفتاح الکعبه، الذی یشیر إلی انتهاء کل شی ء و استسلام عتاه المشرکین، و قریش بالذات.

ثم جاءت حجه الوداع فدخل المسلمون إلی مکه آمنین أمنا حقیقیا، لا شبهه فیه، و کانوا محلقین رؤوسهم و مقصرین.

عثمان بن طلحه فی فتح مکه:

تقدم أنهم زعموا: أن عثمان بن طلحه أسلم بالمدینه مع خالد بن الولید، و عمرو بن العاص، و بقی فیها إلی أن جاء مع النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی مکه یوم الفتح (۱).

و لکن الروایات المتقدمه قد تناقضت فی بیانها لموقف عثمان بن طلحه، حتی لقد نسب إلیه بعضها: أنه رفض تسلیم المفتاح، و قال: لو أعلم أنه رسول اللّه لم أمنعه.

فإن کان حقا قد أسلم قبل ذلک، فهذا ارتداد صریح کما قاله ابن ظفر فی ینبوع الحیاه (۲).

علی أن بعض الروایات المتقدمه قد صرحت: بأنه إنما أسلم حین أرجع علی (علیه السلام) المفتاح إلیه برفق.

و لعل ملاحظه الروایات المتقدمه و سواها تعطی: أن ثمه خلطا بین عثمان بن طلحه، و بین شیبه بن طلحه، فلعل المفتاح کان عند شیبه أولا، فرفض إعطاءه للنبی (صلی اللّه علیه و آله)، ثم أودعه عند أمه سلافه، ثم

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۸ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۸ و ۱۰۰.

۲- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۷.

أرسل النبی (صلی اللّه علیه و آله) عثمان بن طلحه فأخذه منها، بعد أن جری معها له ما جری.

و سیأتی قولهم: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد أعطی المفتاح إلی عثمان ..

و یصرح البعض: بأن عثمان دفعه إلی أخیه شیبه، فهی فی ولده إلی الیوم (۱).

آیه: أداء الأمانات إلی أهلها:

و قد زعمت بعض الروایات المتقدمه: أنه لما نزل قوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها .. (۲) أرسل (صلی اللّه علیه و آله) المفتاح إلیهم مع علی (علیه السلام)، و أمره أن یدفعه إلی عثمان بن طلحه متلطفا، فأخذه منه، و أسلم ..

و سیأتی بعد إیراد خطبه النبی (صلی اللّه علیه و آله) الشهیره علی باب الکعبه، بیان بعض ما فیها من إشارات و دلالات ترتبط بجعل حجابه البیت و إعطاء المفتاح لبنی شیبه، و سنتحدث إن شاء اللّه عن شأن نزول هذه الآیه أیضا هناک، فانتظر.

لمن هذا التهدید؟!:

إن قوله فی روایه بشر النبال عن الإمام الصادق (علیه السلام): لترسلن

۱- شرح بهجه المحافل للأشخر الیمنی ج ۱ ص ۴۰۹ عن ابن کثیر.

۲- الآیه ۵۸ من سوره النساء.

به (یعنی المفتاح) أو لأقتلنک، إن کان من کلام النبی (صلی اللّه علیه و آله) یهدد به شیبه، فلا بد من الإجابه علی سؤال:

ما معنی هذا التهدید من النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) لعثمان بالقتل فی حین أن أمه هی التی امتنعت عن تسلیم مفتاح الکعبه إلیه، و قد قال اللّه تعالی: وَ لا تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری؟.

و قد یجاب عن ذلک: بأن من الممکن أن یکون المفتاح بید شیبه، ثم أودعه عند أمه، فی محاوله منه للضغط الهادف إلی الإحتفاظ بهذه المکرمه، فیصح تهدیده، باعتبار أنه هو المسؤول عن أمر المفتاح.

و لکن هذا الجواب إنما یصح لو أن شیبه الذی کان لا یزال علی شرکه هو صاحب المفتاح، أما إن کان صاحبه و المسؤول عنه هو أخوه عثمان الذی کان قد أسلم قبل ذلک التاریخ، فلا یصح تهدیده بالقتل إلا إذا کان امتناعه عن تسلیم المفتاح قد بلغ حد التمرد علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و الإرتداد عن الدین.

و إن کانت عباره التهدید المتقدمه قد صدرت عن شیبه أو عثمان نفسه، فی مواجهه أمه سلافه .. فلا یرد إلا إشکال من ناحیه عصیان أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، بل یصبح الإشکال أخلاقیا، کما هو ظاهر.

غیر أننا نرجح: أن الروایه: تتحدث عن تهدید صادر من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی ولدها .. کما هو ظاهر سیاق الکلام.

و یؤیده: أن روایه أخری- تقدمت أیضا- قد ذکرت: أن عثمان بن طلحه قد قال لأمه: (إن لم تفعلی قتلت أنا و أخی؛ فأنت قتلتنا).

کما أننا نرجح: أن یکون علی (علیه السلام) هو الذی أخذ المفتاح من

عثمان بن طلحه بالقوه و القهر، و أن حـديث إسـلام عثمان هـذا قبل ذلك فی المـدينه، مع عمرو بن العاص، و خالـد بن الوليد، موهون فی أکثر من جهه و سبب حسبما أوضحناه فی موضعه، و لتکن هذه الروايات الداله علی تمرده علی رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) من دلائل و هن هذه المزاعم ..

الفصل الثامن: الخطبه الأولی فی مکه

اشاره

خطبه الرسول صلّی اللّه علیه و آله فی مکه:

لقد خطب النبی (صلی اللّه علیه و آله) خطبه هامه بمجرد خروجه من الکعبه أعزها اللّه تعالی، فقد روی عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال:

(فتح باب الکعبه، فأمر بصور فی الکعبه فطمست، ثم أخذ بعضادتی الباب، فقال: الخ ..) (۱).

و زعموا: أن خالد بن الولید فی هذه الحال کان علی باب الکعبه یذب عنه (صلی اللّه علیه و آله) الناس (۲).

و قالوا: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما خرج من البیت استکفّ له الناس، و أشرف علی الناس حول الکعبه و هم جلوس، فقام علی بابه فقال:

(لا إله إلا اللّه وحده لا شریک له، صدق وعده).

و فی نص آخر أنه قال: (الحمد للّه الذی صدق وعده). ثم اتفقوا (و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، یا معشر قریش ما ذا تقولون؟ ماذا

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۳۵ عن الکافی ج ۱ ص ۲۲۷.
۲- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۹ عن تاریخ مکه للأزرقی.

تظنون (أنی فاعل بکم؟

فقال سهیل بن عمرو:)؟ (۱).

قالوا: نقول خیرا، و نظن خیرا. نبی کریم، و أخ کریم، و ابن أخ کریم، و قد قدرت.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (فإنی أقول کما قال أخی یوسف: لاٰ تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ یَغْفِرُ اللّٰهُ لَکُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرّٰاحِمِینَ (۲).

إذهبوا فأنتم الطلقاء).

فخرجوا کأنما نشروا من القبور، فدخلوا فی الإسلام.

ثم قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (ألا إن کل ربا فی الجاهلیه أو دم أو مأثره أو مال یدّعی فهو تحت قدمی هاتین، و أول دم أضعه دم ربیعه بن الحارث، إلا سدانه البیت، و سقایه الحاج (فإنهما مردودتان إلی أهلیهما).

ألا و فی قتیل العصا و السوط و الخطأ شبه العمد الدیه مغلظه، مائه ناقه، منها أربعون فی بطونها أولادها.

ألا و إن اللّه تعالی قد أذهب عنکم نخوه الجاهلیه، و تکبرها بآبائها، کلکم لآدم و آدم من تراب) (۳).

ثم تلا هذه الآیه: یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ إِنّٰا خَلَقْنٰاکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثیٰ وَ جَعَلْنٰاکُمْ شُعُوباً وَ قَبٰائِلَ لِتَعٰارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقٰاکُمْ إِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ

۱- هذه الفقره فی: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۲ عن إعلام الوری.

۲- الآیه ۹۲ من سوره یوسف.

۳- راجع: دلائل النبوه للبیهقی ج ۹ ص ۱۱۸.

خَبِيرٌ (۱).

(يا أيها الناس!! الناس رجلان، فبر تقى كريم، و كافر شقى هين على اللّه.

ألا- إن اللّه تعالى حرم مكه يوم خلق السماوات و الأرض، و وضع هذين الأخشبين، فهى حرام بحرام اللّه، لم تحل لأحد كان قبلى، و لن تحل لأحد كائن بعدى، لم تحل لى إلّا ساعه من نهار- يقصرها (صلى اللّه عليه و آله) بيده هكذا- و لا ينفر صيدها، و لا يعضد عضاهها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد، و لا يختلى خلاها).

فقال العباس، و كان شيخا مجربا: إلا الإذخر يا رسول اللّه، فإنه لا بد لنا منه للقين، و ظهور البيوت.

فسكت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ساعه ثم قال: (إلا الإذخر فإنه حلال.

و لا وصيه لوارث، و إن الولد للفراش و للعاهر الحجر، و لا يحل لامرأه أن تعطى من مال زوجها إلا بإذن زوجها، و المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوه، و المسلمون يد واحده على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، و هم يردّ عليهم أقصاهم، و يعقل عليهم أدناهم، و مشدّهم على مضعفهم، و مثريهم على قاعدهم، و لا يقتل مسلم بكافر، و لا ذو عهد فى عهده، و لا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، و لا جلب و لا جنب.

و لا تؤخذ صدقات المسلمين إلا فى بيوتهم و بأفنيتهم، و لا تنكح المرأه

۱- الآيه ۱۳ من سوره الحجرات.

على عمتهـا و لا على خالتها. و البينه على من ادّعى، و اليمين على من أنكر، و لا تسافر امرأه مسـيره ثلاث إلا مع ذى محرم، و لا صلاه بعد العصـر، و بعد الصبح، و أنهاكم عن صيام يومين: يوم الأضحى، و يوم الفطر، و عن لبستين ألا يحتبى أحدكم فى ثوب واحد يفضى بعورته إلى السماء، و ألا يشتمل الصماء).

فقام رجل فقال: يا رسول اللّه، إنى قد عاهرت فى الجاهليه.

فقال: (من عاهر بامرأه لا يملكها، أو أمه قوم آخرين لا يملكها، ثم ادّعى ولـده بعد ذلك فإنه لا يجوز له، و لا يرث و لا يورث، و لا إخالكم إلا قد عرفتموها.

يا معشر المسلمين كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر من ضحوه نهار الفتح إلى صلاه العصر منه).

فخبطوهم ساعه، و هى الساعه التى أحلت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لم تحل لأحد قبله.

ثم قال لهم: (كفوا السلاح).

فقام أبو شاه، فقال: اكتب لى يا رسول اللّه.

فقال: (اكتبوا لأبى شاه).

أقول قولى هذا و أستغفر اللّه لى و لكم) (۱).ک.

۱- سبل الهـدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۲ و ۲۴۳، و قـال: أخرجه البخارى (۲۴۳۴)، و مسـلم فى الحج (۴۴۷، ۴۴۸)، و أبـو داود (۲۰۱۷) (۳۶۴۹، ۴۵۰۵) و الترمذى (۲۶۶۷) و أحمد ۲/ ۲۳۸ و البيهقى ۸/ ۵۲ و الدار قطنى ۳/ ۹۷. و ذكر الصالحى الشامى: أن رواه الخطبه المشـار إليهـا هم: الإمام أحمـد، و أبو داود، و النسائى، و ابن ماجه عن عبـد اللّه بن عمر بن الخطاب، و البخارى فى صحيحه عن مجاهد. و ابن أبى شـيبه .. و ابن إسـحاق عن صـفيه بنت شـيبه، و البيهقى عن عبد اللّه بن عمر، و ابن أبى شيبه عن عبد اللّه بن عبيده.و واضح: أن نصوص الخطبه تتفاوت، من حيث الإختصار و التطويل، و التقديم، و التأخير، و اختلافات أخرى. و كيف كان فهى موجوده فى المصادر التاليه: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۹۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۲ و ۱۳۵ و ۱۳۶ و ۱۰۵ و ۱۰۶ و الكافى ج ۳ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ و ۳۲۸ و عن صـحيح مسلم ج ۲ ص ۹۸۸ و ۹۸۹ و عن صـحيح البخارى ج ۱ ص ۳۹ و ج ۳ ص ۱۶۵ و ج ۴ ص ۱۲۷ و ج ۵ ص ۱۹۴ و ج ۹ ص ۶ و ۱۷ و مجمع البيان ج ۱ ص ۲۰۶ و ج ۱۰ ص ۵۵۷ عن إعلام الورى، و سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۱۲ و ج ۳ ص ۳۱۹ و ج ۴ ص ۱۷۲ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۳۹ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۵۹ و ج ۲ ص ۲۳۸ و مقدمه ابن الصلاح ص ۱۷۰ و معالم السنن ج ۴ ص ۱۸۴ و جامع بيان العلم ج ۲ ص ۸۴ و تدريب الراوى ج ۲ ص ۶۶ و السـنه قبل التـدوين ص ۳۰۵ عن فتـح البارى ج ۱ ص ۱۸۳ و ۱۸۴ و ۲۱۷ و ج ۵ ص ۶۳ و ج ۱۲ ص ۱۸۱- ۱۸۳ و التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۲۴۹ و معادن الجواهر ج ۱ ص ۱۰ و المحدث الفاصل ص ۳۶۳ و ۳۶۴ و إرشاد السارى ج ۱ ص ۱۶۸

و عمده القاری ج ۱ ص ۵۶۷ و ج ۲ ص ۱۶۳ و ج ۱۲ ص ۲۷۵ و ج ۲۴ ص ۴۲ و أسد الغابه ج ۲ ص ۳۸۴ و ج ۵ ص ۲۲۴ و تیسیر الوصول ج ۳ ص ۱۷۶ و صحائف الصحابه ص ۳۱ و الفقیه و المتفقه ج ۱ ص ۹۱ و سنن الدار قطنی ج ۳ ص ۹۷ و تدوین السنه ص ۸۸ و عن المصنف لابن أبی شیبه ج ۱۴ ص ۴۹۵ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۴ و ۸۵ و ۹۰ و تهذیب الآثار ج ۱ ص ۲۵۵ و رسالات نبویه ص ۵۳ و الدر المنثور ج ۱ ص ۱۲۲ و فتوح البلدان للبلاذری ص ۵۷ و معجم البلدان ج ۵ ص ۱۸۳ و سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۱۰۳۸ و الطبقات الکبری لابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۹۹ و السنن الکبری للبیهقی ج ۸ ص ۵۲ و الإصابه ج ۲ ص ۱۳۵ و ج ۴ ص ۱۰ و الکفایه للخطیب ص ۵۳ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۵۰ و أحکام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۳۰۶ و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۷ ص ۲۸۱ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۶۶ و ۱۸۵ و ۲۰۳ و الإستیعاب ج ۴ ص ۱۰۶ و التاج الجامع للأصول ج ۲ ص ۱۷۲ و الفتح الربانی ج ۲۳ ص ۲۴۱ و ۲۴۲ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۳۰۴ و مدینه البلاغه ج ۱ ص ۷۲ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۳۵ و ۸۳۶ و ۸۳۷ و جامع أحادیث الشیعه ج ۱۰ ص ۱۰۲ و الجامع لأحکام القرآن ج ۲ ص ۱۱۸ و شرح المواهب اللدنیه للزرقانی ج ۲ ص ۳۲۷ و غیر ذلک.

و فی نص آخر أنه قال: إن اللّه تبارک و تعالی حبس عن مکه الفیل، و سلط علیها رسوله و المؤمنین، و إنها لا تحل لأحد کان قبلی، و إنما أحلت لی ساعه من نهار، و إنها لا تحل لأحد بعدی .. فقام أبو شاه رجل من الیمن الخ .. (۱).

نص آخر للخطبه:

و ذکر الشیخ الطبرسی (رحمه اللّه) نصا آخر للخطبه، و هو التالی: لما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه دخل صنادید قریش الکعبه، و هم یظنون أن السیف لا یرفع عنهم، فأتی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و وقف قائما علی باب الکعبه، فقال:

(لا إله إلا اللّه وحده، أنجز وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده،

ألا إن کل مال و مأثره و دم یدّعی تحت قدمی هاتین، إلا سدانه الکعبه،

۱- تقیید العلم ص ۸۶.

و سقایه الحاج، فإنهما مردودتان إلی أهلیهما.

ألا ـ إن مکه محرمه بتحریم اللّه، لم تحل لأحد کان قبلی، و لم تحل لی إلا ساعه من نهار. و هی محرمه إلی أن تقوم الساعه، لا یختلی خلاها، و لا یقطع شجرها، و لا ینفر صیدها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد).

ثم قال: (ألا ـ لبئس جیران النبی کنتم، لقد کذّبتم، و طردتم، و أخرجتم، و آذیتم، ثم ما رضیتم حتی جئتمونی فی بلادی تقاتلونی!! الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۲۲ ۲۵۳ نص آخر للخطبه: ..... ص : ۲۵۲

اذهبوا فأنتم الطلقاء).

فیخرج القوم، فکأنما أنشروا من القبور، و دخلوا فی الإسلام، و قد کان اللّه سبحانه أمکنه من رقابهم عنوه، و کانوا له فیئا، فلذلک سمّی أهل مکه الطلقاء (۱).

عن ابن رئاب، عن أبی عبیده قال: سمعت أبا عبد اللّه (علیه السلام) یقول: لما فتح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه قام علی الصفا، فقال:

(یا بنی هاشم، یا بنی عبد المطلب، إنی رسول اللّه إلیکم، و إنی شفیق علیکم، لا تقولوا: إن محمدا منا، فو اللّه ما أولیائی منکم و لا من غیرکم إلا المتقون، فلا أعرفکم تأتونی یوم القیامه تحملون الدنیا علی رقابکم، و یأتی الناس یحملون الآخره، ألا و إنی قد أعذرت فیما بینی و بینکم، و فیما بین اللّه عز و جل و بینکم، و إن لی عملی و لکم عملکم) (۲).

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و ۱۰۶ و ۱۳۲ و مجمع البیان ج ۱۰ ص ۵۵۷ عن إعلام الوری.

۲- البحار ج ۲۱ ص ۱۱۱ عن کتاب صفات الشیعه للصدوق ص ۴.

وقفات مع الخطبه الشريفه:

إن هـذه الخطبه الشـريفه تحتاج إلى دراسه متأنيه لاسـتكناه معانيها، و الوقوف على مراميها، و لعل بيان ذلك يفرض إفراد كتاب مستقل، و يستغرق وقتا طويلا، و يحتاج إلى جهد مضن، يبذله أناس أكفاء، و متمرسون أفذاذ ..

فماذا عسانا نقدم فى هذه النظره العابره و المحدوده، و لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .. فتلك هى بعض اللمحات المختاره من هذا الروض الفواح بالأطياب .. و الزاخر بالمعانى العذاب، كأنها الشهد المذاب ..

و سنذكر هذه اللمحات اليسيره فى فقرات تبين وجهتها عناوين نختارها لها، و هى التاليه:

عتقهم دليل فتح مكه عنوه:

علق الديار بكرى على قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لأهل مكه:

إذهبوا، فأنتم الطلقاء، فقال:

(فأعتقهم رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله)، و قـد كان اللّه أمكنه من رقابهم عنوه، فلذلك تسـمى أهل مكه (الطلقاء) أى الذين أطلقوا، فلم يسترقوا، و لم يؤسروا، و الطليق هو الأسير إذا أطلق) (۱).

و كنـا قـد تحـدثنا عن هـذا الأمر فى فصل سابق، و قلنا: إن هـذه الكلمه من أدله فتـح مكه عنوه، لا صـلحا .. فلا بأس بمراجعه ما ذكرناه هناك ..

۱- تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵.

الطلقاء .. و الخلافه:

إنه لا ريب فی أن الإمامه شأن إلهی و قرار ربانی، لا خيار لأحد فيه، و هی تثبت بالنص القاطع للعذر عن رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله)، و لكن السياسه الإلهيه قد قضت بوضع معايير، و حدود، و ضوابط، و قيود، من شأنها أن تسقط أی تعلل، و ترد أيه شبهه، حتی حينما يحاصر الطامعون و الحاقدون النص بحرابهم، و سيوفهم، أو يثيرون حوله الشبهات و الأقاويل، و ينسجون حوله الترهات و الأباطيل.

و قد صرحت النصوص بكثير من الأمور التی حددها للناس أمين اللّه علی وحيه، و عزائم أمره، و من هذه الأمور:

أن الطلقاء لا يحق لهم الاضطلاع بأمر الإمامه ..

و يبدو أن هذا الأمر كان متسالما عليه لدی السلف، فقد روی عن عمر بن الخطاب: أنه اعترف بذلک، و أنه قال:

هذا الأمر فی أهل بدر ما بقی منهم أحد، ثم فی أهل أحد، ثم فی كذا و كذا، و ليس لطليق و لا لولد طليق، و لا لمسلمه الفتح شی ء (۱).

و قال أيضا: (إن هذا الأمر لا يصلح للطلقاء، و لا لأبناء الطلقاء) (۲).

و عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فی كتاب له إلی معاويه: (و اعلم أنک من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافه، و لا تعقد معهم الإمامه، و لا يدخلون

۱- الطبقات الكبری لابن سعد ج ۳ ص ۳۴۲ و أسد الغابه ج ۴ ص ۳۸۷ و فتح الباری ج ۱۳ ص ۲۰۷.
۲- الإصابه ج ۲ ص ۳۰۵.

فی الشوری) (۱).

و کتب ابن عباس لمعاویه: (ما أنت و ذکر الخلافه؟! و إنما أنت طلیق و ابن طلیق. و الخلافه للمهاجرین الأولین، و لیس الطلقاء منها فی شی ء).

و فی نص آخر: ما أنت و الخلافه، و أنت طلیق الإسلام الخ .. (۲).

و قال ابن عباس لأبی موسی: (اعلم یا أبا موسی أن معاویه طلیق الإسلام) (۳).

و کتب المسور بن مخرمه إلی معاویه أیضا: (و ما أنت و الخلافه یا معاویه، و أنت طلیق، و أبوک من الأحزاب) (۴).

و هذا المعنی بالذات روی عن سعنه بن عریض فی کلام له مع معاویه (۵).

و نفس هذا المضمون قاله صعصعه بن صوحان لمعاویه (۶).

و جاء فی کلام لعبد الرحمن بن غنم الأشعری الصحابی، یعاتب فیه أبا هریره، و أبا الدرداء قوله: (و أی مدخل لمعاویه فی الشوری، و هو من

۱- الإمامه و السیاسه ج ۱ ص ۸۵ و (فی طبعه) ۷۱ و (فی أخری) ۸۱ و العقد الفرید ج ۴ ص ۱۳۶ و نهج البلاغه ج ۲ ص ۵ و شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج ۳ ص ۷۶ و ج ۱۴ ص ۳۶.
۲- راجع: الإمامه و السیاسه ج ۱ ص ۱۰۰ و (فی طبعه أخری) ۸۵ و (فی طبعه ثالثه) ۹۷ و شرح النهج للمعتزلی ج ۸ ص ۶۶.
۳- شرح النهج للمعتزلی ج ۲ ص ۲۴۶.
۴- الإمامه و السیاسه ج ۱ ص ۹۸ و (فی طبعه أخری) ۷۵ و (فی طبعه ثالثه) ۸۵.
۵- الغدیر ج ۱۰ ص ۳۱.
۶- مروج الذهب ج ۳ ص ۵۲.

الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافه)؟! (۱).

تعظيم بيت اللّه:

إن اللّه سبحانه و تعالى قـد جعل الكعبه و مكه حرما آمنا. و لكن هل حصل ذلك بـدعاء إبراهيم حينما قال: رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً؟! (۲).

و فى آيه أخرى: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً (۳).

مع ملاحظه: أن الآيه الثانيه تشير إلى أن هـذا الـدعاء قـد كان بعـد صـيروره مكه بلـدا، و أما الآيه الأولى، فليس فيها دلاله على ذلك، بل هى تتلاءم مع ما قبل صيروره مكه بلدا، و مع ما بعد صيرورتها بلدا.

و لكن ثمه ما يـدل: على أن إبراهيم قـد دعا بـذلك مرتين، و فى زمانين مختلفين، كما ربما يظهر من كلام العلامه الطباطبائى و غيره (۴).

إذ ليس ثمه ما يحتم أن يكون إبراهيم يطلب من اللّه تشريع الأمن لمكه، و أن يجعلها حرما، ثم يلتزم الناس بأوامره سبحانه، لتنشأ عن ذلـك حـاله الأـمن لهـا .. إذ لعله كان يطلب حصول الأمن الخارجى لـذلك البلـد و المنع من تعرضـها للنكبات على أيـدى الجبـارين، و أن يوجـد حرمه و هيبه لهـا فى نفـوس النـاس تردعهم عن التعرض لهـا بسـوء، إذ لو كـان (عليه السـلام) يطلب أمرا تشريعيا لكان ذلك البلد قبل إبراهيم كسائر البلاد، مع أن ثمه ما يدل على أنها

۱- الإستيعاب ج ۲ ص ۴۰۲ و أسد الغابه ج ۳ ص ۳۱۸.

۲- الآيه ۱۲۶ من سوره البقره.

۳- الآيه ۳۵ من سوره إبراهيم.

۴- تفسير الميزان ج ۱۲ ص ۶۸ و ۶۹ و التفسير الكبير للرازى ج ۴ ص ۵۵.

كانت حراما أيضا قبل ذلك، فقد ورد فى خطبه الرسول (صلى اللّه عليه و آله) المتقدمه فى فتح مكه: أن اللّه قد (حرّم مكه يوم خلق السماوات و الأرض، فهى حرام إلى أن تقوم الساعه، لم تحل لأحد قبلى، و لا تحل لأحد بعدى) (۱). فراجع.

و يؤيد ذلك، بل يدل عليه: أن إبراهيم (عليه السلام) قد وصف البيت ب (المحرم) بمجرد إسكانه لذريته فى تلك البقعه، فقال: رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاهَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ .. (۲).

و من الواضح: أن إبراهيم على نبينا و آله و عليه الصلاه و السلام لم يؤسس البيت، بل رفع قواعده، و قد تقدم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب:

أن البيت قد وضع من لدن آدم (عليه السلام) و هو البيت العتيق، و هو أول بيت وضع للناس، كما دلت عليه الآيات الكريمه.

كلكم لآدم، و آدم من تراب:

و قد ظهر من خلال تلك الخطبه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) يعالج أدواء كان يراها رأى العين فى الناس، و يعرف ما لها من آثار سلبيه على حياتهم، و على علاقاتهم، و طريقه تعاملهم مع بعضهم، و على روحياتهم ..

و من ذلك ظاهره الطبقيه و التمييز على أسس قبائليه، و عرقيه، و غير ذلك ..

فذكّرهم بأصلهم الأصيل، الذى يعطى الدليل الصريح و الصحيح على عدم وجود تميز بين الناس فالأصل هو آدم، و أصل آدم هو التراب.

۱- راجع نص خطبه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى مكه فى المصادر المختلفه المتقدمه.

۲- الآيه ۳۷ من سوره إبراهيم.

فإن حصل تميز من أى نوع، فلا بد أن يكون بأمور عارضه اختارها الإنسان و صنعها، و أما القبائل و الشعوب، فلم يكن لأحد فى صيرورتها كذلك أى اختيار، بل هى فعل إلهى، فما معنى: أن يدّعى الناس لأنفسهم امتيازات استنادا إلى أمر لم يختاروه، و لا بذلوا أى جهد فى سبيل الحصول عليه؟!

و لذلك يلاحظ: أنه بعد أن قال (صلى اللّه عليه و آله): كلكم لآدم و آدم من تراب ثنّى بذكر الآيه الكريمه، التى تقول: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (۱). فقد صرح بأن الإختلاف فى الشعوب و القبائل هو من صنع اللّه تعالى، موضحا: أنه سبحانه إنما جعل فيهم هذه الخصوصيات من أجل أن يستفيد بعضهم من بعض، و يكتسبوا من هذا التنوع معرفه إلى معارفهم .. و يكون ذلك سببا فى إنشاء العلاقات، و إقرار الروابط المفيده، و الرشيده .. و لم يجعل ذلك سببا للتفاخر و التعالى، و الإنفصال و التباعد.

ثم بيّن أن التفاضل إنما هو بتقوى اللّه تبارك و تعالى حين قال سبحانه:

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ.

السلاح فى مكه فى عام الفيل و يوم الفتح:

و قد ورد فى كلام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ما يلى: (إن اللّه تعالى حبس الفيل، و سلط عليهم (أو عليها)، رسوله و المؤمنين ..) (۲).

۱- الآيه ۱۳ من سوره الحجرات.

۲- راجع: المحلى لابن حزم ج ۱۰ ص ۴۹۷ و صحيح ابن حبان ج ۹ ص ۲۸ و التنبيه و الإشراف للمسعودى ص ۲۳۲.

و قد تقدمت فی غزوه الحدیبیه بعض الإشارات إلی بعض ما تضمنته قصه حبس الفیل من دلالات و عبر فراجع ما ذکرناه هناک، حین التعرض لقوله (صلی اللّه علیه و آله) عن ناقته: (حبسها حابس الفیل).

غیر أننا نشیر هنا: إلی أن ما ورد فی هذه الخطبه، حول نفس هذا الأمر، قد أرید به لفت النظر إلی أمر مهم، و هو:

أن دخوله (صلی اللّه علیه و آله) مکه بالسلاح، و بدون إحرام، و علی هیئه القتال، لیس علی حد دخول أبرهه الذی جاء للعدوان علی بیت اللّه، و هتک حرمه الحرم، إذ لیس کل دخول لمکه بالسلاح هتک لحرمتها، أو مناف لما یدعوهم اللّه إلیه من تعظیمها، إذ لو کان کذلک لتدخل اللّه تبارک و تعالی لمنعه (صلی اللّه علیه و آله) من ذلک، کما تدخل لمنع أبرهه و جیشه منه، حیث حبس الفیل عن مکه، لیکون آیه للمعتدین، و عبره للمعتبرین، فلما اصروا علی هتک حرمتها، و لم یعودوا إلی اللّه، و لم یتوبوا إلیه، أرسل علیهم طَیْراً أَبابِیلَ تَرْمِیهِمْ بِحِجارَهٍ مِنْ سِجِّیلٍ فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ.

و ذلک یدل و شواهد کثیره أخری علی: أن دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) و المسلمین کان دخول تعظیم للحرم و دفاع عن مکه و الکعبه. و لیس دخول إهانه أو استهانه ..

و حمل السلاح إنما هو من أجل رفع الحیف عن مکه و عن البیت، و إبعاد مظاهر الشرک، الذی هو أعظم مظاهر الإهانه، و تطهیرها من الظلم و العدوان، و إخراجها من أیدی العتاه و المستکبرین.

و الخلاصه: أن تسلیط المسلمین علی مکه، إنما هو لإعزازها، و إعزاز الکعبه، و لإحقاق الحق، و إبطال الباطل، و اقتلاع الشرک و الوثنیه، و إعلاء

كلمه اللّه تعالى، و نشر التوحيد، و توجيه الناس إلى عباده اللّه.

أما أهداف أصحاب الفيل، فهى أهداف شريره و باطله، و هى إطفاء نور اللّه، و ترسيخ قواعد الباطل و الشرک و الوثنيه.

لا ينفر صيدها!! و لا يختلى شوكها!!:

قال العلامه الأحمدى (رحمه اللّه تعالى) حول قوله (صلى اللّه عليه و آله) فى خطبته لا ينفر صيدها، و لا يختلى شوكها، ما يلى:

(هـذه الجمـل بيـان لأخفى مـا يحرم من مكه و أدنى ما هو حرام، لأنها حرم، فيحرم شوكها و لقطتها، و يحرم نفر الحيوان البرى الذى يصاد فى غيرها؛ ليعلم من ذلک حرمه الباقى.

فإنه إذا حرم الشوک الذى لا نفع فيه إلا الإحراق حرم ما سواه بالأولويه.

و إذا حرم نفر الحيوان البرى يعلم منه حرمه جرحه، و قتله، و أخذه و ..

و قتل الإنسان، و إخافته، و إزعاجه.

و إذا حرم لقطتها، حرم أموال الناس بأى نحو أخذت إلا برضا صاحبها، و إذا كانت أموال الناس حراما فى غير هذه البلده، كانت حرمتها فيها أشد و آكد) (۱). و هذا كلام سديد رحم اللّه قائله، و حشره مع محمد و آله الطاهرين.

۱- مكاتيب الرسول ج ۳ ص ۵۹۴.

الإعلان الأول: التوحيد:

إن أول إعلان أطلقه (صلى اللّه عليه و آله) فی خطبته الأولی فی مکه هو التوحید، و رفض الشریک للّه تبارک و تعالی فقال (صلی اللّه علیه و آله): (لا إله إلا اللّه وحده لا شریک له).

و التوحید هو غایه الغایات، و أساس الکمالات، و منشأ السعادات، شرط أن یکون حقیقیا، و تاما، و راسخا، و شاملا لکل مناحی الحیاه، فی الفکر، و فی القول، و فی العمل، فلا یوحد اللّه بالقول، ثم تکون شهوته و نفسه، أو ولده، أو زوجته، أو زعیمه، أو أی شی ء آخر هو الذی یتحکم بقراراته، و یهیمن علی مواقفه، و علی حرکته فی الحیاه ..

و لا یکون ممن وصفهم اللّه تعالی بقوله: وَ ما یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِکُونَ (۱).

لک بها دار فی الجنه:

و یقولون: إنه حین فرغ (صلی اللّه علیه و آله) من خطبته قام أبو أحمد، عبد اللّه بن جحش علی جمل له علی باب المسجد، و هو یصیح: أنشد باللّه یا بنی عبد مناف حلفی، و أنشد باللّه یا بنی عبد مناف داری.

فدعا النبی (صلی اللّه علیه و آله) عثمان بن عفان فأسر إلیه بشی ء، فذهب عثمان إلی أبی أحمد فسارّه، فنزل أبو أحمد عن بعیره، و جلس مع القوم.

۱- الآیه ۱۰۶ من سوره یوسف.

فما يسمع أبو أحمد ذاكرها حتى لقى اللّه تعالى.

و كان أبو أحمد قد حالف بنى حرب بن أميه. و كان أبو سفيان قد باع دار أبى أحمد بأربع مائه دينار، فثارت ثائره أبى أحمد، و قال أبياتا يلوم فيها أبا سفيان.

فقال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): لك بها دار فى الجنه (۱).

و نقول:

أولا: إن عبد اللّه بن جحش قد استشهد فى غزوه أحد (۲)، أى قبل فتح مكه بحوالى خمس سنوات.

و أما القول: بأن أبا أحمد هو عبيد اللّه بن جحش- كما ربما يظهر من الكلمات (۳)- فلا يصح أيضا؛ لأن من المجمع عليه: أن عبيد اللّه بن جحش كان ممن هاجر إلى الحبشه، و تنصر، و مات هناك، و هو زوج أم حبيبه، التى زوجها النجاشى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، لا نجد خلافا فى ذلك (۴).

و الظاهر: أن الصحيح هو: أن اسم أبى أحمد (عبد) بن جحش، بغير

۱- راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۰ و ۸۴۱.
۲- طبقات ابن سعد ج ۳ ق ۱ ص ۶۴ و أسد الغابه ج ۳ ص ۱۳۱ و الإصابه ج ۲ ص ۲۸۷ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۳۸۶ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۳۰۰.
۳- راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۳۰۰.
۴- راجع: أسد الغابه ج ۳ ص ۱۳۱ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج ۲ ص ۲۷۲- ۲۷۴ و الإصابه ج ۴ ص ۴ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۳ ق ۱ ص ۶۲ و التنبيه و الإشراف ص ۲۲۳.

إضافه، و قالوا: کان ضریرا، و کانت عنده الفارعه بنت أبی سفیان (۱).

ثانیا: ما أبعد ما بین موقف هذا الرجل، حیث وعده النبی (صلی اللّه علیه و آله) بدار فی الجنه فی مقابل داره، فنزل عن بعیره، و جلس مع القوم، فما سمع ذاکرها حتی لقی اللّه تعالی .. و بین موقف سمره بن جندب الذی کانت له نخله فی دار شخص آخر، فصار یدخل إلیها من دون إذن، و رفض الإنصیاع لطلب صاحب الدار بالإستئذان، و رفض طلب النبی (صلی اللّه علیه و آله) منه أن یستأذن، ثم رفض أن یبیعها لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بعذق فی الجنه، فلم یزل یزیده حتی بلغ عشره أعذاق.

فقال: لا أرید.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): إنک رجل مضار، و لا ضرر و لا ضرار علی مؤمن.

ثم أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالنخله فقلعت، ثم رمی بها إلیه، و قال له: اذهب فاغرسها حیث شئت (۲).

۱- راجع: الإصابه ج ۴ ص ۳ و ۴ و الإستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ۴ ص ۱۲ و ۱۳ و الطبقات الکبری لابن سعد ج ۳ ق ۱ ص ۶۲.

۲- الکافی ج ۵ ص ۲۹۴ و راجع ص ۲۹۲ و راجع أیضا: من لا یحضره الفقیه ج ۳ ص ۲۳۳ و ۱۰۳ و تهذیب الأحکام ج ۷ ص ۱۴۷ و الوسائل ج ۱۷ ص ۳۴۰ و ۳۴۱ و البحار ج ۱۰۰ ص ۱۲۷ و الفائق ج ۲ ص ۴۴۲ و مصابیح السنه للبغوی ج ۲ ص ۱۴ و النظم الإسلامیه ص ۳۲۱ عن أبی داود، و عن عون المعبود ج ۲ ص ۳۵۲.

صدق وعده، و نصر عبده:

۱- و قد بيّن (صلى اللّه عليه و آله): أن هذا الفتح العظيم قد كان وعدا من اللّه، و قد أنجز تبارك و تعالى وعده، و هذا يمثل دلاله أخرى لعبّاد الأصنام الذين ما زالوا يحاربونه حتى تلك اللحظه، و يجهدون للاحتفاظ بشركهم و بأصنامهم، على أن عليهم أن يتخلوا عن حاله الصلف و العناد، فهم أحقر و أعجز من أن يتمكنوا من تحدى إراده اللّه تبارك و تعالى ..

و ها هم يرون بأم أعينهم كيف أن اللّه أنجز وعده لنبيه الكريم (صلى اللّه عليه و آله)، رغم كل ما كادوه به.

۲- ثم إنه تعالى لم ينسب النصر إلى نفسه، و لا تبجح- و العياذ باللّه- بتدبيره الذكى، و خطته المحكمه، و لا فاخر بجيشه الكبير، بل نسبه إلى اللّه دون سواه، بل هو لم يفسح المجال لاحتمال أن يكون لغير اللّه أدنى تأثير فى هذا النصر حين صرح: بأن اللّه وحده قد هزم الأحزاب المختلفه التى كانت تتألب عليه، و تجمع الجموع من كل قبيله و حى، و من مختلف البلاد التى تجد فيها من يعينها، و يشاركها فى عدوانها على الحق و أهله ..

۳- و قد احتفظ (صلى اللّه عليه و آله) لنفسه بسمه العبوديه التى يأنف الناس من إطلاقها على أنفسهم إلا بضروب من التأويلات، و فنون من الإيحاءات، و لو بمثل دعوى التواضع، و هضم النفس.

و الحرب مع المشركين هى فى واقعها حرب مع حاله الإستكبار عن الإنصياع لهذه الحقيقه، و الإباء عن الإعتراف بها. فإنهم لا يريدون أن يكونوا عبيدا للّه، بل يريدون أن يكونوا عبيدا لشهواتهم، و لأهوائهم، و لعتاتهم، و ساداتهم، و كبرائهم، الذين يتخذونهم أربابا من دون اللّه تعالى.

و لكن الرسول العظيم، و النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله) كان يرى أن أعظم و سام، و أسمى مقام هو و سام و مقام العبوديه للّه سبحانه، و كلما تحقق الإنسان فى هذه العبوديه، و أوغل فيها كلما سما فى مدارج الكمال، و حصل على مقام القرب و الزلفى من اللّه، و يكون مع اللّه، و يكون اللّه تعالى معه، يحب ما يحب، و يكره ما يكره، و يريد ما يريد .. فإن للّه عبادا إذا أرادوا أراد (۱).

و فى الحديث القدسى: عبدى أطعنى تكن مثلى، تقول للشى ء: كن، فيكون (۲).

نعم .. إنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يعط لنفسه ألقابا، و لا منحها أوصافا، بل هو لم يشر إليها بأيه كلمه تدل على أن لها أى درجه من الإستقلال، و الإنفصال، و لو بمقدار كلمه (أنا)، بل حين تحدث عن نفسه قد وصفها بما دل على سلب أيه خصوصيه من هذا القبيل، ألا و هو وصف العبوديه له تعالى ..

إلا الإذخر:

و ذكروا: أن العباس هو الذى استثنى الإذخر، من بين الأمور التى حرم على الناس العدوان عليها .. قالوا: (فقال العباس، و كان شيخا مجربا:

۱- أضواء على السنه المحمديه لأبى ريه ص ۱۲۵ و نظرات فى التصوف و الكرامات لمحمد جواد مغنيه ۸۹.

۲- مستند الشيعه ج ۱ ص ۶ و الإمام على للهمدانى ص ۳۶۲ و الفوائد الرجاليه لبحر العلوم ج ۱ ص ۲۹ و راجع: الفوائد العليه ج ۲ ص ۳۹۴ و الجواهر السنيه ۳۶۱ و البحار ج ۱۰۲ ص ۱۶۵ و شجره طوبى ج ۱ ص ۳۳ و مشارق أنوار اليقين ص ۱۰.

إلا الإذخر يا رسول اللّه، فإنه لا بد لنا منه، للقين، و ظهور البيوت.

فسكت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ساعه، ثم قال: إلا الإذخر، فإنه حلال).

و نقول:

إن هذا الموقف يحتاج إلى تبصر و تأمل، و لكننا نكتفى هنا بالإلماح إلى بعض ما يظهر لنا فيه.

فأولا: هل كان النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، الذى لم يزل يخبر الناس بالمغيبات، لا يعرف أن الإذخر مما يحتاج إليه للقين، و لأسقف البيوت؟! و عرف ذلك العباس دونه؟!

ثانيا: هل عرف ذلك العباس و لم يعرفه سائر شيوخ قريش، و سواها من ساكنى مكه، من بنى بكر و خزاعه، و .. و ..؟!

ثالثا: هل كان النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) يحلل و يحرم من عند نفسه؟! أم كان يتكلم بوحى من اللّه تعالى؟!

فإن كان ما يأتى به هو الوحى الإلهى، فما معنى تدخل العباس فيه؟

فهل لم يكن اللّه- و العياذ باللّه- يعرف قيمه الإذخر، و أهميته لأهل مكه، حتى نطق العباس؟ أم انه كان يعرف ذلك، لكنه كان يريد تصعيب الأمور عمدا على أهل مكه؟! ثم تراجع استجابه لطلب العباس؟!

و إن كان ما يأتى به إنما يأتى به من عند نفسه، فلما ذا يقول القرآن عنه:

وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى؟! (۱).

۱- الآيتان ۳ و ۴ من سوره النجم.

و كيف نستطيع أن نفرق بين ما يكون من عند نفسه، و ما يكون من عند ربه، فنتدخل فى الأول، و نسكت فى الثانى؟!

و إذا كان يتكلم من عند نفسه، فهل هو يخطئ فيه، و يسهو و .. و ..

الخ ..؟! أم أنه معصوم فيه؟!

فإن كان يخطئ فيه، فلا شـى ء يدعو إلى الوثوق بما يأتى به. و هل يمكن تجزئه العصمه؟ و إن كان معصوما فيه، فلما ذا يتدخل العباس أو غيره فى شأن لا يمكن أن يقع فيه خطأ و لا سهو، و لا تقصير؟! ..

رابعا: لماذا سكت النبى (صلى اللّه عليه و آله) هذا الوقت الطويل و لم ينطق بالحكم مباشره ألا يدل سكوته هذا على أنه قد تبرم و تضايق من تدخل العباس فى أمر إلهى، و وحى ربانى، و حكم شرعى، لا يحق لأحد التدخل فيه؟!

أم أنه سكت ليتأمل فى صحه كلام العباس، و خطئه، فلما ظهر له وجه الصواب فيه أقره؟!

ألا يعدّ هذا النوع من الإحتمالات إهانه لمقام النبوه الأقدس، و إساءه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ما بعدها إساءه؟!

خامسا: هل جاء قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن الإذخر:

(فـإنه حلال) حكـايه لحكم اللّه الواقعى، أم جـاء مجـاراه للعبـاس، و إرضاء لخاطره الشـريف، و إنفاذا لأمره، الـذى جاء بطريقه تضمنت إساءه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و خروجا عن حدود الآداب.

سادسا: إذا كان الناس يحتاجون الإذخر، و هو الحشـيش الأخضر لظهور البيوت، فإنهم يحتاجون الأشجار لأمور أخرى، مثل صنع الأبواب، و عمل

الكراسى، و المناضد، و سائر الحاجات .. فلما ذا منع من قطع الشجر أيضا، مع أن الحاجه إلى قطعه أشد من الحاجه إلى الحشيش الأخضر؟

كما أنهم يحتاجون إلى العظاه- هو الشجر الذى له شوك- لأجل الوقود و إنضاج الأطعمه، و التدفئه، و نحو ذلك، فلما ذا لم يرخص لهم به أيضا.

و اقتصرت الرخصه على الإذخر؟!

إن الحقيقه هى: أن هؤلاء الناس يريدون أن يمنحوا العباس شرفا، فمنحوه ما يوجب نقصا و تقززا و قرفا. و أرادوا أن يسموه بسمات الأخيار و الأبرار، فوصموه بما يهين و يشين من وصمات الأشقياء و الأشرار ..

اجتهاد الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

و قد زعم بعض الناس: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان متعبدا بالاجتهاد فيما لا نص فيه .. و قد استدلوا على ذلك بأدله واهيه .. و من ذلك فى فتح مكه حسبما ذكره الآمدى:

۱- روى عنه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال فى مكه: لا يختلى خلاها، و لا يعضد شجرها.

فقال العباس: إلا الإذخر.

فقال (عليه السلام): إلا الإذخر.

قال: (و معلوم أن الوحى لم ينزل عليه فى تلك الحاله، فكان الإستثناء بالإجتهاد) (۱).

۱- الإحكام فى أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۴۴ و ۱۴۵ ..

و قال فی موضع آخر: (معلوم أن ذلک لم یکن إلا من تلقاء نفسه، لعلمنا: بأن الوحی لم ینزل علیه فی تلک الحاله، و لو لا أن الحکم مفوض إلیه لما ساغ ذلک) (۱).

و لکن الآمدی نفسه قد ذکر: أن بعضهم أجاب عن ذلک بقوله: (إن الإذخر لیس من الخلا، فلا یکون داخلا فیما حرم. و علی هذا، فإباحته تکون بناء علی استصحاب الحال. و الإستثناء من العباس و النبی (علیه السلام) کان تأکیدا. و بتقدیر أن یکون مستثنی حقیقه مما حرم بطریق التأسیس، لکن من المحتمل أن یکون ذلک بوحی سابق، و هو الأولی، لقوله تعالی فی حق رسول اللّه: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی (۲). أما أن یکون ذلک من تلقاء نفسه من غیر دلیل فلا) (۳).

و نقول:

ألف: إن من الواضح: أن العباس قد قطع علی النبی (صلی اللّه علیه و آله) کلامه، و لم یمهله لیستثنی الإذخر و لا غیره .. و لعل سکوت النبی (صلی اللّه علیه و آله) لفتره قصیره فی تلک اللحظه کان لإظهار انزعاجه من هذه المداخله، التی تخرج عن حدود المقبول فی التعامل مع الأنبیاء، بل و مع غیرهم أیضا ..

ب: علی أننا فی غنی عن التذکیر بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان

۱- الإحکام فی أصول الأحکام ج ۴ ص ۱۸۴.

۲- الآیتان ۳ و ۴ من سوره النجم.

۳- الإحکام فی أصول الأحکام ج ۴ ص ۱۴۴ و ۱۴۵ ..

واقفا على ملاكات الأحكام، عارفا بحدود الحلال و الحرام، فلا حاجه إلى الوحى الفعلى و التفصيلى فى كل كبيره و صغيره، و لذلك فوض اللّه تعالى إليه حق وضع الأحكام و تشريعها فى الوقت الذى تكتمل فيه عناصره ..

و قد أوضحنا ذلك فى كتابنا: (الولايه التشريعيه) فراجع.

۲- و استدلوا- كما ذكره الآمدى أيضا- بما روى عنه (صلى اللّه عليه و آله): (أنه أمر مناديا يوم فتح مكه: (أن اقتلوا ابن حبابه، و ابن أبى سرح، و لو كانا متعلقين بأستار الكعبه) ثم عفا عن ابن أبى سرح، بشفاعه عثمان.

و لو كان قد أمر بقتله بوحى لما خالفه بشفاعه عثمان) (۱).

و أجابوا أيضا: (يجوز أن يكون قد أبيح القتل، و تركه بالوحى، بدليل ما سبق فى الآيه) (۲).

أى بدليل أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يقول ما يقول إلا بوحى، لقوله تعالى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى.

غير أننا بنحو آخر من البيان نقول:

إن الحكم بالقتل كان متعلقا بهؤلاء الناس، من حيث أن جرمهم يوجب ذلك .. فإذا استجدت أمور، مثل ظهور التعصب القبلى أو حدوث انشقاقات خطيره توجب فسادا كبيرا، و تضييعا لحقوق الكثيرين، و صدا عن سبيل اللّه، بحيث يمنع ذلك من دخول بعض الناس فى الإسلام أو نحو ذلك، فإن الحكم بالقتل يرتفع و يحل محله العفو. أى أن الحكم يتبدل

۱- الإحكام فى أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۸۲.

۲- الإحكام فى أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۸۴.

بسبب تبدل طرأ علی موضوعه.

و هذا نظیر ما لو استحق ولدک عقوبه علی ذنب ارتکبه، فإذا شفع له إنسان عزیز تحب أن تکرمه و تظهر للناس موقعه و مکانته، فإنک تعفو عنه من أجله، و کذلک الحال فیما إذا شفع فیه إنسان ظالم یخشی من أن یتسبب رد أمره ورود ظلم أو أذی علی أناس أبریاء، فإنک تغض النظر عن عقوبه ذلک المذنب، و تظهر أنک قد عفوت عنه رعایه لهذه الخصوصیه.

فظهر أن هناک حکمین قد اختلفا بسبب اختلاف موضوعیهما، و قضیه ابن سرح من هذا القبیل.

کفوا السلاح إلا خزاعه عن بنی بکر:

و أما ما ورد فی الخطبه: من أنه (صلی اللّه علیه و آله) قال فیها: (.. کفوا السلاح إلا خزاعه عن بنی بکر، من ضحوه نهار الفتح إلی صلاه العصر منه).

فخبطوهم ساعه، و هی الساعه التی أحلت لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و لم تحل لأحد قبله.

فنقول فیه:

أولا: إن هذا النص إنما ورد فی بعض نصوص الخطبه دون بعض ..

و هذا و إن کان لا یدل علی عدم صحه هذه الفقره، و لکنه یفسح المجال للتأمل فی صحتها، و إن وجد ما یقتضی ذلک. کما هو الحال فی هذا المورد کما سنری.

ثانیا: إذا کانت بنو بکر قد هاجمت جزاعه و قتلت منها، فإن قریشا قد

شارکت فی هذا الأمر، و کانت مع من هاجم، ثم أرسلت أبا سفیان لیخدع المسلمین، و یبطل دم المقتولین المظلومین .. فلما ذا لا یشرک قریشا مع بنی بکر فی إعطاء خزاعه حق قتلهم؟

ثالثا: إذا کان ثأر خزاعه عند بنی بکر، و قریش بریئه منه، فلما ذا اعتبر النبی (صلی اللّه علیه و آله) ما جری نقضا للعهد من قبل قریش بالذات؟! و ما المبرر لجمع هذا الجیش العظیم، و مهاجمه مکه، و فتحها؟!

و لماذا نهی خالد بن الولید عن القتال؟ و أمره أن یکف عن ملاحقه الناس؟!

و کیف سیفهم الناس ذلک کله، خصوصا أهل مکه الذین استسلموا و لم یسلموا، و لما یدخل الإیمان فی قلوبهم؟!

رابعا: إن وقت صلاه العصر إذا کان یبدأ من حین الإنتهاء من صلاه الظهر إلی حین الغروب، فإن معنی قوله: (من ضحوه نهار الفتح إلی صلاه العصر منه) یصبح غیر واضح المعنی. إلا إذا أرید الحدیث عن وقت فضیله العصر ..

و علی کل حال، فقد أشرنا إلی ما هو الحق فی وقت صلاه العصر فی فصل: المسیر إلی حصون قریظه، تحت عنوان: لماذا لم یعنف النبی (صلی اللّه علیه و آله) تارکی الصلاه؟!

خامسا: لم یذکر لنا التاریخ شیئا عن قتلی بنی بکر علی ید خزاعه، و لا قتلی خزاعه علی ید المدافعین من بنی بکر، فهل یعقل أن تستمر معرکه ساعات طوالا، و لا یسقط فیها عشرات القتلی و الجرحی؟!

سادسا: الضحوه: هی ارتفاع النهار، فإذا کانوا قد خبطوهم من ضحوه النهار إلی وقت صلاه العصر، فإن ذلک یکون ساعات لا ساعه

واحده، و کیف إذا کان (یقصرها بیده هکذا)؟!

و أخیرا ما معنی: أن یکرر نفس العباره فی نفس تلک الخطبه، فیذکرها فی وسطها، ثم یذکرها فی آخرها؟!.

اکتبوا لأبی شاه:

و قوله (صلی اللّه علیه و آله): اکتبوا لأبی شاه، و عشرات الروایات الأخری الآمره بتقیید العلم و بکتابته حجه دامغه علی الذین منعوا من کتابه الحدیث بعد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ..

علی أن ما زعموه مبررا لذلک، و هو: أنهم خافوا من اختلاط الحدیث بالقرآن، أو أنه لا کتاب مع کتاب اللّه، ما هو إلا رد للنص من أجل مآرب خاصه، لا نرید الإفاضه فی بیانها. و قد ذکرنا طائفه مما یفید فی هذا البحث فی الجزء الأول من هذا الکتاب، فراجع.

التبرک بالرسول صلّی اللّه علیه و آله:

عن عبد اللّه بن عبیده: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بعد خطبته عدل إلی جانب المسجد، فأتی بدلو من ماء زمزم، فغسل منها وجهه، ما یقع منه قطره إلا فی ید إنسان، إن کانت قدر ما یحسوها حساها، و إلا مسح جلده.

و المشرکون ینظرون، فقالوا: ما رأینا ملکا قط أعظم من الیوم. و لا قوما أحمق من القوم (۱).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۳ عن ابن أبی شیبه.

ص: ۲۷۶

الفصل التاسع: مفتاح الكعبه .. و البيعه

اشاره

مفتاح الكعبه مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

ثم خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من البيت و المفتاح فى يده، و خالد بن الوليد يذب الناس عن الباب حتى خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و عن بره بنت أبى تجراه، قالت: نظرت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و فى يده المفتاح، ثم جعله فى كمه (۱).

قال الزهرى: إنه بعد أن خطب النبى (صلى اللّه عليه و آله) خطبته المتقدمه، نزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و معه المفتاح، فتنحى من المسجد، فجلس عند السقايه (۲).

و كان (صلى اللّه عليه و آله) قد قبض مفتاح السقايه من العباس، و مفتاح البيت من عثمان. فأرجع المفتاح إلى عثمان و دفع السقايه إلى

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۲ عن الواقدى، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۵.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۳ عن عبد الرزاق، و الطبرانى، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۷ و ۸۳۸.

العباس (۱).

مفتاح الكعبه لبنى شيبه:

و قالوا: قال عثمان بن طلحه: لقينى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بمكه قبل الهجره، فدعانى إلى الإسلام، فقلت: يا محمد، العجب لك حيث تطمع أن أتبعك، و قد خالفت دين قومك، و جئت بدين محدث.

و كنا نفتح الكعبه فى الجاهليه الإثنين و الخميس، فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبه مع الناس، فأغلظت عليه، و نلت منه.

فحلم عنى، ثم قال: (يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت).

فقلت: لقد هلكت قريش و ذلت.

قال: (بل عمرت يومئذ و عزت).

و دخل الكعبه، فوقعت كلمته منى موقعا، فظننت أن الأمر سيصير كما قال، فأردت الإسلام، فإذا قومى يزبروننى زبرا شديدا.

فلما كان يوم الفتح قال لى: (يا عثمان، ائت بالمفتاح).

فأتيته به. فأخذه منى، ثم دفعه إلى و قال: (خذوها خالده تالده لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن اللّه استأمنكم على بيته، فكلوا مما وصل إليكم من هذا البيت بالمعروف).

فلما وليت نادانى، فرجعت إليه، فقال: (ألم يكن الذى قلت لك؟

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۳ عن الواقدى، عن شيوخه، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۷ و ۸۳۸.

فذكرت قوله لى بمكه قبل الهجره: (لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت).

فقلت: بلى. أشهد أنك رسول اللّه.

فقام على بن أبى طالب، و مفتاح الكعبه بيده، فقال: يا رسول اللّه، اجمع لنا الحجابه مع السقايه!

(و فى روايه: أن العباس تطاول يومئذ لأخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم. أى منهم على (عليه السلام)) (۱).

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أين عثمان بن طلحه؟

فدعى، فقال: (هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء).

قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مضطبع (۲) بثوبه عليه، و قال: (غيبوه. إن اللّه تعالى رضى لكم بها فى الجاهليه و الإسلام) (۳).

و عن ابن جريح: أن عليا (عليه السلام) قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله): اجمع لنا الحجابه و السقايه، فنزلت: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. (۴).

۱- راجع هذه الفقره فى: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ و فى هامشه عن البدايه و النهايه ج ۴ ص ۳۰۱.

۲- اضطبع: أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن و غطى به الأيسر.

۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ عن ابن سعد و الواقدى، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵ و ۸۸ و عن البدايه و النهايه ج ۴ ص ۳۰۱.

۴- الآيه ۵۸ من سوره النساء.

فدعا عثمان، فقال: (خذوها يا بنى شيبه خالده مخلده).

و فى لفظ: (تالده لا ينزعها منكم إلا ظالم) (۱).

و عن جابر و مجاهد: أنه (صلى اللّه عليه و آله) دخل فى الكعبه يوم الفتح، فخرج (صلى اللّه عليه و آله) و هو يتلو هذه الآيه، فدعا عثمان بن طلحه، فدفع إليه المفتاح، و قال (صلى اللّه عليه و آله): (خذوها يا بنى أبى طلحه بأمانه اللّه سبحانه و تعالى لا ينزعها منكم إلا ظالم) (۲).

و عن سعيد بن المسيب: (لا يظلمكموها إلا كافر) (۳).

و فى لفظ ابن سابط: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لعثمان بن طلحه:

(إنى لم أدفعها إليكم، و لكن اللّه تعالى دفعها إليكم) (۴).

و عن الزهرى: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما خرج من البيت قال على (عليه السلام): (إنا أعطينا النبوه و السقايه و الحجابه، ما قوم بأعظم نصيبا منّا).

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ و ۲۴۵ عن ابن عائذ، و الأزرقى، و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۰.
۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ عن الأزرقى و قال فى هامشه: أخرجه الطبرانى فى الكبير ج ۱۱ ص ۱۲۰، و انظر المجمع ج ۳ ص ۲۸۵ و ابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۹۹ و أبا نعيم فى تاريخ أصفهان ج ۱ ص ۲۴۸ و السيوطى فى الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۵ و ۱۷۴ عن ابن جرير و ابن المنذر.
۳- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۱.
۴- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ عن ابن عائذ، و ابن أبى شيبه، و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۱.

فکره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحه، فدفع المفتاح إلیه و قال: (غیبوه) (۱). فلذلک یغیب المفتاح (۲).

و عند الحلبی: أن علیا (علیه السلام) أخذ المفتاح و قال: یا رسول اللّه، إجمع لنا الحجابه مع السقایه.

فقال (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام): أکرهت و آذیت، و أمره (صلی اللّه علیه و آله) أن یرد المفتاح علی عثمان و یعتذر إلیه، فقد أنزل اللّه فی شأنک. أی أنزل اللّه علیه ذلک و هو فی جوف الکعبه. و قرأ علیه الآیه، ففعل ذلک علی) (۳).

و سیاق هذه الروایه یدل: علی أن علیا کرم اللّه وجهه أخذ المفتاح علی أن لا یرده لعثمان، فلما نزلت الآیه أمره (صلی اللّه علیه و آله) أن یرد المفتاح لعثمان .. (۴).

و عن ابن جریح عن ابن ملیکه: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال لعلی یومئذ حین کلمه فی المفتاح: (إنما أعطیتکم ما ترزؤون، و لم أعطکم ما ترزؤون).

یقول: (أعطیتکم السقایه لأنکم تغرمون فیها، و لم أعطکم البیت).

قال عبد الرزاق: أی أنهم یأخذون من هدیته (۵).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ عن عبد الرزاق، و الطبرانی.

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ عن الفاکهی.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۰.

۴- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۰.

۵- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ عن عبد الرزاق و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۰ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۵.

و عنـد الحلبی: إنمـا أعطیتکم مـا تبـذلون فیه أموالکم للنـاس، أی و هو السـقایه، لاـ مـا تأخـذون منه من النـاس أموالهم، و هی الحجابه، لشرفکم، و علو مقامکم (۱).

و اللافت هنا: أن الواقدی یذکر نفس هذه القضیه، بعین ألفاظها، و ینسبها إلی العباس لا إلی علی (علیه السلام) (۲).

عن ابن أبی ملیکه: أن العباس- رضی اللّه عنه- قال للنبی (صلی اللّه علیه و آله): یا نبی اللّه!! اجمع لنا الحجابه مع السقایه.

و نزل الوحی علی رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله)، فقال: (ادعوا لی عثمان بن طلحه)، فدعی له، فدفع له النبی (صـلی اللّه علیه و آله) المفتاح، و ستر علیه.

قال: فرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أول من ستر علیه، ثم قال:

(خذوها یا بنی طلحه، لا ینتزعها منکم إلا ظالم) (۳).

و فی روایه: (أنه لمـا دعـا عثمـان بن طلحه، و قـال له: أرنی المفتاح، فأتاه به، فلما بسط یـده إلیه قام العباس، فقال: یا رسول اللّه، اجعله لی مع السقایه، فکف عثمان یده.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): أرنی المفتاح، فبسط یده یعطیه.

فقال العباس مثل کلمته الأولی، فکف عثمان یده.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۰.
۲- راجع: المغازی ج ۲ ص ۸۳۳ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۵ عن البحر العمیق.
۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ عن عبد الرزاق.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): یا عثمان، إن کنت تؤمن باللّه و الیوم الآخر فهاتنی المفتاح.

فقال: هاک بأمانه اللّه).

(فأعطاه إیاه، و نزلت الآیه. قال ابن ظفر فی الینبوع: و هذا أولی) (۱).

و لعل هذا کان قبل دخوله (صلی اللّه علیه و آله) الکعبه، فیکون طلب العباس رضی اللّه عنه أن یکون المفتاح له تکرر قبل دخوله الکعبه و بعده (۲).

و بعد أن ذکر الحلبی: أن علیا (علیه السلام) دفع المفتاح إلی عثمان .. ثم ذکر أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) طلب من عثمان أن یأتی به، قال عثمان:

فأتیته به، فأخذه ثم دفعه إلیّ و قال: خذوها خالده تالده، لا ینزعها منکم إلا ظالم الخ ..

قال الحلبی: (و لا مانع أن یکون ذلک بعد أن دفعه علی کرم اللّه وجهه له بأمره (صلی اللّه علیه و آله)، و کأنه (صلی اللّه علیه و آله) أحب أن یؤدی الأمانه بیده الشریفه من غیر واسطه ..) (۳).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم عده وقفات، نجملها علی النحو التالی:

۱- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۷ و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۴ عن ابن مردویه، و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۱.

۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۱.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۱.

السقایه:

ذکرت الروایه المتقدمه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قبض مفتاح السقایه من العباس.

و السؤال هو: هل کان للسقایه من زمزم مفتاح أیضا؟! أم المقصود هو جعل السقایه فی عداد الحجابه؟!

و الذی نعرفه هو: أن السقایه کانت أحواضا من أدم، یوضع فیها الماء العذب من زمزم لسقایه الحاج، و قد یطرح فیها التمر، لتزید عذوبه الماء، و یلذ طعمه لشاربه.

فلعلهم کانوا قد وضعوا موانع تمنع الناس من الوصول إلی تلک الأحواض، و جعلوا لها أقفالا و مفاتیح.

توضیح أکرهت و آذیت:

ذکرت بعض الروایات المتقدمه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال لعلی (علیه السلام) حین طلب منه أن یجمع لهم الحجابه إلی السقایه:

أکرهت و آذیت. و أمره أن یرد المفتاح إلی عثمان، و یعتذر إلیه.

و نقول:

المقصود: أن علیا (علیه السلام) أکره و آذی عثمان بن طلحه حین امتنع عن دفع المفتاح، حیث لحقه إلی سطح الکعبه، و لوی یده، و أخذ المفتاح منه، و هو إکراه و أذی یحبه اللّه سبحانه، و فی سیاق امتثال أوامره تعالی، فإن امتناع عثمان عن إعطاء المفتاح یفرض إکراهه علی ذلک، لأن امتناعه یمثل تمردا علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) الذی لا ینطق عن

الهوى .. فإذا لجّ فی ذلک، فلا بد من إیذائه لدفع أذاه، و رد کیده ..

فکأن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یرید تطییب خاطر عثمان و بنی شیبه، و رد المفتاح إلیهم تألفا علی الإسلام، کما کان یتألف أبا سفیان، و غیره من رؤوس الکفر و الشرک.

أعطیتکم ما ترزؤون:

و قول رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) للعباس: أعطیتکم ما ترزؤون.

أی ما تبذلون فیه اموالکم للناس، لا ما تأخذون فیه من الناس أموالا یوضح: أن إعطاء الحجابه لبنی شیبه یراد منه إفساح المجال لهم لأخذ ما یقدمه الناس لهم، و هذا یؤید ما ذکرناه آنفا من أن المقصود من بذل تلک المنافع لهم هو: تألفهم علی الإسلام، و سل سخیمتهم علیه، لیعیشوا فی أجوائه بسکینه و رضا.

و لو أن بنی هاشم أخذوا الحجابه منهم، لوجد المنافقون و الحاسدون و الطامعون مجالا خصبا لاتهام النبی (صلی اللّه علیه و آله) بمحاباه أهل قرابته، و ابتغاء المنافع لهم، و تخصیصهم بالمغانم، و الأموال، و المناصب، الأمر الذی قد یؤثر علی ضعفاء العقول، و من هو رقیق الدین، حدیث الإیمان و الإسلام.

و لا نشک فی أن علیا (علیه السلام) کان یدرک هذه الحقیقه، فلم یکن لیفکر بطلب الحجابه لنفسه، و لا لبنی هاشم أصلا کما سنری .. و لکن الأمر بالنسبه للعباس لیس کذلک، فقد دلتنا بعض النصوص علی أنه کان یسعی للحصول علی بعض المنافع.

و قد أشرنا إلى شى ء من ذلک فيما سبق، و لسنا بصدد تحقيق هذا الأمر.

اللّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات:

و حول نزول آيه: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. (۱)

نقول:

إن هـذه الآيه قـد وردت فى سوره النساء التى انتهى نزولها قبل فتـح مكه بعـده سـنوات، و لو قبلنا جدلا بأن هذه الآيه قد ألحقت بموضعها من السوره بعد سنوات من تماميه نزولها، و هو أمر لا شاهد له سوى الإدعاء و التحكم، فإننا نقول:

قد روى فى شأن نزول هذه الآيه ما يدل على أنها لم تنزل فى شأن عثمان بن طلحه فى فتح مكه فلاحظ ما يلى:

۱- عن زيد بن أسلم: أنزلت هذه الآيه فى ولاه الأمر، و فيمن ولى من أمور الناس شيئا (۲).

۲- عن شهر بن حوشب قال: نزلت فى الأمراء خاصه، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. (۳).

۳- عن ابن عباس فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ

۱- الآيه ۵۸ من سوره النساء.

۲- الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۵ عن المصنف لابن أبى شيبه، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم.

۳- الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۵ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

إِلى أَهْلِها .. قال: يعنى السلطان، يعطون الناس (۱).

على عليه السّلام لا يطلب الحجابه:

و قد ذكرت الروايات: أن عليا (عليه السلام) طلب الحجابه لنفسه أو لبنى هاشم، و قد تضمنت تلك الروايات نفسها أمورا تدل على أنها مفتراه، و نحن نجمل ملاحظاتنا عليها على النحو التالى:

۱- إن ثمه تناقضا ظاهرا بين الروايات، بل قد تجد التناقض فى الروايه الواحده و نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ألف: أن الروايه تقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أخذ المفتاح من عثمان، ثم دفعه إليه، و قال: خذوها خالده تالده الخ ..

ثم إن الروايه نفسها تتبع ذلك بالقول: فقام على بن أبى طالب (عليه السلام) و مفتاح الكعبه بيده، فقال: يا رسول اللّه، اجمع لنا الحجابه مع السقايه.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أين عثمان بن طلحه؟

فدعى، فقال (صلى اللّه عليه و آله): هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء.

قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مضطبع بثوبه عليه ..

فهل أعطى النبى (صلى اللّه عليه و آله) عثمان المفتاح قبل طلب على

۱- الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۵ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

(علیه السلام)؟! أم بعده؟!

و هل كان المفتاح مع علی (علیه السلام)؟! أم مع النبی (صلی اللّه علیه و آله)؟!

و هل استعاد النبی (صلی اللّه علیه و آله) المفتاح من عثمان، و صار معه، و اضطبع علیه بثوبه؟ أم استعاده من علی (علیه السلام)، كما هو صریح بعض الروایات المتقدمه؟!

ب: هل قال النبی (صلی اللّه علیه و آله): ادعوا لی عثمان، فدعوه، فأعطاه المفتاح حین كلمه علی (علیه السلام) فی أمر الحجابه؟! أم حین كلمه العباس؟!

ج: هل نزلت آیه: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها ..

لحظه استلام النبی (صلی اللّه علیه و آله) المفتاح قبل دخول الكعبه؟! أم نزلت حین كان النبی (صلی اللّه علیه و آله) داخل الكعبه؟!

د: هل إن طلب العباس من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یجعل الحجابه له كان قبل دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) للكعبه؟! أم كان بعد خروجه منها؟!

طریقه جمع فاشله:

و قد احتمل الحلبی الشافعی: أن یكون طلب العباس للحجابه قد تكرر، فكان مره قبل دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی الكعبه، و مره بعد خروجه منها (۱).

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۱.

و هو كلام غير مقبول .. فإن هـذا الطلب قـد جوبه بالرفض، و جعل الحجابه لبنى شـيبه، و نزول آيه أداء الأمانه إلى أهلها .. فبعد هذا و ذاك لا يبقى مجال لتكرار الطلب من العباس، فإنه سيكون أمرا منافيا للتسليم لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و مخالفا للأدب معه، فلا يقدم عليه العباس، و لا غيره، فإن الكل يعلم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يخالف ما يأمره اللّه تبارك و تعالى به.

أو فقل: إن الآيه قد نزلت لتحسم أمر المفتاح، فمعنى معاوده الطلب هو رفض القرار الإلهى أو الاعتراض عليه، و هذا مما لا يمكن أن يقدم عليه مثل العباس.

السدانه و السقايه مردودتان إلى أهليهما:

و قد صرحت الخطبه المتقدمه: بأن الحجابه (السدانه) و السقايه مردودتان إلى أهليهما ..

و تقدم أيضا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) بعد أن طمس الصور التى كانت فى داخل الكعبه، أخذ بعضادتى الباب، فخطب خطبته الآنفه الذكر .. و قد ورد فى خطبته تلك قوله: (إلا سدانه البيت، و سقايه الحج، فإنهما مردودتان إلى أهليهما).

فرد السقايه و السدانه إلى أهليهما قد حصل قبل أن يغادر النبى (صلى اللّه عليه و آله) باب الكعبه ..

و لكن الروايات المتقدمه تدّعى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد وضع المفتاح فى كمه، و تنحى ناحيه المسجد، فجلس عند السقايه، ثم رد الحجابه

و السقایه علی أهلیهما.

و هناك طلب العباس، أو علی (علیه السلام)، أو كلاهما- حسب زعمهم- الحجابه لنفسه، أو لعشیر ته ..

فكیف یطلبانها بعد أن صرح (صلی اللّه علیه و آله) بردها إلی أهلها قبل أن یغادر باب الكعبه؟!

أعطینا النبوه و السقایه و الحجابه:

و أما ما نسب إلی علی (علیه السلام) من أنه قال: أعطینا النبوه، و السقایه، و الحجابه. ما قوم بأعظم نصیبا منا، فهو:

إما لم یحصل إن كان یقصد به إعطاء المفتاح لهم، و إیكال أمر الحجابه إلیهم. لأن ما حصل هو مجرد أخذ النبی (صلی اللّه علیه و آله) المفتاح لفتح باب الكعبه، لإزاله ما فی داخلها مما یسی ء إلیها، و لم یعط النبی (صلی اللّه علیه و آله) الحجابه لأحد. لا لبنی هاشم و لا لغیرهم، و لا تعرض لهذا الأمر بعد، لا بالسلب و لا بالإیجاب، و لم تظهر منه أیه إشاره إلی الجهه التی سوف یوكل إلیها أمر الحجابه ..

و إما أنه قد حصل، و لكن قد قصد به معنی آخر، و هو: أن أمر الحجابه و السقایه قد أصبح لرسول اللّه یضعه حیث یشاء.

فرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من بنی هاشم، و له النبوه، و له أمر السقایه و الحجابه، فیصح للهاشمی أن یقول: (أعطینا النبوه، و السقایه، و الحجابه، ما قوم بأعظم نصیبا منا). و لا یخفی أنه بهذا المعنی تكون كل الأمور بید النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فلا خصوصیه للسقایه و الحجابه.

إلا أن يدّعى: أن الخصوصيه كون المقام مقام جعل هذين الأمرين- السقايه و الحجابه- فى أهليهما دون غيرهما من الأمور!!

و الحاصل: أن المقصود إن كان هذا المعنى، فلا معنى لما تذكره الروايه من أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كره مقالته .. بل المتوقع منه هو أن يؤيدها، و يصدقها.

و إن كان المقصود: هو المعنى الأول، فذلك لا يقصده على (عليه السلام)، لأنه أمر لا واقع له.

البيعه فى فتح مكه:

عن الأسود بن خلف: أنه رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يبايع الناس يوم الفتح. قال: جلس عند قرن مسفله، فبايع الناس على الإسلام، فجاءه الكبار و الصغار، و الرجال و النساء، فبايعهم على الإيمان باللّه تعالى، و شهاده أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا عبده و رسوله (۱).

و قال ابن جرير: اجتمع الناس بمكه لبيعه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على الإسلام، فجلس لهم- فيما بلغنى- على الصفا، و عمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأخذ على الناس السمع و الطاعه للّه و لرسوله فيما استطاعوا (۲).

فلما فرغ من بيعه الرجال بايع النساء، و فيهن هند بنت عتبه، امرأه أبى

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ عن أحمد، و البيهقى، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج ۳ ص ۴۱۵ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۹۴.

۲- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹.

سفیان متنقبه متنکره خوفا من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یخبرها بما کان من صنیعها بحمزه، فهی تخاف أن یأخذ بحدثها ذلک.

فلما دنین من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال: (بایعننی علی ألا تشرکن باللّه شیئا).

فرفعت هند رأسها و قالت: و اللّه إنک لتأخذ علینا ما لا تأخذه علی الرجال.

فقال: (و لا تسرقن).

فقالت: و اللّه إنی کنت أصبت من مال أبی سفیان الهنه، و ما کنت أدری أکان ذلک حلالا أم لا؟

فقال أبو سفیان- و کان شاهدا لما تقول-: أما ما أصبت فیما مضی فأنت منه فی حل، عفا اللّه عنک.

ثم قال: (و لا تزنین).

فقالت: یا رسول اللّه، أو تزنی الحره؟!

ثم قال: (و لا تقتلن أولادکن).

قالت: قد ربیناهم صغارا، و قتلتهم کبارا، فأنت و هم أعلم.

فضحک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و عمر، ثم قال: (و لا تأتین ببهتان تفترینه بین أیدیکن و أرجلکن).

فقالت: و اللّه، إن إتیان البهتان لقبیح، و لبعض التجاوز أمثل.

ثم قال: (و لا تعصین).

فقالت: فی معروف.

و فی الحلبیه: لما قال (صلی اللّه علیه و آله): و لا تعصین فی معروف.

قالت: و اللّه ما جلسنا مجلسنا هذا و فی أنفسنا أن نعصیک (۱).

و فیها أیضا: أن هندا قالت: ما هذا المعروف الذی لا ینبغی لنا أن نعصیک فیه؟

قال: لا تصحن (أو لا تنحن)، و لا تخمشن وجها، و لا تنشرن شعرا، و لا تحلقن قرنا، و لا تشققن جیبا، و لا تدعین بالویل (۲).

ثم قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لعمر: (بایعهن، و استغفر لهن اللّه، إن اللّه غفور رحیم).

فبایعهن عمر، و کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لا یصافح النساء، و لا یمس جلده امرأه لم یحلها اللّه تعالی له، أو ذات محرم.

و روی الشیخان، عن عائشه قالت: لا و اللّه ما مست ید رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ید امرأه قط.

و فی روایه: ما کان یبایعهن إلا کلاما، و یقول: إنما قولی لامرأه واحده کقولی لمائه امرأه (۳).

زاد فی نص آخر قوله: و لا تلحقن بأزواجکن غیر أولادهم (۴).

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۶.
۲- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۶.
۳- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ و ۲۴۸ عن ابن جریر، و فی هامشه عن: مسند أحمد ج ۶ ص ۳۵۷ و زاد المسیر ج ۸ ص ۱۴۵ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۳۱۹ و راجع: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۴ و ۹۶ و البحار ج ۲۱ ص ۹۸ عن مجمع البیان ج ۹ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۹.
۴- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۶.

و جاءه (صلی اللّه علیه و آله) رجل، فأخذته الرعده، فقال له (صلی اللّه علیه و آله): هون علیک، فإنی لست بملک، إنما أنا ابن امرأه کانت تأکل القدید (۱).

و روی علی بن إبراهیم: عن أبیه، عن أحمد بن محمد بن أبی نصر (البزنطی)، عن أبان، عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) قال: لما فتح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه بایع الرجال. ثم جاء النساء یبایعنه، فأنزل اللّه عز و جل: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذا جاءَکَ الْمُؤْمِناتُ یُبایِعْنَکَ عَلی أَنْ لا یُشْرِکْنَ بِاللَّهِ شَیْئاً وَ لا یَسْرِقْنَ وَ لا یَزْنِینَ وَ لا یَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لا یَأْتِینَ بِبُهْتانٍ یَفْتَرِینَهُ بَیْنَ أَیْدِیهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لا یَعْصِینَکَ فِی مَعْرُوفٍ فَبایِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۲).

فقالت هند: أما الولد فقد ربیناهم صغارا، و قتلتهم کبارا.

و قالت أم حکیم بنت الحارث بن هشام، و کانت عند عکرمه بن أبی جهل: یا رسول اللّه، ما ذلک المعروف الذی أمرنا اللّه أن لا نعصیک فیه؟

قال: لا تلطمن خدا، و لا تخمشن وجها، و لا تنتفن شعرا، و لا تشققن جیبا، و لا تسودن ثوبا، و لا تدعین بویل.

فبایعهن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی هذا.

فقالت: یا رسول اللّه، کیف نبایعک؟

قال: إننی لا أصافح النساء.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۴.

۲- الآیه ۱۲ من سوره الممتحنه.

فدعا بقدح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها، فقال: أدخلن أيديكن فی هذا الماء، فهی البیعه.

و فی الکافی: رواه عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن بعض أصحابه عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) مثله (۱).

و فی مدارک التنزیل: أنه (صلی اللّه علیه و آله) لما فرغ من بیعه الرجال أخذ فی بیعه النساء و هو علی الصفا، و عمر جالس أسفل منه یبایعهن بأمره، و یبلغهن عنه.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): أبایعکن علی أن لا تشرکن باللّه شیئا.

فبایع عمر النساء علی أن لا یشرکن باللّه شیئا الخ .. (۲).

ما الذی أضحک عمر بن الخطاب؟!:

و ذکروا: أن هندا لما قالت: قد ربیناهم صغارا، و قتلتهم کبارا، فأنت و هم أعلم. ضحک عمر حتی استلقی، و تبسم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۳)، و لم یذکروا عن سبب ضحک أو تبسم عمر شیئا.

و الظاهر هو: أن ثمه تصرفا و حذفا متعمدا، و یدل علیه ما رواه

۱- الکافی ج ۳ ص ۶۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۴ و ۱۱۳ و ۱۱۷ و ج ۶۴ ص ۱۷۸ عنه و عن تفسیر القمی ج ۲ ص ۳۶۴، و الوسائل (ط مؤسسه آل البیت) ج ۲۰ ص ۲۱۱ و تفسیر الصافی ج ۵ ص ۱۶۶ و تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۳۰۷ و تفسیر المیزان ج ۱۹ ص ۲۴۶ و تحف العقول (ط ۲) ص ۴۵۷ عن أبی جعفر.

۲- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۹.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۶.

الطبرسی و غیره، قال:

(فقال: و لا تزنین.

فقالت هند: أو تزنی الحره؟

فتبسم عمر بن الخطاب لما جری بینها و بینه فی الجاهلیه.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): و لا تقتلن أولادکن.

فقالت هند: ربیناهم صغارا، و قتلتموهم کبارا، فأنتم و هم أعلم.

و کان ابنها حنظله بن أبی سفیان قتله علی بن أبی طالب (علیه السلام) یوم بدر.

فضحک عمر حتی استلقی، و تبسم النبی (صلی اللّه علیه و آله) ..) (۱).

و لکن النص الذی أورده الدیار بکری قد حرّف الحقیقه، و أصبح بحیث یوحی: بأن ضحک النبی (صلی اللّه علیه و آله) إنما کان لأجل أنه عرفها و هی متنقبه و متنکره، فقد قال: (فقالت هند: إن أبا سفیان رجل شحیح، فإن أصبت من ماله هناه؟

فقال أبو سفیان: ما أصبت فهو لک حلال.

فضحک النبی (صلی اللّه علیه و آله) و عرفها، و قال لها: و إنک لهند؟!

فقالت: نعم، فاعف عما سلف یا نبی اللّه، عفا اللّه عنک) (۲).

إلا أن یقال: إنه (صلی اللّه علیه و آله) قد ضحک لما عرفها، فلا مانع من أن یضحک مره أخری حین قالت ما قالت من أجل ما یعرفه عنها.

۱- مجمع البیان ج ۹ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ و البحار ج ۲۱ ص ۹۸.

۲- تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۹.

مع تذكيرنا القارئ الكريم بأننا لا نوافق على زعمهم: من أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يعرفها فى بادئ الأمر.

بل نقول:

إنه قد ضحك منها، لظنها أنه لم يكن قد عرفها.

أو تزنى الحره؟!:

إننا لا نحب أن نذكر بعض الأمور التى قد يسعى البعض لتصنيفها فى عداد الأمور الشخصيه، التى يحسن التستر عليها ما دام أنها لا فائده من إثاره الحديث حولها، لا من الناحيه التربويه و السلوكيه، و لا من الناحيه الإيمانيه و الإعتقاديه، كما لا أثر لها فى استفاده المعنى و المفهوم الذى يفيد فى تحديد النهج، أو يؤثر على المسار السياسى، أو ما إلى ذلك.

غير أننا نقول:

إن هناك ميزات أو حالات شخصيه لبعض الأفراد يفيد التعرف عليها فى وضوح المفهوم العقائدى أحيانا، و ربما يؤثر على المسار و السلوك حتى فى النواحى السياسيه لأمه بأسرها. من حيث إنه يطبعه فى إطار تلك الخصوصيه بطابع الشرع و التدين و الإعتقاد، و الممارسه السياسيه و غيرها ..

و يأتى موضوع هند بنت عتبه فى هذا السياق .. لأن هندا هى أم معاويه مؤسس الدوله الأمويه، التى حكمت الأمه عشرات السنين باسم خلافه النبوه، و باسم الدين و الشرع.

فإذا أثبتت الأحداث و النصوص: أن معاويه كان من الطلقاء ..

و أثبتت وجود شكوك و شبهات فى طهاره مولده، من خلال ما ينسب

لأمه، فإن تصديه لأمر الخلافه، بل لأى مقام هو أقل من ذلک بمراتب، یصبح بلا مبرر حتى بنظر من لا یرون أن الإمامه إنما تجب بالنص و التعیین من اللّه و رسوله ..

بالإضافه إلى آثار أخرى تترتب على ظهور هذه الشکوک ..

من أجل ذلک نقول:

إن النصوص حول هذا الموضوع کثیره نختار منها ما یلی:

قالوا:

۱- کانت هند تذکر فی مکه بفجور و عهر (۱).

۲- کانت کما یقول الکلبی: مغیلمه (أی تغلبها شهوتها)، و کانت تمیل إلى السودان من الرجال (۲).

۳- قد اعترف معاویه نفسه: بأن بعض قریش فی الجاهلیه یزعمون: أن معاویه للعباس بن المطلب .. و قد عرّض إسحاق بن طلحه بذلک لیزید بن معاویه (۳).

۴- و قد کتب زیاد بن أبیه لمعاویه: (و أما تعییرک لی بسمیه، فإن کنت ابن سمیه، فأنت ابن جماعه) (۴).

۵- و قال الإمام الحسن (علیه السلام) لمعاویه: (و قد علمت الفراش

۱- شرح النهج للمعتزلی ج ۱ ص ۳۳۶ الخطبه رقم (۲۵) و البحار ج ۳۳ ص ۲۰۰ و الغدیر ج ۱۰ ص ۱۷۰.

۲- راجع: الغدیر (ط سنه ۱۴۲۴ ه) ج ۱۱ ص ۲۴۲ و تذکره الخواص ص ۲۰۳.

۳- ربیع الأبرار ج ۳ ص ۵۵۱ و تذکره الخواص ص ۲۰۳ و الغدیر ج ۱۰ ص ۱۷۰.

۴- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۶ ص ۱۸۳.

الذی ولدت علیه) (۱).

۶- و تقدم: أن عمر تبسم حین قالت: أو تزنی الحره، لما جری بینه و بینها فی الجاهلیه (۲).

إسلام هند بعد أبی سفیان بلیله:

قالوا: (و فی إسلام أبی سفیان قبل هند، و إسلامها قبل انقضاء عدتها، أی لأنها أسلمت بعده بلیله واحده، و إقرارها علی نکاحهما حجه لشافعی ..) (۳).

و نقول:

قد تقدم: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أرجع زینب علی أبی العاص حین أسلم قبل انقضاء عدتها.

کما أن من الواضح: أن مئات من الناس قبل إسلام هند و أبی سفیان قد أسلموا قبل إسلام نسائهم، و لم یفرق النبی (صلی اللّه علیه و آله) بینهم لأنهن أسلمن قبل انقضاء عدتهن، فلا حاجه للاستدلال بهند و زوجها.

إنی لا أصافح النساء:

و جاء: أن بعض النساء- و صرح الواقدی بأنها هند- قالت: یا رسول اللّه، نماسحک، أو قالت: هلم نبایعک یا رسول اللّه.

۱- تذکره الخواص ص ۲۰۱ و ۲۰۲.

۲- و راجع: تذکره الخواص ص ۲۰۳.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۹۶ و ۹۷.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): لا أصافح النساء. و إنما قولى لمائه امرأه كقولى لامرأه واحده.

و فى نص آخر: لألف امرأه (۱).

و نقول:

لعل طلب النساء منه (صلى اللّه عليه و آله) أن يبايعنه بطريقه المصافحه قد تكرر من قبل عده نساء، فتكررت الإجابه، فعبر تاره بمائه امرأه، و أخرى بألف ..

و عن عائشه: لم يصافح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) امرأه قط، و إنما كان يبايعهن بالكلام (۲).

و عن الشعبى: بايع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) النساء و على يده ثوب.

و قيل: إنه غمس يده فى إناء، و أمرهن فغمسن أيديهن فيه. فكانت هذه البيعه.

قال ابن الجوزى: و القول الأول أثبت (۳).

و نقول:

لقد كانت هناك عده بيعات للنساء مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۹۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۴۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۵۰ و ۸۵۱.
۲- البحار ج ۲۱ ص ۹۸ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ عن صحيح البخارى.
۳- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۹۷ و البحار ج ۲۱ ص ۹۸ و مجمع البيان ج ۹ ص ۹۹ و ۲۷۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۵۱.

إحداها: يوم الفتح.

و بيعه أخرى: حين قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المدينه، فقد روت أم عطيه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) جمع نساء الأنصار فى بيت، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب، فقام على الباب، فسلم، فرددن عليه السلام، فقال: أنا رسول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليكن، يبايعكن على أن لا تشركن باللّه شيئا .. و قرأ إلى قوله تعالى: .. فِي مَعْرُوفٍ .. (۱).

فقلن: نعم.

فمد يده من خارج، و مددن أيديهن من داخل البيت، ثم قال: اللهم اشهد.

قال الحلبى: و لعل ذلك كان بحائل، و الفتنه مأمونه (۲).

و الخلاصه: أن البيعه قد تكررت قبل الهجره و بعدها، و فى يوم الفتح، و فى غيره، فلعله (صلى اللّه عليه و آله) بايعهن مره بواسطه غمس اليد فى الإناء، و أخرى بالكلام ..

و أما البيعه بالمصافحه من وراء الثوب، فنحن لا نستطيع أن ننسبها إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قد تقدم التصريح بأنه لا يصافح النساء، و لعل عمر هو الذى فعل ذلك، فنسب ذلك إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، لأنه زعم لهن أنه مرسل من قبله (صلى اللّه عليه و آله).

و دعوى ذلك من قبل الشعبى، الذى قد يتهم: بأنه يريد تبرير فعل

۱- الآيه ۱۲ من سوره الممتحنه.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۹۷.

بعض من كان يسعى لتأييد سلطانهم، و إحكام بنيانهم، تبقى غير قابله للإعتماد، فإن الشعبى لم يكن فى زمان النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و لا ندرى عمن نقل هذه الكذبه الظاهره.

جرأه هند:

أما ما أظهرته هند من جرأه فى محضر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

حتى إنها كانت تعقب على كل كلمه قالها، و كل شرط أخذه (صلى اللّه عليه و آله) على النساء، فقد يحسب البعض أنه أمر تستحق المدح و الثناء عليه، كما أنه يشير إلى أنها تعيش معنى الحريه بمفهومها الأوسع ..

و يؤيد ذلك: أننا لم نجد من النبى (صلى اللّه عليه و آله) ما يشير إلى أى تبرم، أو تضايق، أو اعتراض على أقوالها و مداخلاتها ..

غير أننا نقول:

إن هذا الذى فعلته هند إن دل على شى ء، فإنما يدل على أنها لا توقر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا تلتزم بحدود الآداب معه، بل فى كلماتها ما يدل على حقدها الدفين، و بغضها الراسخ لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلاحظ ما يلى:

۱- إنها تقول: (و اللّه إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال) و هذا يمثل محاوله منها للتشكيك بإنصاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و عدله .. بل هى تريد الإيحاء بأنه (صلى اللّه عليه و آله) قاس و ظالم، و لا ينطلق فى ممارساته من موازين العدل، و لا مما تقضى به الفطره، و يحكم به العقل، لأنه يأخذ على النساء ما لا يأخذه على الرجال .. مع أن الرجال

أقوى من النساء.

٢- ثم إنه لما قال (صلى اللّه عليه و آله): (و لا تقتلن أولادكن). قالت:

(ربيناهم صغارا، و قتلتهم كبارا، فأنت و هم أعلم).

فقد تضمن كلامها هذا: التلويح بثاراتها عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و التصريح بأن النبى قاتل الأبناء و الأحبه، حين كبروا.

و التشكيك فى أن يكون محقا فى قتله إياهم، حيث قالت: فأنت و هم أعلم.

و هل نسيت هند: أنها و زوجها، و أهلها، و عشيرتها كانوا باستمرارهم الذين يهاجمون رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يسعون فى محو ذكره، و إبطال أمره، و استئصال شأفته؟!

و هل نسيت هند: كبد الحمزه حين حاولت أن تأكلها، فلاكتها و لم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، حتى سميت بآكله الأكباد؟!

و أخيرا، فإننا نلاحظ: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد تجاهل هذه المرأه تجاهلا تاما، و لم يعلق على كلماتها بشى ء، رغم أنها كانت جارحه له، حسبما أوضحناه.

و ذلك هو الخلق النبيل، و تلك هى سعه الصدر، و السماحه، و الصفح، و العفو عند المقدره. و من أولى من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بذلك كله؟

عمر فى بيعه النساء:

و زعموا: أن عمر بن الخطاب كان يبايع النساء بأمره (صلى اللّه عليه

و آله)، و يبلغهن عنه ..

و لا نجد حاجه لأمر كهذا، و لو احتاج النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى من يعينه فى بيعه النساء، فلما ذا لا يحتاج إلى مثل هذا المعين فى بيعه الرجال؟

فإنه لا فرق بين الجنسين من حيث كثره العدد، و لا فى أى شى ء يوجب المعونه هنا، و الإستغناء عنها هناك. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲۲ ۳۰۴ عمر فى بيعه النساء: ..... ص : ۳۰۳

فلعل عمر قد حشر نفسه فى هذا الأمر، و حاول أن يعيد كلمات النبى (صلى اللّه عليه و آله) على مسامعهن، ليظهر لهن أن له موقعا، أو يوهم الناس أنه يقوم بعمل ما فى هذا الفتح العظيم، الذى لم نجد له فيه مكانا، و لا سمعنا له فيه صوتا، لا فى تحطيم الأصنام، و لا فى ملاحقه المطلوبين للعداله، الذين أهدر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) دمهم .. بل وجدناه فقط مع النساء كما يقولون.

و عمر رجل مغرم بالنساء بصوره غير عاديه، و قد ذكرنا فى موضع سابق من هذا الكتاب: أنه كان إذا أراد الحاجه تقول له زوجته: تذهب إلى بنات فلان تنظر إليهن (۱).

و هو الذى يقول: إنه لم يبق فيه شى ء من أمر الجاهليه، إلا أنه لا يبالى أى الناس نكح، و أيهم أنكح (۲).

و قصته مع عاتكه بنت زيد، التى كانت جميله، و مات زوجها فخطبها

۱- راجع: المصنف لعبد الرزاق ج ۷ ص ۳۰۳ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۳۰۴ عن الطبرانى.

۲- طبقات ابن سعد (ط بيروت سنه ۱۳۷۷ ه) ج ۳ ص ۹۸۲.

عمر، فرفضته، فعقد لنفسه- بزعمه- ثم ذهب إليها فعاركها حتى وطأها أشهر من أن تذكر (۱).

بيعه معاويه .. و إسلامه!!:

و كان من جمله من بايع النبی (صلی اللّه علیه و آله) معاويه.

فقد روى عنه قوله: لما كان عام الحديبيه وقع الإسلام فی قلبی، فذكرت ذلک لأمی.

فقالت: إياک أن تخالف أباک، فيقطع عنک القوت.

فأسلمت، و أخفيت إسلامی.

فقال لی يوما أبو سفيان، و كأنه شعر بإسلامی: أخوک خير منک، و هو على دينی.

فلما كان عام الفتح أظهرت إسلامی، و لقيته (صلی اللّه علیه و آله)، فرحب بی الخ .. (۲). ثم يستمر الحلبی فی ذكر فضائل معاويه و مآثره ..

و نقول:

أولا: إن هذا الحديث مروی عن معاويه نفسه، و هو غير مأمون على الروايه مطلقا، فكيف إذا كان يحدث عن نفسه، و يريد أن يثبت لها فضيله، أو يدفع عنها رذيله؟

ثانيا: إن هذا الكلام غير صحيح، إذ إن معاويه لو كان قد أسلم قبل ذلک لم يصح أن يعتبره المسلمون من الطلقاء. و قد تقدمت طائفه من

۱- طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ۸ ص ۱۹۴ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۶۳۳.

۲- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۹۴ و ۹۵.

النصوص التی تصـرح بذلک، و هی مرویه عن: عمر بن الخطاب، و علی بن أبی طالب (علیه السلام)، و ابن عباس، و المسور بن مخرمه، و سـعنه بن عریض، و صعصـعه بن صوحـان، و عبـد الرحمن بن غنم .. فراجع ما قـدمناه فی فصل سابق، فی فقره بعنوان: (الطلقاء .. و الخلافه).

و الذی یبدو لنا: أن معاویه قد أراد أن یتخلص من وصمه العار هذه، فاخترع لنفسه هذا الحدیث ..

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات

اشاره

لا هجره بعد الفتح:

قالوا: إن مكه شرفها اللّه تعالى كانت قبل الفتح دار حرب، و كانت الهجره منها واجبه إلى المدينه، فلما فتحت مكه صارت دار إسلام، فانقطعت الهجره منها.

و عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه: (لا هجره بعد الفتح، و لكن جهاد و نيه، و إذا استنفرتم فانفروا) (۱).

و عن عطاء بن أبى رباح قال: زرت عائشه مع عبيد بن عمير الليثى، و هى مجاوره بثبير، فسألها عن الهجره، فقالت: (لا هجره اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى اللّه و رسوله، مخافه أن يفتن عنه.

فأما اليوم فقد أظهر اللّه تعالى الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث كان، و لكن جهاد و نيه) (۲).

البيعه على الجهاد:

و عن يعلى بن صفوان بن أميه قال: جئت بأبى يوم الفتح، فقلت: يا

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن البخارى، و مسلم.

۲- المصدر السابق.

رسول اللّه بايع أبی علی الهجره.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله): (بل أبايعه علی الجهاد فقد انقضت الهجره) (۱).

عن مجاهد مرسلا، قال: جاء يعلی بن صفوان بن أميه بعد الفتح، فقال:

يا رسول اللّه، اجعل لأبی نصيبا فی الهجره.

فقال: (لا هجره بعد اليوم).

فأتی العباس، فقال: يا أبا الفضل، ألست قد عرفت بلائی؟

قال: بلی، و ما ذا؟

قال: أتيت رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) بأبی ليبايعه علی الهجره فأبی، فقام العباس معه فی قيظ ما عليه رداء، فقال لرسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله): أتاك يعلی بأبيه لتبايعه علی الهجره فلم تفعل.

فقال: (إنه لا هجره اليوم).

قال: أقسمت عليك يا رسول اللّه لتبايعه.

فمد رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) يده فبايعه، فقال: (قد أبررت عمی و لا هجره) (۲).

و نقول:

إن لنا ههنا وقفات للتوضيح و البيان و هی التاليه:

۱- قد ذكرنا حين الكلام حول هجره العباس و إسلامه:

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن أحمد، و النسائی

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ و ۲۶۱ عن ابن أبی أسامه.

أن الهجره باقيه ما دام هناك خوف على النفس من أعداء اللّه تعالى و أعداء أهل الإيمان، و قد صرح بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فى خطبه له، قرر فيها (عليه السلام): أن الهجره من أرض يضطهد فيها أهل الإيمان باقيه و قائمه.

و صرح أيضا (عليه السلام): بأن الهجره هى لمن عرف حجه اللّه فى الأرض، و ليست لأهل الضلال و الإنحراف، و من آمن ببعض الكتاب و كفر ببعض، و تعصب و كابر (۱).

۲- إن الهجره التى نفاها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هى الهجره من مكه بعد فتحها، و لم يرد نفى موضوع الهجره، و قد أوضح حديث عائشه المتقدم ذلك.

۳- إن الذين كانوا يأتون إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعد الفتح، و يصرون أن يبايعوه على الهجره إنما كانوا يفعلون ذلك لأنهم عرفوا أن للهجره قيمه فى الإسلام، و أن للمهاجر مقاما منيفا، و موقعا رفيعا و شريفا. فأرادوا أن ينالوا شرفا ليس فيهم، و مقاما ليس لهم، فمنعوا من ذلك على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لذلك صاروا يوسطون الآخرين للحصول على ما منعوا منه، فلم تنفعهم الوساطات شيئا.

و لكن إذا كان أهل الحق و الصدق يواجهون فى بلد آخر ضغوطا و اضطهادا من أجل دينهم، ثم هاجروا فرارا بدينهم إلى بلد الإسلام،

۱- راجع: خطبه رقم ۱۸۷ فى نهج البلاغه، و البحار ج ۶۶ ص ۲۲۷ و الإيجاز و الإعجاز للثعالبى ص ۳۲.

و حیث یحمیهم النبی (صلی اللّه علیه و آله) أو الإمام (علیه السلام)، فإن لهم مقام المهاجر إلی اللّه و رسوله، و أجره، و شرفه، و عزته ..

إن ظهر النبی صلّی اللّه علیه و آله علی مکه آمن به:

عن ابن إسحاق السبیعی قال: قدم ذو الجوشن الکلابی علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال له: (ما یمنعک من الإسلام)؟.

قال: رأیت قومک کذبوک، و أخرجوک، و قاتلوک، فانظر، فإن ظهرت علیهم آمنت بک و اتبعتک، و إن ظهروا علیک لم أتبعک.

فقال له رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (یا ذا الجوشن، لعلک إن بقیت قلیلا أن تری ظهوری علیهم).

قال: فو اللّه إنی لبضریه (۱)، إذ قدم علینا راکب من قبل مکه، فقلنا ما الخبر؟

قال: ظهر محمد علی أهل مکه. فکان ذو الجوشن یتوجع علی ترکه الإسلام حین دعاه إلیه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

قلت: و أسلم بعد ذلک، و روی عن النبی (صلی اللّه علیه و آله) (۲).

و قال الحسن البصری: (لما فتح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه، قالت العرب: أما ظفر محمد بأهل الحرم، و قد أجارهم اللّه من أصحاب

۱- ضریه: اسم مکان. قریه فی طریق مکه، من البصره من نجد (معجم البلدان).

۲- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۱ عن ابن سعد، و فی هامشه عن: مسند أحمد ج ۴ ص ۶۸ و المصنف لابن أبی شیبه ج ۱۴ ص ۳۷۵ و الطبقات لابن سعد ج ۶ ص ۳۱.

الفيل، فليس لكم به يـد. فكانوا يـدخلون فى دين اللّه أفواجا، بعـد أن كانوا يـدخلون فيه واحـدا واحـدا، و اثنين. فصارت القبيله تدخل بأسرها فى الإسلام) (١).

و نقول:

إن لنا الحق فى أن نسجل بعض الملاحظات، التى نوجزها كما يلى:

إسلام العرب:

١- إن ما تقدم يوضح لنا حقيقه هامه هى: أن إسـلام العرب لم يكن عن قناعه، و إنما لأنه لم يعد لهم بمحمد يد. أى أنهم كانوا يتوقعون أن تتمكن قريش من التغلب عليه، و إذ بها قد عجزت عن ذلك. فجاءهم ما لا قبل لهم به، فاضطروا إلى إظهار الإسلام.

٢- و من الواضـح: أن المقصود بالعرب هو: قسم منهم، و لعلهم الأعراب الذين حكى اللّه عنهم هذا المعنى، فقال: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ .. (٢).

و إلا فقد كان فى العرب طوائف كبيره دخلت فى الإسلام طوعا، قبل فتح مكه، و حيث لم يكن هناك ما يدعو إلى الخوف منه، بل لأنهم وجدوا فى الإسلام ضالتهم، و ما بهر عقولهم، و ما من شأنه أن يحل مشاكلهم.

٣- و فى حـديث ذى الجوشن الكلابى دلالـه ظـاهره على موقع القوه التى تصـنع النصـر فى تفكير ذلـك الرجل، و اعتبارها هى المعيار. و إليها

١- البحار ج ٢١ ص ٩٩ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥۴.
٢- الآيه ١۴ من سوره الحجرات.

يستند القرار بالإيمان و الكفر، مع أن القوه الماديه قد تتوفر للحق و أهله، و قد لا تتوفر لهم، بل تكون لدى أهل الباطل. فالقوه لا تستطيع أن تعطى الإنسان أيه فرصه لتمييز الحق من الباطل، كيف و قد قتل الأقوياء أنبياء اللّه و أوصياءهم، و اعتدوا على الضعفاء، و على النساء و الصبيان و قتلوهم؟

۴- إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد قدم لذى الجوشن دليلا على صحه نبوته، تمثّل فى إخباره الغيبى القريب عن ظهوره و انتصاره على أهل مكه، فقال له (صلى اللّه عليه و آله): (لعلك إن بقيت قليلا أن ترى ظهورى عليهم).

هذا عدا عن أنه قد رأى كما رأى غيره معجزات و كرامات كثيره له (صلى اللّه عليه و آله) لا تبقى أمام عقله أى فرصه للتهرب من الإعتراف بنبوته ..

أذان بلال فوق الكعبه:

و عن ابن عباس، و رواه عن بعض أهل العلم، و عن عروه، و عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و عن ابن أبى مليكه، و محمد بن عمر عن شيوخه: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما حان وقت الظهر أمر بلالا أن يؤذن بالظهر يومئذ فوق الكعبه، ليغيظ بذلك المشركين، و قريش فوق رؤوس الجبال، و قد فرّ جماعه من وجوههم و تغيبوا.

(قال الواقدى: خوفا أن يقتلوا، فمنهم من يطلب الأمان، و منهم من قد أومن).

و أبو سفيان بن حرب، و عتّاب- و لفظ ابن أبى شيبه: خالد بن أسيد،

و الحارث بن هشام- جلوس بفناء الكعبه.

فقال عتّاب- أو خالد- بن أسيد: لقد أكرم اللّه أسيدا أن لا يكون يسمع هذا، فيسمع ما يغيظه.

و قال الحارث: أما و اللّه، لو أعلم أنه محق لا تبعته.

فقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا.

و قال بعض بنى سعيد بن العاص: لقد أكرم اللّه سعيدا إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبه.

و قال الحكم بن أبى العاص: هذا و اللّه الحدث العظيم، أن يصيح عبد بنى جمح على بنيه أبى طلحه.

و قال الحارث بن هشام: إن يكن اللّه تعالى يكرهه فسيغيره.

و فى روايه: أن سهيل بن عمرو قال مثل قول الحارث.

فأتى جبريل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فأخبره خبرهم، فخرج عليهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: (قد علمت الذى قلتم).

فقال الحارث و عتاب: نشهد إنك رسول اللّه، ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول: أخبرك (1).

و فى روايه: أن الحارث بن هشام قال: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟!

1- دلائل النبوه للبيهقى ج ۵ ص ۷۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۸ و ۲۴۹ عن أي يعلى، و ابن هشام، و البيهقى عن ابن إسحاق، و ابن أبى شيبه، و الأزرقى و الواقدى، و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۱ و ۱۰۲ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷ و ۸۸.

و لا ـ مانع من وجود الأمرين منه، أى و تقـدم فى عمره القضاء وقوع مثل ذلك من جماعه لما أذن بلال رضـى اللّه عنه على ظهر الكعبه أيضا.

أى و قال غير هؤلاء من كفار قريش: لقد أكرم اللّه فلانا- يعنى أباه- إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبه.

إلى أن قال: فخرج عليهم النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فقال لهم: لقد علمت الذى قلتم.

ثم ذكر ذلك لهم، فقال: أما أنت يا فلان فقد قلت كذا، و أما أنت يا فلان فقد قلت كذا، و أما أنت يا فلان فقد قلت كذا.

فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول اللّه فما قلت شيئا، فضحك رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فقالوا: نشهد أنك رسول اللّه، و اللّه ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك (۱).

.. و صـار بعض قريش يسـتهزئون و يحكون صوت بلاـل غيظا، و كان من جملتهم أبو محـذوره، و كان من أحسـنهم صوتا، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأمر به، فمثل بين يديه، و هو يظن أنه مقتول.

فمسح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ناصيته و صدره بيده الشريفه، قال: فامتلأ قلبى و اللّه إيمانا و يقينا، فعلمت أنه رسول اللّه.

فألقى عليه (صلى اللّه عليه و آله) الأذان، و علمه إياه، و أمره أن يؤذن

۱- السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۱ و ۱۰۲.

لأهل مکه، و کان سنه ست عشره سنه، و عقبه بعده یتوارثون الأذان بمکه.

و تقدم: أن أذان أبی محذوره و تعلیمه الأذان کان مرجعه (صلی اللّه علیه و آله) من حنین، و تقدم طلب تأمل الجمع بینهما (۱).

و عند الراوندی: أنه (صلی اللّه علیه و آله) أمر بلالا عند وقت صلاه الظهر، فصعد علی الکعبه، فقال عکرمه: أکره أن أسمع صوت أبی رباح ینهق علی الکعبه.

و حمد خالد بن أسید اللّه علی أن أبا عتاب توفی و لم یر ذلک.

و قال أبو سفیان: لا أقول شیئا، لو نطقت لظننت أن هذه الجدر ستخبر به محمدا.

فبعث إلیهم النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فأتی بهم، فقال عتاب: نستغفر اللّه و نتوب إلیه، قد و اللّه یا رسول اللّه قلنا، فأسلم و حسن إسلامه، فولاه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه (۲).

و فی نص آخر: أنه لما بلغ بلال: (أشهد أن محمدا رسول اللّه) قالت جویریه بنت أبی جهل: قد لعمری رفع لک ذکرک، أما الصلاه فسنصلی، و اللّه لا نحب من قتل الأحبه أبدا. و لقد کان جاء أبی بالذی جاء به محمدا من النبوه فردها، و لم یرد خلاف قومه (۳).

قالوا أیضا: دخل النبی (صلی اللّه علیه و آله) مکه، و کان وقت الظهر،

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۲.
۲- البحار ج ۲۱ ص ۱۱۸ و ۱۱۹ و ۱۳۳ عن الخرائج و الجرائح، و عن إعلام الوری.
۳- المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۴۶ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۱۰۲ عن تاریخ الأزرقی.

فأمر بلالا فصعد على ظهر الكعبه فأذن، فما بقى صنم بمكه إلا سقط على وجهه، فلما سمع وجوه قريش الأذان قال بعضهم فى نفسه: الدخول فى بطن الأرض خير من سماع هذا.

و قال آخر: الحمد للّه الذى لم يعش والدى إلى هذا اليوم.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله): (يا فلان قد قلت فى نفسك كذا و يا فلان قلت فى نفسك كذا).

فقال أبو سفيان: أنت تعلم أنى لم أقل شيئا.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) (۱).

و نقول:

قد تكلمنا حول هذه النصوص فى عمره القضاء، و أكثرها بعمره القضاء أنسب، و لسياقها أقرب. و إنما أوردناها هنا مجاراه لكتّاب السيره.

و سوف لا نعلق عليها ههنا بشى ء، بل نكتفى بما ذكرناه هناك، و نقتصر هنا على الإشاره التاليه:

و قد ذكر النص المتقدم، و تقدم أيضا عن مصادر عديده: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) دخل البيت يوم الفتح وقت الظهر (۲).

فإذا كان الوقت ظهرا، و كان على (عليه السلام) فى هذا الوقت على ظهر الكعبه، فمن أولى منه بالأذان على ظهرها، أو ما هى الحاجه لإصعاد بلال على ظهر الكعبه من جديد، من أجل الأذان؟!

۱- البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹ عن الخرائج و الجرائح.
۲- راجع ما ذكرناه تحت عنوان: إزاله الصور و التماثيل من داخل الكعبه.

و لـذلك نقول: إنه قد روى يزيد بن قعنب، عن فاطمه بنت أسد: أنها لما ولد على (عليه السـلام) فى جوف الكعبه، و أرادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمه سميه عليا، فهو على ..

إلى أن قال عن على (عليه السلام): (و هو الذى يكسر الأصنام، و هو الذى يؤذن فوق ظهر بيتى الخ ..) (۱).

فالذى أذن فوق ظهر الكعبه حين دخول النبى (صلى اللّه عليه و آله) إليها، هو على بن أبى طالب (عليه السلام).

و لكن ذلك لا يمنع من أن يكون بلال قد أذن فى المسجد الحرام، أو على ظهر الكعبه فى سائر الأوقات، فأغاظ المشركين.

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يعود إلى مكه:

عن أبى هريره: أن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) لما فرغ من طوافه، أتى الصـفا فعلا منه حتى يرى البيت، فرفع يديه، و جعل يحمد اللّه تعالى و يذكره، و يدعو ما شاء اللّه أن يدعو. و الأنصار تحته، فقال بعضهم لبعض:

أما الرجل فأدركته رغبه فى قريته، و رأفه بعشيرته.

قـال أبو هريره: و جـاء الوحى، و كـان إذا جاء لم يخف علينا: فليس أحـد من الناس يرفع طرفه إلى رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) حتى يقضى، فلما قضى الوحى، قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (يا معشر الأنصار).

قالوا: لبيك يا رسول اللّه.

۱- إحقاق الحق (الملحقات) ج ۵ ص ۵۷ عن بشائر المصطفى، و عن تجهيز الجيش للدهلوى العظيم آبادى.

قال: (قلتم: أما الرجل فأدركته رغبه فی قریته، و رأفه فی عشیرته).

قالوا: قد قلنا ذلک یا رسول اللّه.

قال: (فما أسمّی إذن!! کلا، إنی عبد اللّه و رسوله، هاجرت إلی اللّه و إلیکم، المحیا محیاکم، و الممات مماتکم).

فأقبلوا إلیه یبکون، یقولون: و اللّه یا رسول اللّه، ما قلنا الذی قلنا إلا الضن باللّه و برسوله.

فقال رسول اللّه: (فإن اللّه و رسوله یعذرانکم و یصدقانکم) (۱).

و نقول:

إن الأنصار حین قالوا، أو قال بعضهم: أدرکته رغبه فی قریته، و رأفه فی عشیرته، قد جروا علی مقتضیات الطبع البشری الإنسانی، الذی یختزن الحنین إلی الأوطان، و الرحمه، و الرأفه بذوی الأرحام، و قد غفلوا عن أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد صنعه اللّه تعالی علی عینه، و أصبح فانیا فی الطاعه و العبودیه له تعالی، یری ما یری، و یرضیه ما یرضیه، و یغضبه ما یغضبه، و لا یرید إلا ما یرید.

و هو أیضا رسوله الذی جاءهم بالهدی و دین الحق، الذی لا یحابی قومه علی حساب دینه و عقیدته، و لا یحن إلی شیء إلا إذا کان فی ذلک الحنین رضا اللّه و طاعته.

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۶ عن الطیالسی، و ابن أبی شیبه، و مسلم، و أحمد. و أشار فی هامشه إلی: مسلم ۳/ ۱۴۰۷ فی الجهاد و السیر باب فتح مکه ۸۶ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۵ ص ۵۶ و معانی الآثار ج ۳ ص ۳۲۵. و راجع: تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۹.

و هو حین هاجر، إنما هاجر إلی اللّه، و اللّه أحب إلیه من عشیرته، و ذوی رحمه، و بلده ..

و لتکن هـذه العناصـر الثلاـثه: عبودیته للّه تعـالی، و رسولیته الهادیه إلی طریق الحق و الخیر، و هجرته إلی اللّه تعالی، هی الأدله القـاطعه، و البراهین السـاطعه علی أنه لاـ یرغب إلا بأن یکون مع اللّه، و فی دار هجرته إلیه، لا فی بلـده، و لا مع قومه، و لا یتخذ عشیرته و ذوی رحمه بطانه من دون المؤمنین ..

بل المؤمنون هم أهله، و عشیرته، دون الناس کلهم.

إذن یخزیک اللّه:

عن أبی إسـحاق السبیعی، عن ابن عباس قالا: رأی أبو سفیان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یمشی و الناس یطأون عقبه، فقال بینه و بین نفسه:

لو عاودت هذا الرجل القتال، و جمعت له جمعا؟

فجاء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حتی ضرب بیده فی صدره، فقال: (إذن یخزیک اللّه).

فقال: أتوب إلی اللّه تعالی، و أستغفر اللّه مما تفوهت به، ما أیقنت أنک نبی حتی الساعه، إنی کنت لأحدث نفسی بذلک (۱).

عن سـعید بن المسـیب قـال: لمـا دخـل رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله) مکه لیله الفتـح، لم یزالوا فی تکبیر و تهلیـل، و طواف بالبیت حتی أصبحوا،

۱- تهـذیب تاریخ ابن عساکر ج ۶ ص ۴۰۶ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۴ ص ۱۰۲ و سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۶ عن ابن سعد، و عن الحاکم فی الإکلیل، و عن البیهقی.

فقال أبو سفيان لهند: أترين هذا من اللّه؟

قالت: نعم، هذا من اللّه.

قال: ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): قلت لهند: أترين هذا من اللّه؟!

قالت: نعم هذا من اللّه.

فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد اللّه و رسوله، و الذى يحلف به ما سمع قولى هذا أحد من الناس إلا اللّه عز و جل و هند (۱).

عن عبد اللّه بن أبى بكر بن حزم قال: خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أبو سفيان جالس فى المسجد، فقال أبو سفيان: ما أدرى بما يغلبنا محمد؟

فأتاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فضرب صدره و قال: (باللّه تعالى نغلبك).

فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول اللّه (۲).

و عن ابن عباس قال: لقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أبا سفيان بن حرب فى الطواف، فقال: (يا أبا سفيان، هل كان بينك و بين هند كذا و كذا)؟

فقال أبو سفيان: فشت على هند سرى، لأفعلن بها و لأفعلن.

۱- سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۶ و ۱۴۷ عن الذهلى فى كتابه: جمع حديث الزهرى.
۲- معانى الآثار ج ۴ ص ۳۱۴ و راجع: السيره الحلبيه ج ۳ ص ۱۰۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ عن ابن سعد، و الحارث بن أبى أسامه، و ابن عساكر، و الضعفاء للعقيلى ج ۱ ص ۲۲۶ و ج ۳ ص ۵۷ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۴۰۶ و لسان الميزان ج ۴ ص ۱۷۸.

فلما فرغ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من طوافه لحق بأبی سفیان فقال: (یا أبا سفیان، لا تکلم هندا، فإنها لم تفش من سرک شیئا).

فقال أبو سفیان: أشهد أنک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۱).

مع ما سبق: أبو سفیان و الإیمان:

۱- إن من یراجع حیاه أبی سفیان یخرج بحقیقه مفادها: أن هذا الرجل بما تصدی له من أعمال، و فیما کان له من ممارسات قد عاین الکثیر الکثیر من دلائل النبوه الظاهره، و معجزاتها القاهره، و آیاتها الباهره.

و لکنه کان یصر علی رفضها، و یتعمد تجاهلها، و یسیر فی طریق اللجاج، و المکابره، و العناد، و الجحود للحق، و السعی لطمسه، و مواصله الحرب مع أهله ..

و الذی ذکر فی الروایات آنفا ما هو إلا رشحه یسیره من تلک الدلالات، و العبر و العظات.

و هذا یؤکد لنا حقیقه هامه، و هی:

أن هذا الصلف و العناد للحق یدعونا إلی تصدیق تلک الطائفه من النصوص المختلفه و الکثیره، التی تؤکد: أنه لم یغیر نهجه، و أنه لم یسلم، و إنما استسلم، و لما یدخل الإیمان فی قلبه، و أنه لم یزل کهفا لأهل النفاق، و أنه کان یحلف: أنه ما من جنه و لا نار، و إنما هو الملک و الدنیا (۲).

۱- سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ عن العقیلی، و ابن عساکر.

۲- راجع: ترجمه أبی سفیان فی الإستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه)، و فی قاموس الرجال، و غیر ذلک.

٢- أما قول أبی سفیان: (ما أیقنت أنک نبی حتی الساعه) فمعناه: أنه کان إلی تلک اللحظه یتخذ سبیل النفاق، و أنه لم یکن قد أسلم قبل ذلک، رغم نطقه بالشهادتین فی مرّ الظهران قبل دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) مکه ..

فإذا جاء بعد النطق بالشهادتین ما دل علی ما یوجب الحکم بخروجه من الدین، فلا شی ء یمکن ان یثبت عودته إلی الإسلام بصوره یقینیه، و یبقی الأمر رهنا بما یصدر عنه من دلالات و شواهد تؤید هذا الإحتمال، أو ذاک.

فإن بلغ الأمر إلی درجه الیقین بعودته إلی الإسلام، فذلک هو المطلوب، و إلا، فإن مجرد الاحتمالات لا تفید شیئا فی إثبات إسلامه.

٣- إن ما حدّث به أبو سفیان نفسه من الرغبه بالعوده إلی قتال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إنما جاء علی سبیل الحسد للنبی (صلی اللّه علیه و آله)، لما رآه من عزته (صلی اللّه علیه و آله) و عظمته، و خضوع الناس لأمره و نهیه، و سعیهم للتقرب إلیه، و لم یعرض لأبی سفیان ما یزیل هذا الحسد من نفسه.

و لعل ما کان یراه من مزید شوکته، و تأکد عظمته من شأنه: أن یزید من تأجج نار الحسد فی قلبه، و یلهب صدره حنقا و غیظا، و یملأ قلبه حقدا و بغضا.

الم. غلبت الروم:

و بعد .. فلا شک فی أن فتح مکه کان من أعظم النعم التی حبا اللّه بها

نبیه و أولیائه، إذ بـذلک سـقط الشـرک و انتهی أمره، و خضدت شوکته فی الجزیره العربیه کلها، و أفسح المجال لدخول الناس فی الإسلام أفواجا.

و فرح المسـلمون بنصـر اللّه تبـارک و تعالی أعظم الفرح. و کان ذلک فی السـنه التی غلبت الروم علی فارس .. و ظهر مصـداق قوله تعـالی: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْـدِ غَلَبِهِمْ سَـیَغْلِبُونَ فِی بِضْعِ سِـنِینَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْـدُ وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْـرِ اللَّهِ یَنْصُـرُ مَنْ یَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ وَعْـدَ اللَّهِ لا یُخْلِفُ اللَّهُ وَعْـدَهُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ یَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ (۱).

و قد جاءت هذه البشاره فی أوائل الهجره حیث کانت فارس قد غلبت الروم. فبشر اللّه فی هذه الآیات بفتح مکه و بنصر اللّه لهم علی الشرک منذئذ.

و ذلک لأن معظم الناس سوف یقلبون علی هـذا الـدین، و یحتاجون إلی الإیمان به و بالنبوه إلی المعجزه المیسوره و الواضـحه، التی لا تحتاج إلی فکر و دراسه و تأمل، و لا تحتمل التأویل، و لا یمکن ألقاء الشبهه فیها ..

و أکثرهم یعیش البسـاطه، و لاـ یملـک من العلم و الفکر، مـا یمکنه من أدراک حقـائق القرآن العـالیه، أو مـا یجعله یتفاعـل مع الإسـتدلالات العلمیه المعمقه. و هم لاـ یعرفون شـیئا عن مصـطلحات الفلاسـفه، و أسـالیب اسـتدلالهم، فجاء هـذا الإخبار الغیبی لیسهل علیهم هذا الإیمان، و لیرسخه فی نفوسهم، و یعمقه فی وجدانهم، و ضمیرهم. و هو من مفردات الرحمه الآلهیه لهم.

۱- الآیات ۱- ۷ من سوره الروم.

و أما ادّعاء أن المقصود بالآيه فرح المسلمين بنصر الروم لأنهم أهل كتاب على المشركين لأنهم مجوس، فهو غير مقبول .. فإن المجوس أهل كتاب أيضا، و إن كانوا قد ضيعوه كما ورد فی بعض الروايات (۱).

۱- الكافی ج ۳ ص ۵۶۷ السنن الكبرى للبيهقی ج ۹ ص ۱۸۸ و الأمالی للصدوق ص ۴۲۴ و التفسير الصافی ج ۲ ص ۳۳۴ و تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۲۰۲ و ج ۳ ص ۴۷۵ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۲۵۳ و راجع: الخلاف ج ۵ ص ۵۴۲ و المبسوط ج ۲ ص ۳۷ الوسائل (آل البيت) ج ۲۰ ص ۳۶۵ و تذكره الفقهاء (ط. ج) ج ۹ ص ۲۷۹ و مصادر ذلك كثره اقتصرنا على ذكر بعضها.

ص: ۳۲۸

الفهارس

اشاره

۱- الفهرس الإجمالی

ص: ۳۳۱

۲- الفهرس التفصيلى

سهم العباس فى عكاظ .. أكذوبه أخرى: ٦٢

ص: ٣٣٣

ص: ۳۳۵

على عليه السّلام يكسر الأصنام: ۲۰۸

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.